روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

سرِّى للغاية

سلسلة الأعداد الخاصة

٧

د. نبيل فاروق

تستند أحداث هذه الرواية على واقعة حقيقية فى عالم المخابرات

رجل المستحيل • سرى للغاية • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

روايات مصرية للجيب

سرى للغاية

سلسلة الأعداد الخاصة

المؤلف

د. نبيل فاروق

سرى للغاية

فجأة ظهرت بعض الوثائق الإسرائيلية البالغة السرية فى (أثينا)، وقرر الإسرائيليون إرسال فريق خاص من أخطر رجالهم، فى محاولة لاستعادة الوثائق بأى ثمن .. وعندما خاض (أدهم صبرى) المعركة، كان يعلم جيدًا أن عليه أن يواجه فريق الإسرائيليين، ورجال المخابرات الأمريكية أيضًا، وأن عليه أن يحصل، وبأى ثمن أيضًا، على تلك الوثائق، التى تحمل عبارة واضحة .. عبارة (سرى للغاية) !

الثمن فى مصر ... وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية و...

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ ـ أوراق الموساد ..

(تل أبيب) : الثامن من يناير ..

★ ★ ★

انطلقت سيارة أمريكية كبيرة تعبر شوارع المدينة ، فى الثامنة والنصف صباحًا ، وبدت بلونها الرمادى الباهت متناسقة مع تلك السحب الداكنة ، التى حجبت أشعة الشمس ، معلنة قُرب هطول الأمطار ، وارتفعت درجة الرطوبة إلى الحد الأقصى ، فانتشر ضباب خفيف فى الطرقات ، بدّدته أنوار السيارة ، وهى تتوقّف أمام مبنى (الموساد) ، فى ذلك الحى الهادئ ، وتحرّك أحد رجال أمن البوّابة ، فاقترب من السيارة ، وألقى نظرة على وجه سائقها ، قبل أن يبتسم قائلًا :

ـ صباح الخير يا أدون (كاهان) .. لم أكن أتوقّع قدومك للعمل اليوم .

ابتسم (كاهان) ، صاحب الجسد الضئيل ، والرأس الأصلع ، والشارب الكث ، وقال وهو يحكم كوفيته حول عنقه :

ـ على العكس يا (أدريان) .. اليوم هو آخر أيامى فى العمل ، ومن الطبيعى أن أحضر لتحية الزملاء على الأقل .

أومأ (أدريان) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

ـ يؤسفنى تقاعدك بالفعل يا أدون (كاهان) ، ولكن هذا حال الدنيا .

تمتم (كاهان) :

ـ نعم يا (أدريان) .. هذا حال الدنيا .

ضغط الحارس زرًا صغيرًا ، فانفتحت بوّابة المبنى الإليكترونية ، وانطلق (كاهان) بسيارته إلى ساحة انتظار السيارات ، وأوقف سيارته فى مكانها المعتاد ، وغادرها فى هدوء شديد ، واتجه إلى مكتبه ، وراح يجمع أوراقه وحاجياته ، ويتبادل التحية مع رفاقه ، قبل أن يقول لهم بابتسامته البسيطة :

ـ أستميحكم عذرًا يا رفاق .. سأذهب لتسليم مفتاح حجرة الوثائق ، واستكمال الأوراق المطلوبة .. أنتم تعرفون الروتين وبيروقراطية العمل .

ضحكوا فى مرح ، وهتف أحدهم :

ـ ومن يمكنه أن ينسى هذا .. إننا نملأ ونوقّع عشرات الاستمارات ، فى كل خطوة نخطوها .

واصلوا ضحكاتهم وتعليقاتهم المرحة ، فى حين غادر هو الحجرة فى هدوء ، وقطع الممر الطويل ، الذى يصل ما بين مكتبه وحجرة الوثائق ، فى خطوات واسعة سريعة ، وتوقّف لحظة أمام الحجرة ، اختلس خلالها النظر إلى جانبى الممر ، ولم يكد يطمئن إلى خلوه ، حتى فتح الحجرة ببطاقته المغنطيسية فى سرعة ، ودلف إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم أسرع إلى دولاب خاص ، يحمل لافتة واضحة ، تقول بحروف عبرية كبيرة :

ـ وثائق سرية للغاية .

وفتح (كاهان) ذلك الدولاب بسرعة ، ثم التقط منه عدة وثائق ، وانتقل فى خفة إلى جهاز تصوير (الميكروفيلم)(*) ، وراح يلتقط

(*) الميكروفيلم : أفلام تصوير حساسة ، صغيرة الحجم للغاية ، تستخدم عادة فى أغراض التجسس ، بحيث يمكن إخفاؤها فى أشياء صغيرة وبسيطة .

صورًا واضحة لتلك الوثائق ، على أحد أفلام (الميكروفيلم) ، والعرق يغمر وجهه ، وأطرافه ترتجف فى شدة ، حتى انتهى من التصوير ، فالتقط (الميكروفيلم) ، ودسّه فى جيبه ، ثم أعاد الوثائق إلى مكانها ، وأغلق الدولاب فى إحكام ، وغادر الحجرة وهو يتلفّت حوله ، وما إن أصبح خارجها ، حتى التقط نفسًا عميقًا ، وجفّف العرق الذى يغمر وجهه ، من شدة التوتر ، قبل أن يتّجه مباشرة إلى حجرة رئيسه المباشر ، ويدقّ بابها فى بطء ، ثم ينتظر فى صبر ، حتى يسمع صوت رئيسه ، وهو يقول :

ـ ادخل يا (كاهان) .

ابتسم ، وهو يلقى نظرة سريعة على آلة التصوير والمراقبة ، التى تعرّفه رئيسه من خلالها ، ودفع باب الحجرة ، ورسم على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا سيّدى .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا (كاهان) .. إنه آخر أيامك هنا .. أليس كذلك ؟

أجابه (كاهان) ، وهو يناوله مفتاح الحجرة ، وبطاقته المغنطيسية :

ـ بلى يا سيّدى .. وأنا هنا لتسليم مفتاح حجرة الوثائق وتصوير (الميكروفيلم) .. هل ترغب سيادتك فى تعيين شخص آخر ، ليتسلّم الوثائق وآلات تصوير (الميكروفيلم) .

التقط رئيسه المفتاح ، وألقاه فى درج مكتبه مع البطاقة ، وهو يقول :

- لقد تم تعيينه بالفعل ، وراجعنا كل شيء مساء أمس .
ثم حاول أن يبتسم ، مستطردًا :
- ولكننا نثق بك بالطبع .
تمتم (كاهان) :
- آه .. بالطبع يا سيِّدى .
تصافحا لإنهاء اللقاء ، وسأله رئيسه :
- هل وقَّعت الأوراق اللازمة للمكافأة ؟
أجابه (كاهان) :
- كلها يا سيِّدى .
هزَّ رئيسه كتفيه ، قائلًا :
- عظيم .. هذا يعنى أنك ستحصل على مكافأتك بسرعة ، وخمسة آلاف دولار أمريكى مبلغ لا يستهان به .
أخفى (كاهان) ابتسامته الساخرة فى أعماقه ، وهو يجيب :
- إنه كرم بالغ من الإدارة يا سيِّدى .
وعند ما غادر حجرة رئيسه ، وثبت تلك الابتسامة إلى شفتيه ، وامتزجت بشىء من الحنق ، وهو يتمتم :
- خمسة آلاف دولار ؟!.. يا للأوغاد !!.. إنهم يصرّون على اختيار أفضل العناصر للعمل معهم ، ثم يلقون إليهم الفتات عند تقاعدهم .
لم يكن يهتمّ كثيرًا بقيمة المكافأة ؛ فقد وضع خطته للحصول على أكبر معاش تقاعد يحلم به جاسوس سابق ، ليقضى ما تبقَّى من عمره فى رفاهية وبذخ ..
وكان ينفذ هذه الخطة بمنتهى الدقة ..

لقد قضى وقته بين زملائه ، الذين قدَّموا له هدية متواضعة ، فى حفل صغير بسيط ، اكتفوا فيه بتناول الماء ، وبعض المشروبات المجانية ، التى تقدَّم للعاملين فى المبنى ، وبعدها صافح الجميع فى حرارة ، وغادر المكان إلى سيارته ..
وفى اللحظة التى انصرف فيها من مبنى (الموساد) ، كانت الأمطار قد بدأت كرذاذ خفيف ، لم يلبث أن تحوَّل بغتة إلى سيول كثيفة ، وهو ينطلق إلى المطار ..
كان يعلم أنه غير مسموح له بمغادرة البلاد لشهر كامل ، بعد تقاعده من العمل كأحد مسئولى (الموساد) ، طبقًا للوائح المعمول بها ، ولكنه وضع هذا فى الحسبان ، منذ بدأ التخطيط لما سيفعله ، وصنع جواز سفر زائفًا ، فى القسم الخاص بذلك فى الإدارة ؛ حتى يمكنه الفرار بأقصى سرعة ؛ فهو يعلم أنهم سيكشفون ما فعله بعد خمس أو ست ساعات على الأكثر ، عندما يبدأ فحص الكمبيوتر الملحق بجهاز تصوير الوثائق على (ميكروفيلم) ، والذى يحتفظ بصورة ثابتة لكل ما تم تصويره ، غير قابلة للمحو أو التغيير ..
والمفروض أن يستقل بعد ساعة واحدة ، طائرة شركة الخطوط الجوية الأمريكية ، (تى . دابليو . إيه) ، إلى (أمريكا) مباشرة ، ومنها إلى (بيونيس أيرس)(★) حيث لن يمكنهم العثور عليه قط ..
وفى خياله ، بدأت أحلامه الوردية ترسم صورة لحياة الدعة

(★) بيونيس أيرس : عاصمة (الأرجنتين) ، وهى مدينة على الشاطئ الأيمن لنهر (ريو) وكبرى مدن (أمريكا الجنوبية) ، والمركز الصناعى والاجتماعى والتجارى (للأرجنتين) ، أسسها (بدرو دى ميندوزا) عام ١٥٣٦ م .

والترف ، التى سيغوص فيها حتى النخاع ، ما بقى له من العمر ، وغلفت الأحلام عقله كله ، حتى وصل إلى المطار ، فحمل حقيبته الصغيرة ، ووضع داخلها (الميكروفيلم) ، ثم اتجه مباشرة إلى المطار ..

كان قد حرص فى خطته على ألا يحمل معه حقائب كبيرة ، حتى لا يثير الشكوك إلى نيته فى الرحيل ، واكتفى بحقيبة أوراقه ، مع كل مدخراته ، طوال ثلاثين عامًا من العمل فى (الموساد) ..

المهم أن يصل إلى (بيونيس أيرس) ، وبعدها لن يكون المال مشكلة بالنسبة له أبدًا ..

والتقط (كاهان) نفسًا عميقًا ، وهو يتجه إلى موظفة شركة الخطوط الأمريكية ، راسمًا على شفتيه ابتسامة هادئة ، ويقول :

ـ صباح الخير .. لدى تذكرة على الطائرة المتجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى الواحدة ظهرًا .

هزّت الموظفة رأسها فى أسف ، وهى تقول :

ـ معذرة يا سيّدى .. لقد تم تأجيل إقلاع هذه الرحلة .

هوت العبارة عليه كالصاعقة ، فهتف منزعجًا :

ـ تم تأجيلها ؟!.. لماذا ؟.. المفروض أن تقلع فى موعدها .. لدى أمور هامة للغاية ، ينبغى إنجازها فى (أمريكا) .

أجابته فى أسف :

ـ ليس الأمر بيدنا يا سيّدى .. الرحلة تم تأجيلها لسوء الأحوال الجوية .

صاح فى حدة :

ـ ابحثى لى عن أية رحلة أخرى إذن .. ولا يهمنى المكان .. (باريس) .. (لندن) .. أو حتى (القاهرة) .. المهم أن أسافر الآن .

كانت قد اعتادت مثل هذه الثورة ، كلما تم تأجيل إقلاع واحدة من الرحلات المعتادة ، لذا فقد أجابته فى هدوء :

ـ كل الرحلات تم تأجيلها ، بسبب سوء الأحوال الجوية ، والمطار مغلق رسميًا ، منذ الواحدة ، وحتى إشعار آخر ، فخبراء الطقس يؤكدون أن الطقس سيزداد سوءًا ، خلال الساعات التسع القادمة ، وربما يتحسّن بعدها ، فتقلع الطائرة ، و ...

قاطعها بصيحة جمعت كل عصبيته وغضبه :

ـ لا .

تطلّعت إليه فى دهشة ، وكذلك فعل عدد من المحيطين به ، فانتبه إلى خطأ إطلاقه لانفعالاته على سجيتها ، وتراجع مغمغمًا فى عصبية :

ـ معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. ولكنها الأعمال ، و ...

ولم يتم عبارته ، وهو ينسحب من أمامها بسرعة ، وكل ذرة فى كيانه تصرخ متوترة ..

تسع ساعات قبل الإقلاع ؟!..

هذا يتعارض مع خطته تمامًا ..

بعد تسع ساعات يكون رجال (الموساد) قد كشفوا أمره ، وأطلقوا رجالهم خلفه ، ووزّعوا نشرة بأوصافه ، ولن يصبح بإمكانه الفرار أبدًا ..

والعقوبة واضحة ومعروفة ، فى هذه الجريمة ..

الإعدام ..

سرت فى جسده قشعريرة ، عندما جال هذا بخاطره ، وتوتّر فى شدة ، وهو يعود مباشرة إلى سيارته ، وانطلق عقله مع محرّكها ، يدرس ويفكّر فى الأمر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ نعم .. هذا هو الحل الوحيد .

وانحرف بسيارته إلى يسار المطار الإسرائيلى ، وانطلق فى خط مستقيم ، وقد عاوده شىء من الحماس والأمل ، حتى بلغ مطارًا عسكريًا قريبًا ، أبرز بطاقته الخاصة عند مدخله ، وهو يقول بلهجة صارمة :

ـ أريد مقابلة قائد المطار ، لأمر خاص وسرى .

ولم يكد رجل الأمن عند المدخل يلمح بطاقة (الموساد) ، حتى أجرى اتصالاته بقائد المطار على الفور ، ولم تمض دقائق ، حتى كان هذا الأخير ينهض لاستقبال (كاهان) فى مكتبه ، وهو يسأله فى قلق :

ـ ما الذى يمكننا تقديمه لـ (الموساد) ؟

أجابه (كاهان) فى لهجة توحى بأهمية الأمر :

ـ إنه أمر عاجل وبالغ الخطورة ، يخص أمن وبقاء (إسرائيل) ، ويحتاج إلى تعاون خاص منكم .

قال الرجل فى قلق :

ـ أى نوع من التعاون ؟

سأله (كاهان) مباشرة :

ـ ألديكم رحلات جوية عاجلة ؟

صمت قائد المطار لحظات ، وكأنما يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يجيب :

ـ وماذا لو أن لدينا هذا ؟

هتف (كاهان) بسرعة :

ـ أريد أن أرحل من هنا .

انعقد حاجبا قائد المطار فى دهشة ، فاستدرك (كاهان) فى سرعة ، وهو يستعيد توازنه :

ـ المهمة التى نحن بصددها ، تحتم وصولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة ، والطيران كله متوقّف الآن ، بسبب سوء الأحوال الجوية .

قال قائد المطار فى شىء من الحذر :

ـ ليست لدينا طائرة قادرة على الانطلاق مباشرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

هوى قلب (كاهان) بين قدميه ، ولكن القائد استطرد بسرعة :

ـ ولكن لدينا حاملة جنود ، فى طريقها إلى (جوهانسبرج)(★) ، ومن هناك يمكنك أن تستقل طائرة إلى (أمستردام)(★ ★) ، ومنها إلى (نيويورك)(★ ★ ★) .

تألّقت عينا (كاهان) ، وهو يهتف :

ـ عظيم .. ومتى يمكننى أن أستقل طائرة (جوهانسبرج) هذه ؟

(★) جوهانسبرج : أكبر مدن (جنوب إفريقيا) ، أنشئت عام ١٨٨٦ م كمركز للتعدين ، عند كشف وجود الذهب ، تقوم فيها صناعات معدنية ونسيجية ، وبها جامعة (وتوترزراند) ، التى أنشئت عام ١٩٢١ م .

(★ ★) أمستردام : عاصمة (هولندا) وأكبر مدنها ، يقع معظمها على الضفة الجنوبية للنهر ، وتربطها قنوات ببحر الشمال ودلتا (الراين) ، وبالتالى بشمال غرب (ألمانيا) الصناعى .

(★ ★ ★) نيويورك : ميناء أمريكى شهير ، به مراكز لصناعة الملابس ، والآلات ، والمنتجات المعدنية ، والمنسوجات والكيماويات ، والورق .. شهدت معارك الثورة الأمريكية ، وأصبحت مركزًا سياحيًا شهيرًا .

ابتسم قائد المطار ، وكأنه يشعر بالفخر ؛ لأنه استطاع معاونة رجل من رجال (الموساد) ، وأجاب :

- إنها تستعد للإقلاع الآن ..

وعلى الرغم من الأمطار ، التى تهطل بشدة ، وخيوط البرق ، التى راحت تشق السماء فى تتابع شبه متصل ، كان قلب (كاهان) يرقص طربًا ، وهو يجلس بين الجنود ، والطائرة تقلع بهم مغادرة (تل أبيب) ، و (إسرائيل) كلها ..

ولكن الجنود أنفسهم لم يشعروا بالارتياح ، لوجود شخص فى ملابس مدنية وسطهم ، وإن احتفظوا بذلك الضيق فى أعماقهم ، ولم يفصحوا عنه قط ، لجهلهم هوية ذلك المدنى ..

وانطلقت حاملة الجنود نحو (جوهانسبرج) ، وسط عاصفة عاتية ، لم تشهد لها المنطقة مثيلًا ، منذ فترة طويلة ، وسار كل شىء على ما يرام لفترة ما ، و ...

وفجأة ، ارتجت الطائرة كلها فى عنف ، ودوت داخلها فرقعة عنيفة ، جعلت (كاهان) يصرخ فى ارتياع :

- ماذا حدث ؟!.. ماذا حدث ؟!

أجابه مساعد الطيّار فى حدة :

- صاعقة أصابت المحرك الأيسر .. إننا نفقد توازننا .

صرخ (كاهان) ، وهو يهبّ من مكانه :

- لا .. لا تفعل .. حاول السيطرة على الطائرة .. حاول .

صاح فيه الطيّار :

- عد إلى مقعدك يا رجل .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوى انفجار عنيف فى مؤخرة الطائرة ، واشتعلت النيران فى ذيلها دفعة واحدة ، وراحت تهوى بسرعة مخيفة ، على الرغم من محاولات الطيّار ومساعده ، فى حين التصق (كاهان) بمقعده ، واحتضن حقيبة أوراقه فى شدة ، وراحت عشرات الشرائط والصور تمرق أمام عينيه المتسعتين المذعورتين ..

صور لحياته السابقة بكل ما فيها ..

زوجته الراحلة ..

ابنه الذى تركه ليلتحق بجيش الدفاع الإسرائيلى ..

حياته كجاسوس سابق ..

خطته ..

وأحلامه الوردية ..

وتوقف ذهنه طويلًا ، عند هذه النقطة الأخيرة ..

لم تعد هناك أحلام وردية ..

لم تعد هناك أية أحلام ..

المهم الآن أن ينجو من الموت بأى ثمن ..

أى ثمن .

ولكن الطائرة واصلت سقوطها ، وهتف الطيّار :

- حاولوا استخدام المظلات .

ولكن التحذير جاء بعد موعده بكثير ..

لقد برزت الجبال فجأة أمام الطائرة ، وسط العاصفة الهوجاء ، و ..

ودوى الانفجار فى المنطقة كلها .

★ ★ ★

٢ - تصريح بالقتل ..

انقلب (الموساد) كله رأسًا على عقب ، عندما تم كشف ما فعله (كاهان) ، وانتقل المدير بنفسه إلى قسم الوثائق والمعلومات ، وهو يقول في توتر شديد :

- كيف يحدث هذا ؟!.. كيف تم تجاوز إجراءات الأمن على هذا النحو البالغ الخطورة ، والمسرف في التهاون والإهمال ؟!..

بدا الرئيس المباشر لـ (كاهان) شديد الهلع والذعر والقلق ، وهو يعدو إلى جوار المدير ، قائلًا :

- ومن كان يتوقع هذا يا سيادة المدير ؟.. لقد كان (كاهان) ، طوال فترة عمله هنا ، مثالًا لرجل المخابرات الكفء ، ولم يحاول العبث معنا قط ، فكيف نشك في أمره بعد كل هذا ؟

صاح به المدير غاضبًا :

- عملك يحتم عليك أن تشك في أقرب الناس إليك ، حتى ابنك وزوجتك مادام هذا في مصلحة العمل والأمن .. هل نسيتم القواعد إلى هذا الحد ؟.. كيف يتقاعد رجل هنا ، ويظل محتفظًا ببطاقته المغنطيسية ، ذات الشفرة الخاصة بفتح باب الوثائق والمعلومات والميكروفيلم ؟!.. وكيف لايتم جرد الوثائق ، ومراجعة جهاز التصوير قبيل انصرافه .. هذا تجاوز رهيب لنظم وقواعد الأمن هنا .

غمغم الرئيس المباشر منزعجًا :

- لقد استغل ثقتنا به ، و ...

قاطعه المدير محتدًا :

- وماذا ؟!.. لن أسمح لك بالفرار من المسئولية قط .. أنت المسئول الأوّل أمامي عما حدث ، وستدفع ثمن هذا .

شحب وجه الرئيس المباشر ، وهو يقول :

- كما ترى يا سيادة المدير .. كما ترى .

بلغا حجرة الوثائق والميكروفيلم في هذه اللحظة ، فدلف إليها المدير ، وقال للرجل الجالس أمام جهاز الميكروفيلم :

- أريد رؤية الوثائق ، التي التقط (كاهان) صورها .

ضغط الرجل بعض الأزرار أمامه ، ثم تراجع بسرعة ، مفسحًا الطريق أمام المدير ، الذي واجه شاشة العرض ، وتركّزت عيناه على صور الوثائق في اهتمام ، قبل أن يغمغم في ارتياع :

- يا للشيطان !..

كانت الصور المتتابعة أمامه تحمل أخطر وأدق أسرار (الموساد) ، ودولة (إسرائيل) كلها ، عبر وثائق بالغة السرية ، المفروض ألّا يطلع عليها سوى رؤساء الأقسام ورئيس المخابرات ، ورئيس الوزراء فحسب ..

باختصار .. كان حصول (كاهان) على نسخة منها يعدّ كارثة رهيبة ، بالنسبة لأمن (إسرائيل) كله ..

وتحوّل غضب المدير إلى ثورة هادرة ، وهو يهتف :

- مستحيل !.. إنها مصيبة .. كارثة .. سأطالب بفصلكم جميعًا من الخدمة ، لو باع (كاهان) اللعين هذا نسخة واحدة من هذه الوثائق .

ثم تحرّك في سرعة ، مستطردًا :



راحوا يفحصون الحطام ، ويبحثون عن الجثث في سرعة واهتمام ..

- أبلغوا كل المطارات والموانى ، ووزعوا نشرة بأوصافه فى كل مكان ، وأرسلوا رجالنا للبحث عنه فى كل شق فى (إسرائيل) كلها .. من أقصاها إلى أقصاها! .. المهم أن نعثر عليه قبل أن يتصرَّف فى هذه الوثائق بأى ثمن .. هل سمعتم ؟!.. بأى ثمن .

★ ★ ★

استمرَّت العاصفة عشر ساعات أخرى ، بزيادة ساعة واحدة عما توقَّعه خبراء الأرصاد ، وبعدها انقشعت السحب ، وبانت السماء من خلفها واضحة صافية ، بنجومها اللامعة ، التى يتوسَّطها القمر ، وقد اكتملت استدارته أو كادت ..

وفوق الرمال الممتدَّة لمسافة كبيرة ، انطلقت ثلاث سيارات عسكرية ، من نوع (الجيب) ، نحو حطام طائرة نقل الجنود العسكرية ، وأحاطت بها فى صمت ، وغادرها عدد من الجنود ورجال الفريق الطبى ، راحوا يفحصون الحطام ، ويبحثون عن الجثث فى سرعة واهتمام ، فى حين وقف قائدهم يتابع العمل فى صمت ، حتى اقترب منه أحد الجنود ، وأدى التحية العسكرية ، قبل أن يقول فى حيرة واضحة :

- سيِّدى .. هناك جثة لمدنى وسط الحطام .

ارتفع حاجبا القائد فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

- مدنى ؟!!.. ولكن الأوراق التى لدينا تشير إلى أنها طائرة عسكرية ، فى مهمة خاصة لجنوب (إفريقيا) ، ومن المحظور وجود أى مدنيين بين ركابها .

أجابه الجندى :

ـ ولكنه هناك بالفعل يا سيدى ، ولقد لقى الجميع مصرعهم ، ونحن نحاول البحث عن هويته .

عقد القائد حاجبيه فى توتر شديد ، قبل أن يجيب :

ـ أخرجوا جثته وحدها ، وسأتصل بالرؤساء ، فى محاولة لكشف هذا الغموض .

ولم يكد الضابط يجرى اتصاله برؤسائه ، حتى بدأت سلسلة من الاتصالات السرية ، فى طول (إسرائيل) وعرضها ، وسرعان ما انطلق اثنان من رجال (الموساد) ، لاستقبال الجثة المدنية ، وما أن كشف وجه صاحبها ، حتى قال أحدهما فى حزم :

ـ إنه (كاهان) ..

ثم سأل فى اهتمام :

ـ هل تم جرد محتويات الطائرة جيدًا ؟!.. أهناك كشف بكل شىء ؟

أجابه قائد فريق البحث :

ـ نعم .. لقد استعدنا كل ما أمكننا استعادته ، ولكنه ليس بالشىء الكثير ، فآثار الأقدام المحيطة بالحطام ، تشى بأن بعض البدو أو الرعاة قد وصلوا إليه قبلنا ، وجردوه من كل الأشياء الثمينة ، فلم نجد ساعة واحدة فى يد صاحبها ، وحتى الأحذية ومظلات الهبوط والأسلحة ، تم الاستيلاء عليها كلها .

سأله أحد الرجلين :

ـ وماذا عن الحقيبة ؟

قال الرجل فى حيرة :

ـ أية حقيبة ؟!

أجابه رجل (الموساد) :

ـ كل الشهود أكدوا أن الرجل كان يحمل حقيبة أوراق سوداء صغيرة ، ويمسك بها فى حرص شديد ، فأين ذهبت ؟

هز كتفيه ، وهو يقول :

ـ ومن يدرى ؟.. إننا لم نعثر على أية حقائب وسط الحطام .

قال رجل (الموساد) الآخر فى صرامة :

ـ أأنت واثق من هذا ؟

أجابه قائد فريق البحث فى حزم :

ـ تمام الثقة ، ويمكنكما مراجعة الأمر كله بنفسيكما .

تبادل رجلا (الموساد) نظرة طويلة ، قبل أن يقول أحدهما :

ـ سنفعل .

وكان محقًا فى قوله هذا ، فخلال الأيام الثلاثة التالية ، قام فريق خاص من (الموساد) بإعادة فحص حطام الطائرة بدقة متناهية ، استخدمت فيها أحدث وسائل الفحص الإليكتروني ، وتم تشريح جثة (كاهان) ، وإفراغ محتويات معدته ، خشية أن يكون قد ابتلع (الميكروفيلم) ، أو أخفاه داخل جسده ، وفى نفس الوقت ، بدأ فريق آخر فى استجواب كل سكان المنطقة ، من عرب وإسرائيليين ، بمنتهى الحزم والقسوة ، دون أن يسفر هذا عن شىء محدد ، حتى ظهر الثانى عشر من يناير ، عندما طلب رئيس قسم العمليات الخاصة مقابلة مدير (الموساد) ، ولم يكد يلتقى به ، حتى قال فى توتر شديد :

ـ الوثائق ظهرت يا سيادة المدير .

سأله المدير فى لهفة :

- وأين هى ؟

ازدرد الرجل لعابه ، قبل أن يقول :

- لن يمكنك أن تتخيَّل أبدًا .

وكان الجواب مدهشا ..

مدهشا بحق ..

★ ★ ★

«تفضَّل يا (أدهم) ...» .

نطق مدير المخابرات العامة المصرية هذه العبارة ، وهو يستقبل (أدهم صبرى) فى مكتبه ، ودعاه للجلوس ، مستطردًا :

- لدىَّ أمر أحب استشارتك بشأنه .

قال (أدهم) بهدوئه التقليدى :

- أنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

ناوله المدير بعض الأوراق ، وهو يسأله :

- ما رأيك فى هذا ؟

طالع (أدهم) الأوراق فى سرعة واهتمام ، قبل أن يقول :

- تبدو لى كملخص مختصر للغاية ، لبعض الوثائق الإسرائيلية ، مطبوع باللغة الإنجليزية ، ولكنه يفتقر إلى كثير من الدقة والتفاصيل ، كما لو أن صاحبه لا يتقن ما يفعله .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- بالضبط .. وهذا الملخص تم توزيع نسخة منه على كل السفارات ، التى يمكن أن يهمها الأمر ، فى (أثينا) كلها ، بما فى ذلك

السفارة الإسرائيلية ، مع جواب يشير إلى أن أحدهم يمتلك الوثائق الأصلية ، ويرغب فى بيعها لمن يدفع ثمنًا أكبر .

سأله (أدهم) :

- وكيف حصل على الوثائق الأصلية ؟

هزَّ المدير رأسه ، قائلًا :

- لا أحد يدرى ، وخاصة أنه من الواضح أن ذلك الشخص ليس محترفًا ، ولقد عرضت الأمر على لجنة من الإخصائيين ، وطلبت رأيهم ، فتوصَّلوا إلى تحليلين لا ثالث لهما ، فإما أن كل هذا مجرَّد عبث صبيانى ، يقوم به بعض طلبة الجامعة اليونانية ، دون أن يشعروا بخطورة أو حساسية ما يفعلون ، وإما أن تكون بعض الوثائق الخطيرة قد وقعت فى يد شخص ما ، أدرك أهميتها ، فجازف بما فعل ، عسى أن يصيب ثروة طائلة دون جهد كبير .. والسؤال هو : أى التحليلين يبدو لك أكثر منطقية .

أجاب (أدهم) بسرعة :

- كلاهما .

ثم استدرك بعد فترة من الصمت :

ولكننى أعتقد أنه من الأفضل أن نتحرَّك ، بافتراض أن التفسير الثانى هو الصحيح ، حتى لا نفقد شيئًا من الكعكة ، لو أنها حقيقية .

أشار المدير بسبَّابته ، قائلًا :

- بالضبط .. وهذا ما استقر عليه رأى الجميع فى النهاية ، فخير لنا أن نتعامل وكأنها وثائق حقيقية ، ثم يتضح العكس ، من أن نتجاهلها ثم نندم على هذا .

صمت (أدهم) لحظة أخرى، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أن هناك مؤشرًا قد يرشدنا إلى الحقيقة .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ وما هو ؟

أجابه (أدهم) :

ـ رد فعل الإسرائيليين .

ابتسم المدير، وتراجع فى مقعده، وهو يقول :

ـ إنهم ليسوا أغبياء .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ بالتأكيد، ولهذا سيكون رد فعلهم مناسبًا لعقليتهم، ولو أن هذه الوثائق زائفة، فسيتجاهلون الأمر تمامًا، أما لو كانت حقيقية، فسيبذلون قصارى جهدهم لإثبات أنها زائفة، ومن هنا يمكننا فهم حقيقة الأمر .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه، وقال :

ـ هذا صحيح، ولكن أيًا كان الأمر، فالمفروض أن نبدأ مفاوضاتنا مع صاحب الوثائق، قبل أن يفعل الآخرون .

ابتسم (أدهم)، وهو يقول :

ـ متى أسافر إلى (أثينا) يا سيدى ؟

نهض المدير من خلف مكتبه، وتطلّع عبر نافذة الحجرة لحظة، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ الآن .. ستنطلق طائرتك بعد ساعة ونصف الساعة .

سأله (أدهم) :

ـ وماذا عن المتفاوض ؟.. كيف وأين ألتقى به ؟

أجابه المدير :

ـ لقد ترك رقم صندوق بريد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية، وهو يقول :

ـ كنت أتوقع هذا .. إنه لا يمت بصلة لعالمنا، وإلا لعلم أن صناديق البريد يمكن مراقبتها بسهولة .

غمغم المدير :

ـ أعتقد أنه اتخذ الاحتياطات اللازمة .

قال (أدهم) :

ـ بالتأكيد، ولكن هل يمكن أن تمنحه تلك الاحتياطات القدرة على اللعب مع المحترفين ؟.. هذا هو السؤال .

وكان (أدهم) على حق ..

هذا هو السؤال ..

★ ★ ★

لم يكد مدير المخابرات الإسرائيلى يدلف إلى قاعة التدريبات الخاصة بمبنى (الموساد)، حتى ارتفع صوت أنثوى حازم يهتف :

ـ انتباه .

وتحرّكت صاحبة الصوت مع ثلاثة من الرجال الأشداء، فضرب جميعهم كعوبهم بالأرض فى آن واحد، وارتفعت أيديهم بالتحية العسكرية فى قوة، فحدجهم المدير بنظرة فاحصة، قبل أن يقول :

ـ استرح .

ثم التفت إلى الأنثى، ذات الشعر الأشقر والجسد الممشوق، الذى تبرز فى أرجائه عضلات قوية، أشبه بعضلات رجل قوى، وقال :

ـ هل انتهيت من اختيار فريقك أيتها النقيب (راشيل) ؟

أجابته (راشيل جولدمان) فى صوت قوى :
- نعم يا سيادة المدير .. هل تأمرنى بتقديمهم إليك ؟
أشار المدير بيده ، قائلا فى اقتضاب آمر :
- ابدئى .
تحركت الفاتنة الشقراء فى خطوات عسكرية صلبة ، وتوقفت أمام أول الرجال الثلاثة ، وهى تقول :
- (بترو دينوفسكى) .. ملازم فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، وخبير فى رياضات الدفاع عن النفس .. (الجودو)(*) ، و (الكاراتيه)(* *) ، و (التايكوندو)(* * *) .. بولندى الأصل .. يجيد العربية والإنجليزية .
أومأ المدير برأسه موافقًا ، فانتقلت إلى الثانى ، وواصلت :
- (ناحوم آريان) .. ملازم فى القوات الخاصة ، التحق حديثًا بصفوف (الموساد) .. من أب يونانى وأم إسرائيلية .. يجيد قيادة السيارات ، وإطلاق النار ، واستخدام كل أنواع المتفجرات .
منحها المدير إيماءة رأسه مرة ثانية ، فتابعت مشيرة إلى الأخير :
- (كوهين شيرمان) .. ملازم من (الموساد) .. نشأ وقضى

(*) الجودو : نوع من أنواع المصارعة ، نشأ فى (اليابان) ، ولا يتطلب قوة عضلية كبيرة ، بل يعتمد على تطبيق الأسس التشريحية للجسم البشرى ، بحيث يستطيع اللاعب التغلب على خصم يفوقه وزنًا وحجمًا وقوة .

(* *) الكاراتيه : رياضة حديثة من رياضات الدفاع عن النفس ، نشأت فى (الصين) ، إبان الاحتلال اليابانى ، وانتشرت بالعالم كله .

(* * *) التايكوندو : تطوير حديث لعدد من رياضات الدفاع عن النفس ، ينصب فى قالب واحد ، يستخدم فيه المقاتل قدميه بأكثر مما يستخدم قبضتيه .

طفولته فى (النمسا) ، وتلقى ست دورات فى فن تحليل الوثائق والمعلومات .
أدار مدير (الموساد) عينيه فى تلك النخبة الصغيرة ، قبل أن يسأل :
- هل فهمتم طبيعة مهمتكم جيدًا ؟
أجابه (بترو) :
- النقيب (راشيل) شرحت لنا الأمر بكل التفاصيل .
قال المدير :
- هذا جيد .. تعلمون إذن أن المطلوب منكم هو السفر مباشرة إلى (أثينا) ، واستعادة الوثائق ، وهذا بمنتهى الاختصار ، أما لو أردتم معرفة التفاصيل ، فسيكون لنا حديث آخر .
اندفع (ناحوم) ، قائلًا :
- كلنا آذان صاغية .
أدار المدير إليه عينيه ، فاستدرك فى خفوت :
- لو أن لديك الرغبة فى الحديث .
رمقه المدير بنظرة صارمة قصيرة ، قبل أن يقول :
- الذى ينبغى أن تعلموه أولا ، هو أن الحصول على الوثائق ليس هدف المهمة الرئيسى والوحيد ، فنحن نعلم أن حاملها ينتظر رسالتنا فى صندوق بريد المترو الرئيسى ، رقم واحد وسبعين ، ولو وضعنا خطة محكمة ، مع شخص غير محترف كهذا ، فالأرجح أننا سننجح فى الحصول على تلك الوثائق ، ولكن هذا لا يعنى أن المهمة قد نجحت ، فالوثائق الموجودة عبارة عن ترجمة للوثائق الأصلية ،

المكتوبة باللغة العبرية ، والتى تم الحصول عليها عن طريق (الميكروفيلم) ، وذلك بطبع الصور ، وترجمتها إلى عدد من اللغات ، ومن الضرورى أن تتعقبوا خط سير هذه الوثائق ، وتعملوا جاهدين على استعادة (الميكروفيلم) ، وتدمير الصور الأصلية ، والنسخ المترجمة ، وتجارب الصور ، وأية قطعة منها ، حتى الملقاة فى سلة المهملات ، ومسودات الترجمة ، ومحاولاتها المختلفة .. باختصار .. أريد منكم أن تمحوا كل أثر لهذه الوثائق من الوجود .

غمغمت (راشيل) :

ـ لن تكون مهمتنا سهلة .

أجاب المدير :

ـ بالتأكيد ، فلسنا وحدنا من سيهتم بتلك الوثائق .. صحيح أن المصريين لم يبدوا رد فعل واضح حتى الآن ، ولكننا واثقين من أنهم لن يتخلوا عن السباق ، أما الأمريكيون ، فقد دخلوا اللعبة بالفعل .

هتف (بترو) :

ـ حقًا ؟!

قال المدير :

ـ المعلومات التى وصلتنا تقول : إنكم ستواجهون اثنين من أقوى رجال المخابرات الأمريكية .. (بروس ماكنيللى) .. الملحق العسكرى فى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى (أثينا) ، والجاسوس السابق فى (الصين) ، و (أرنولد ويلز) .. مسئول التجسس الخارجى فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهما رجلان لا يستهان بهما ، وقدراتهما قد تبلغ قدرات رجالنا فى (الموساد) .

سألته (راشيل) :

ـ وهل هناك أوامر خاصة ، بشأن التعامل معهما ؟

بدت الصرامة على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ لا توجد أوامر خاصة بشأن أى كائن كان ، ولا توجد لوائح أو قواعد ، باستثناء قاعدة واحدة ، يتم تطبيقها بالنسبة لأى مخلوق ، مهما بلغت صفته ، تعامل بأى شكل أو صورة من الصور مع تلك الوثائق ، فكل من طبع صورها ، أو ترجمها ، أو حملها ، أو حتى ألقى نظرة واحدة عليها ، مهما بلغت سلبيته ، سيكون عليكم مواجهته بأسلوب واحد لا غير .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ القتل .. القتل بلا رحمة .

وكانت هذه هى البداية ..

* * *



٣ ـ لغـة الدم ..

(أثينا) : الثالث عشر من يناير ..

★ ★ ★

ازدحمت محطة المترو الرئيسية فى قلب (أثينا) ، فى تلك الساعة من النهار ، وراح روادها يتحركون فى سرعة ونشاط ، وكل منهم يحمل حقيبته ، فى طريقه إلى عمله ، فيما عدا شخصًا واحدًا قصير القامة ، أصلع الرأس ، بدا متراخيًا كسولًا ، على نحو يتناقض مع كل المحيطين به ، وهو يشعل سيجارة رخيصة ، وينفث دخانها فى شىء من البلادة ، متجهًا فى خطوات بطيئة متخبطة ، نحو صناديق البريد الخاصة ..

ولعشر دقائق أو يزيد ، وقف الرجل أمام الصناديق ، وأولاها ظهره ، وراح ينفث دخان سيجارته فى بطء مثير ، وعيناه تجوبان المكان فى تراخ عجيب ، ثم لم يلبث أن استدار إلى الصناديق ، وأخرج من جيبه مفتاحًا ، فتح به الصندوق رقم واحد وسبعين ، وتطلّع إلى الخطابات العديدة داخله ، ثم أخرج من جيبه كيسًا من البلاستيك ، نقل إليه كل الخطابات ، وحمله فى لامبالاة مغادرًا المحطة ..

ومن بعيد ، تمتم (ناحوم) :

ـ أهذا القصير الأصلع هو غايتنا ؟

أجابته (راشيل) :

ـ لست أعتقد هذا ، فحتى لو لم يكن الرجل محترفًا ، فهو يدرك

حتمًا أن مراقبة صندوق البريد الذى اختاره ، ليست بالأمر العسير ، ولن يغامر بالقدوم إلى هنا بنفسه .

كان الأصلع يتجه فى هذه اللحظة نحو باب المحطة ، إلا أنه توقف فجأة ، ليلقى سيجارته أرضًا ، ويسحقها بقدمه فى بطء ، وراح يبحث فى جيوبه عن سيجارة أخرى ، ثم لم يلبث أن عاد أدراجه إلى المحطة ، وكأنه يهم بشراء علبة سجائر جديدة ، فتمتم (ناحوم) :

ـ هذا الرجل لا يصلح حتى كخفير لخط سكك حديدية غير مستعمل .

لم تعلّق (راشيل) على عبارته ، وهى تتابع الأصلع ببصرها ، وانعقد حاجباها الجميلان فى توتر ، عندما رأته يقترب من حاجز المترو ، و ...

وفجأة ، اندفع الرجل إلى المحطة ، فهتف (ناحوم) :

ـ إنه يحاول الفرار .

وانطلق يعدو مع (راشيل) نحو محطة المترو ، وما إن بلغاها حتى انعقد حاجبا (ناحوم) ، وهو يغمغم :

ـ اللعنة !.. ما الذى يفعله بنا هذا الرجل ؟

كان الأصلع يقف هادئًا على رصيف المترو ، حاملًا الكيس البلاستيكى الصغير ، ومتطلعًا إلى المترو القادم بنظرة بسيطة ، شأن أى راكب عادى ، مما جعل (راشيل) تقول فى شىء من الغضب :

ـ هذا الرجل يعبث بنا لسبب ما .

قال (ناحوم) فى حدة :

ـ لو واصل هذا سأقتله .

أجابته فى صرامة :

- اهدأ وتماسك يا رجل .. لن أسمح لك بإفساد الخطة من أجل انفعال تافه .

كظم (ناحوم) غيظه فى أعماقه ، ووقف يراقب الأصلع ، الذى ظل هادئا ، فى انتظار المترو ، الذى دخل إلى الرصيف فى سرعة ، وتوقف ليفتح أبوابه ، ويسمح بحركتى الصعود والهبوط ..

ولثوان ، غادر العشرات المترو ، وركبه عشرات آخرون ، دون أن يتحرك الأصلع من مكانه ، أو يبدى اهتمامًا بالأمر ، وكأنه لم يفكر قط فى ركوب المترو ، وإن أمسك الكيس فى قوة ..

وفى حيرة ، تمتم (ناحوم) :

- لماذا لم يركب ؟

أجابته (راشيل) ، وهى تقترب معه من أحد أبواب المترو الأخرى :

- ربما كان فى انتظار قدوم شخص ما ، أو أنه يهم بالقفز داخل المترو فى اللحظة الأخيرة ، وينبغى أن نستعد للحاق به لو فعل .

ولكن الأصلع استدار فجأة ، وابتعد عن المترو ، وكأنه يهم بمغادرة المحطة مرة ثانية ، فهتفت (راشيل) هذه المرة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

كانت أبواب المترو تتحرك فى اتجاه الإغلاق ، عندما استدار الرجل فجأة ، وألقى الكيس نحو فتحة أحد الأبواب بكل قوته ، فتحرك شاب قوى فى سرعة ، داخل المترو ، والتقط الكيس فى خفة ومهارة ، ثم تراجع فى اللحظة الأخيرة ، ليغلق المترو أبوابه ، ويبدأ تحركه ..

وهتفت (راشيل) فى غضب :

- اللعنة !.. لقد خدعنا .

ثم انطلقت تعدو إلى خارج المحطة ، هاتفة بزميلها (ناحوم) :

- حاول أن تحصل على ما لديه من معلومات .

اندفع الأصلع يجرى ، وانطلق خلفه (ناحوم) بكل قوته ، فى حين غادرت (راشيل) المحطة ، ووثبت داخل سيارة تنتظرها ، ويجلس داخلها (بترو) و (كوهين) ، وهتفت :

- المحطة التالية بأقصى سرعة .. لقد خدعنا الرجل .

ودون أن يلقى عليها (كوهين) سؤالًا واحدا ، انطلق بالسيارة على الفور ، فى محاولة لبلوغ محطة المترو التالية فى الوقت المناسب ..

أما (ناحوم) ، فقد ركض خلف الأصلع بكل قوته ، وأمسك كتفه فى قوة ، وهو يقول فى صرامة باليونانية :

- انتظر يا رجل .. لى حديث معك .

استدار القصير فى توتر ، وحاول أن يهوى على فكه بلكمة عنيفة ، ولكن (ناحوم) تفادى اللكمة فى خفة ، ثم حطم فك الرجل بلكمة قوية ، فصاح الأصلع فى ألم مذعور ، وهو يحاول إيقاف نزيف أنفه :

- لقد حطمت أنفى .. ليس لك الحق فى هذا .. سوف أبلغ الـ ...

أخرسه (ناحوم) بلكمة عنيفة فى معدته ، شهق لها الرجل فى ألم رهيب ، قبل أن يجذبه الإسرائيلى فى قسوة إلى ركن مظلم ، ثم ينتزع مسدسه المزوّد بكاتم للصوت من حزامه ، ويلصقه بعنقه ، قائلًا فى خشونة :

- لماذا فعلت هذا ؟

هتف الرجل مذعورًا :

- لقد نفذت ما طلبوه منى .. أخذت الخطابات ، ووضعتها فى

كيس ، ألقيته لذلك الشاب فى اللحظة الأخيرة ، قبل إغلاق أبواب المترو .

سأله (ناحوم) فى غلظة :

ـ ومن طلب منك هذا ؟

لوّح الرجل بذراعيه ، هاتفًا :

ـ وما شأنك بهذا ؟.. إنها أسرار العمل ، وليس من عادتى أن ...

قاطعه (ناحوم) بطلقة صامتة من مسدسه ، اخترقت فخذ الرجل ، فاتسعت عيناه فى ألم وارتياع ، وصرخ :

ـ آه .. إنك تقتلنى .

دفع (ناحوم) ماسورة المسدس فى حلقه ، وهو يقول :

ـ لو ارتفع صوتك مرة أخرى ، ستخترق رصاصتى جمجمتك من الداخل دون رحمة .

اتسعت عينا الأصلع فى رعب لا مثيل له ، وسأله (ناحوم) :

ـ من أسند إليك هذه المهمة ؟

أجابه الرجل فى ارتياع :

ـ لست أعلم من أصحاب العمل .

قال (ناحوم) فى غضب :

ـ هل تحتاج إلى رصاصة أخرى ، لحل عقدة لسانك ؟

صرخ الرجل :

ـ كلّا .. كلّا .. أرجوك .. سأخبرك بكل ما لدى ، ولكن لا تقتلنى .

قال (ناحوم) فى حدة :

ـ فليكن .. أبلغنى ما لديك ، ولن أقتلك .

ارتفع من خلفه صوت ساخر يقول بغتة :

ـ كاذب .

استدار (ناحوم) فى سرعة ، ليواجه صاحب الصوت ، فاستقبلته لكمة كالقنبلة فى أنفه ، غامت لها عيناه ، فى نفس اللحظة التى أمسكت فيها أصابع كالفولاذ بمعصمه ، ولوته لتجبره على إلقاء مسدسه ، مع صوت ساخر يستطرد :

ـ من الخطأ أن تلهو بالأسلحة النارية .

ثم هوت لكمة أكثر عنفًا على معدته ، وصاحبها يضيف :

ـ فهذا يبلّل فراشك فى المساء .

ارتطم (ناحوم) بالجدار ، وسقط مسدسه أرضا ، ووقع بصره على خصمه ، الذى بدا هادئًا على نحو عجيب ، وهو يقترب منه بابتسامة ساخرة ، فاندفع نحوه ، محاولًا لكمه فى أنفه ، وهو يقول :

ـ ادخر سخريتك لنفسك يا رجل .

مال خصمه ، متفاديًا اللكمة فى خفة ، ثم لكمه مرة ثانية فى معدته ، وهو يقول :

ـ كلّا .. إننى أفضل منحك إياها عن آخرها .

ثم وثب فى رشاقة ، وركله فى وجهه ، مستطردًا :

ـ ولا تحاول رد الهدية .

ارتطم رأس (ناحوم) بالجدار هذه المرة ، وسقط فاقد الوعى ، عند قدمى الأصلع ، الذى اتسعت عيناه فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، قائلًا بصوت مرتجف وحروف مرتعدة :

ـ ما .. ماذا تريد منى ؟

ألقى (أدهم) نظرة على الإصابة فى فخذ الرجل، ثم جذبه من ذراعه، قائلًا :

ـ أريد أن أسعفك أوّلًا .

راح الرجل يحجل إلى جواره، والدماء تغرق ساقه، وروّاد المحطة يتطلعون إليه فى دهشة بالغة، حتى وضعه (أدهم) داخل سيارته، وجلس على مقعد القيادة، وانطلق بالسيارة، وهو يسأله :

ـ من أسند إليك هذه المهمة ؟

نطق (أدهم) السؤال فى لهجة آمرة صارمة مخيفة، تجمّدت لها دماء الرجل فى عروقه، وهو يتمتم فى شحوب :

ـ أنت أيضًا ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ نعم .. ولكننى أختلف كثيرا عن صديقنا، الذى يرقد فاقد الوعى فى المحطة .

ثم رمقه بنظرة مخيفة، مستطردًا :

ـ فأنا لا أضيع الوقت فى إطلاق النار على السيقان أو الأذرع .

انكمش الأصلع فى مقعده، وهتف :

ـ (كوستا زافيروسّ) .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ـ ومن (كوستا زافيروس) هذا ؟

قال الرجل فى عصبية مذعورة :

ـ صاحب بار (البجعة البيضاء) .. إنه الرجل الذى عرض علىّ العمل، لحساب أحد عملائه، ولكننى لم أر ذلك العميل قط .. (كوستا)

هو الذى شرح لى ما سأفعله، ونقدنى مائة دولار أمريكى مقابل هذا .. أقسم إننى لم أكن أعلم أن الأمر جاد .. لقد تصوّرتها مجرّد مزحة سخيفة، ولم يكن الأمر يعنينى، مادمت سأقبض أجرى .

صمت (أدهم) لحظة، وهو يقود السيارة بملامح جامدة، جعلت قلب الأصلع يخفق فى شدة، قبل أن يهتف بلهجة أقرب إلى البكاء :

ـ أقسم لك إنها الحقيقة .

صمت (أدهم) لحظة أخرى، قبل أن يسأله :

ـ وأين بار (البجعة البيضاء) هذا ؟

ألقى إليه الرجل العنوان فى سرعة، فأومأ (أدهم) برأسه فى صمت، جعل الرجل يسأله فى حذر :

ـ ألن تدوّن العنوان ؟

أجابه فى برود :

ـ لا داعى لهذا .

ثم توقف بالسيارة أمام بناية فاخرة، وأخرج من جيبه ورقتين من فئة المائة دولار، ناولهما للرجل المندهش، وهو يقول :

ـ اصعد للطابق الثالث، وأخبر الدكتور (يورغو) أنك قادم من طرف (جمعية أصدقاء الهرم الأكبر)، وسيداوى جرحك، ويستخرج الرصاصة من ساقك، دون أن يلقى عليك سؤالًا واحدًا، ومن الأفضل أن تبحث بعدها عن مكان جيد للاختباء، أو حتى تغادر (أثينا) كلها، فهؤلاء الذين أطلقوا النار على فخذك لن يكتفوا بهذا، وسينبشون الأرض بحثًا عنك، وعندما يتوصلون إليك، سيرتفع موضع الرصاصة كثيرًا جدًا .

شحب وجه الأصلع ، وهو يقول :

ـ أشكرك .. أشكرك كثيرًا يا سيِّدى الكريم .

وغادر السيارة فى سرعة ، قبل أن يتراجع (أدهم) فى رأيه ، وانطلق يحجل نحو البناية ، وعيناه تبحثان عن لافتة تحمل اسم الدكتور (يورغو) فى حين انطلق (أدهم) بالسيارة ، متجهًا إلى الهدف التالى ..

إلى بار (البجعة البيضاء) ..

* * *

اخترق (كوهين) ثلاث إشارات مرور على الأقل ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعته ، فى محاولة للحاق بالمترو ، قبل أن يبلغ المحطة التالية ، وعندما توقَّف أمامها مباشرة ، كان بوق إحدى دراجات الشرطة الآلية يلاحقه فى إصرار ، فقال لـ (راشيل) و (بترو) فى توتر :

ـ اذهبا أنتما ، وسأتولَّى أنا أمر الشرطى .

غادر الاثنان السيارة فى سرعة ، وانطلقا يعدوان نحو المحطة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها المترو ، وهو يتجه نحو الرصيف ، فهتفت (راشيل) :

ـ راقب أنت الأبواب جيدًا ، وسأفحص أنا المترو من الداخل ، حتى نعثر على ذلك الشاب .

قالتها وهى تواصل ركضها نحو المترو ، الذى توقَّف عند الرصيف ، وانفتحت أبوابه كلها ، فتوقَّف (بترو) يراقب الأبواب فى انتباه شديد ، فى حين قفزت (راشيل) داخل المترو ، وراحت تتحرَّك

داخله فى سرعة ، وعيناها تدوران فى وجوه الحاضرين فى اهتمام متفحِّص ..

وفجأة ، لمحت ذلك الشاب ، الذى التقط كيس الخطابات ..

لمحته خارج المترو ، يسير فى خطوات سريعة ، فى طريقه لمغادرة المحطة ..

ورأت (بترو) يعترض طريقه ، ويستوقفه ، فاندفعت نحو باب المترو ، وقفزت منه قبل أن يغلق أبوابه ثانية ، وأسرعت إلى حيث يقف الاثنان ، وسمعت الشاب يقول لـ (بترو) فى عصبية :

ـ ماذا تريد منى ؟.. ما شأنك بى ؟

انتزعت مسدسها ، وألصقت فوهته بظهره بغتة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لا تعترض .

انتفض الشاب فى ارتياع ، وهتف :

ـ ما هذا ؟

أجابته ، وهى تدفعه أمامها فى قسوة :

ـ مسدس مزوَّد بكاتم للصوت ، يمكننى قتلك به فى لحظة واحدة ، دون أن يشعر مخلوق واحد بهذا .

ارتجف وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تريدين منى ؟.. بل ماذا تريدان ؟

سأله (بترو) فى خشونة ، وهو يدفعه خارج المحطة :

ـ أين الكيس ؟

قال الشاب :

ـ أى كيس ؟

أجابته (راشيل) :

ـ كيس الخطابات ، الذى ألقاه إليك الأصلع ، فى المحطة السابقة ، قبل لحظة من إغلاق الأبواب .

قال الشاب متوترًا :

ـ ليس معى .

سأله (بترو) فى غضب :

ـ ماذا تعنى بأنه ليس معك ؟.. أين ذهب ؟

أجابه الشاب مرتجفًا :

ـ لقد أعطيته لتلك المرأة .

ـ توقفت (راشيل) فجأة ، وقالت :

ـ أية امرأة ؟

أجاب بلهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ تلك الشقراء ، التى أخبرونى بأمرها .. لقد التقت بى فى المترو كما قالوا ، وسألتنى : هل أحمل خطابات خاصة ، فأعطيتها الكيس ، وانتقلت إلى عربة أخرى من عربات المترو ، ثم غادرته فى المحطة التالية مباشرة .. لقد نفذت الأوامر بحذافيرها ، فما الخطأ فى هذا ؟

تبادلت (راشيل) نظرة عصبية متوترة مع (بترو) ، ثم دفعت الشاب أمامها فى سرعة نحو السيارة ، وهى تسأله فى حدة :

ـ هل يمكنك تعرّف تلك الشقراء ؟

أجابها متوترًا :

ـ بالتأكيد .

كان (كوهين) يسدد غرامة السرعة لضابط الشرطة ، الذى ناوله المخالفة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حذار أن تتجاوز السرعة المقرّرة مرة أخرى ، فالغرامة تتضاعف مع المخالفة الثانية .

غمغم (كوهين) :

ـ بالتأكيد .

وفى نفس اللحظة ، دفعت (راشيل) الشاب داخل السيارة ، وقفز (بترو) إلى المقعد الآخر ، وهى تقول :

ـ إلى المحطة التالية يا (كوهين) .. لقد خدعونا مرة ثانية .

لم يكد (كوهين) يسمع قولها ، حتى ضغط دوّاسة الوقود ، وانطلقت بهم السيارة كالصاروخ ، فاتسعت عينا الشرطى لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول فى غضب شديد :

ـ اللعنة !

ثم انطلق خلفهم فى حنق ، فى حين تجاهله (كوهين) تمامًا ، وهو يسأل (راشيل) :

ـ أهذا هو الشاب ؟

أجابته فى توتر :

ـ نعم .. ولكنهم خدعونا مرة ثانية ، فهناك شقراء حصلت على الرسائل من الشاب .

سألها (كوهين) :

ـ وهل تأكّدت من أنها واصلت طريقها فى المترو ، ولم تغادره فى المحطة نفسها ؟

أجابته بسرعة :

ـ نعم .. لو أننى فى موضع من وضع تلك الخطة المعقّدة ، لما جعلتها تغادر المترو مع الشاب ، حتى لايتعرّفها أو يدرك وجهتها .

عقد (كوهين) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أظنهم أخبرونا أننا نتعامل مع شخص غير محترف .

أجابته فى عصبية :

ـ من الواضح أنه بدأ يتصرَّف كمحترف ، أو أنه يمتلك ذكاءً جيدًا .

كانوا يتبادلون الحديث بالعبرية ، فهتف الشاب :

ـ من أنتم بالضبط ؟.. وبأية لغة تتحدثون ؟

صاحت به (راشيل) فى صرامة ، وهى تضغط فوهة المسدس بجانبه :

ـ اصمت .

ابتلع لسانه على الفور ، وتمنى لو أن بوق الشرطة المنطلق خلف السيارة ، أمكنه اللحاق بها ، حتى ينقذه رجل الشرطة من براثن هؤلاء المجانين ، ولكن السيارة سبقت رجل الشرطة بمسافة طويلة ، وبلغت محطة المترو قبله ، فدفعت (راشيل) الشاب خارج السيارة ، وقالت فى صرامة خشنة :

ـ هيا بنا .

تبعها (بترو) إلى داخل المحطة ، وكان المترو قد وصل بالفعل ، وبدأ الركاب فى مغادرته ، فسألت (راشيل) الشاب :

ـ هل تراها بين المغادرين ؟

أدار الشاب عينيه فى الرءوس الشقراء ، ثم هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلَّا .

استعرضت (راشيل) معه كل الوجوه ، قبل أن تدفعه داخل المترو ، قائلة :

ـ ربما لم تغادر المترو بعد .

أغلق المترو أبوابه ، وانطلق بهما مواصلًا طريقه ، فى حين بقى (بترو) على رصيف المترو ، وتحرَّكت (راشيل) مع الشاب بين عربات المترو ، وهى تقول فى توتر :

ـ ألم تلمحها قط ؟

أجابها الشاب ، وهو أشد توترًا منها :

ـ ليس بعد .

وفجأة ، هتف فى شىء من الدهشة :

ـ ها هوذا .

قالت فى توتر :

ـ ها هوذا ؟!.. إننا نتحدَّث عن امرأة .

اندفع نحو أحد المقاعد ، قائلًا :

ـ وأنا أتحدَّث عن الكيس .

حدَّقت فى الكيس الذى يشير إليه لحظة فى عصبية ، ورأته يلتقطه مستطردًا :

ـ إنه نفس الكيس ، الذى ألقاه إلىَّ الأصلع .

ثم مدَّ يده داخله ، وأخرج باروكة شقراء ، تعلَّق بها بصر (راشيل) لحظة ، قبل أن تهتف بغضب الدنيا كله :

ـ اللعنة .

لقد خدعها صاحب الوثائق مرة أخرى ..

وغلى الدم فى عروقها ، وهى تلقى الكيس أرضًا ، ثم تدفع الشاب أمامها إلى عربة المترو الأخيرة ، وهو يقول مذعورًا :

ثم مدَّ يده داخله ، وأخرج باروكة شقراء ، تعلَّق بها بصر (راشيل) ..

ـ لقد فعلت كل ما أمرت به .. أليس كذلك ؟.. أليس كذلك يا سيدتى ؟
ولكنها ألصقت فوهة المسدس بصدره ، وقالت فى حدة :
ـ اصمت .. قلت لك : اصمت .
وضغطت سبَّابتها زناد المسدس ..
وصمت الشاب ..
صمت إلى الأبد .



٤ ـ خطوة بخطوة ..

أطلق (كوستازا فيروس) ضحكة مجلجلة، تردد صداها فى البار الصغير الذى يمتلكه، وهو يداعب واحدة من عاملاته، قائلًا :

ـ إذن فأنت لا تميلين إلى شرب الخمور يا صغيرتى .. رائع .. هذا هو الطراز الذى أميل إلى التعامل معه من النساء، فشاربات الخمر لا ترقن لى قط .

أجابته الفتاة فى دلال، وهى تلقى شعرها الأسود الطويل خلف رأسها :

ـ وأنا كذلك يا (زافى) .. لا أميل قط إلى شاربى الخمر، فهم يفقدون السيطرة على عقولهم وتصرفاتهم، ويترنحون على نحو مقزز، وهم يتحدثون بشكل فظ .. والأدهى تلك الرائحة الكريهة، التى تتصاعد من أفواههم .. يا للهول ! .. لست أطيق الاقتراب منهم قط .

غمز (كوستا) بعينه، واهتز جسده البدين كله، وهو يقول :

ـ ولكنك تقدمين كئوس الخمر إليهم طوال الليل يا صغيرتى .

هزت كتفيها الجميلين، وهى تقول :

ـ إنه عملى .. أنا مثلك يا (زافى) .. أقدم الخمر، ولكننى لا أقربها قط .

قهقه (كوستا) ضاحكًا مرة أخرى، قبل أن يقول :

ـ هذا لأننا نتمتع بالذكاء يا صغيرتى، فالحمقى وحدهم من يسمحون للخمر بالسيطرة عليهم، وإفقادهم وعيهم واتزانهم .. ما من صاحب بار عاقل يقرب الخمر، مهما كانت مغرياتها، ومهما ...

قاطعه صوت (أدهم) بغتة، وهو يقول باليونانية :

ـ ومهما عانيت من أجلها، يا شيطان الإنس .

انتفضت الفتاة مذعورة، والتفتت إليه فى دهشة، ولم يكد بصرها يقع عليه، فى معطف المطر الأنيق الذى يرتديه، وبوسامته المعهودة، حتى هتفت :

ـ أوه .. من هذا ؟ .. نجم سينمائى جديد .

أما (كوستا)، فصاح فى حدة :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟

اتجه (أدهم) نحوه فى هدوء، وهو يقول :

ـ لى أساليبى الخاصة، وأريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة .

تراجعت الفتاة فى قلق، دون أن ترفع وجهها عن (أدهم)، فى حين قال (كوستا) فى عصبية :

ـ أأنت مفتش شرطة ؟! .. لا .. لست أعتقد أنك كذلك .. أنا أعرف كل ضباط ومفتشى الشرطة فى دائرتى .. من أنت بالضبط ؟

تجاهل (أدهم) سؤال (كوستا)، وواصل تحركه نحوه، وهو يسأله فى هدوء :

ـ لماذا طلبت من الأصلع إحضار الخطابات، من صندوق بريد محطة المترو ؟

هتف (كوستا) :

ـ لن أجيب أسئلتك .. لا شأن لك بى .. البار مغلق طوال النهار، ولا يفتح أبوابه قبل الواحدة ظهرا، وليس من حقك أن تقتحمه على هذا النحو .

توقف (أدهم) على قيد متر واحد منه ، تفصلهما طاولة البار ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يضع كفيه فى جيبى معطفه ، ويقول فى هدوء :

- أنت لم تجب سؤالى بعد .

هتفت الفتاة :

- آه .. تماما كما يحدث فى السينما .

أما (كوستا) ، فقد ارتجف لحظة ، ثم قال فى حدة :

- أنت تقتحم بارى عنوة ، والقانون يمنحنى الحق فى التصدى لك بكل الوسائل الممكنة .

كرر (أدهم) قوله بهدوء أشد :

- ما جوابك يا (كوستا) ؟

وفجأة ، اختطف (كوستا) بندقية ضخمة من أحد أرفف البار ، وهو يصيح فى شراسة مباغتة :

- عندما تتظاهر بالبطولة فى المرة القادمة يا صاح ، لا تضع كفيك فى جيبى معطفك ، ولا ...

قبل أن يتم عبارته ، وبسرعة مذهلة ، تكاد تتجاوز سرعة إبصار (كوسا) أخرج (أدهم) كفيه من جيبى معطفه ، وتحرك نحو البار ، وضرب يد (كوستا) فى قوة ، فأطاح بالبندقية ، وهو يقول فى صرامة :

- لقد طرحت عليك سؤالا محدودا .

ثم قبض على قميص الرجل ، وهو يستطرد :

- ولم أحصل على جواب بعد .

كان (كوستا) بدينا بالفعل ، ووزنه يتجاوز المائة بعشرة كيلوجرامات أو يزيد ، وعلى الرغم من هذا فقد انتزعه (أدهم) من مكانه بقوة مدهشة ، وحمله عبر طاولة البار ، ثم ألقاه فوق مائدة قريبة ، فتحطمت فى عنف ، وصرخت الفتاة مذعورة ، فى حين نفض (أدهم) كفيه ، وقال بنفس الهدوء :

- والآن يا (كوستا) .. هل لديك استعداد لتجيب أسئلتى ؟

تأوه (كوستا) لحظة ، ثم صرخ :

- (موستاش) .. (موستاش) .. النجدة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى وثب شاب هائل الحجم ، ضخم الجثة ، كث الشارب على نحو مدهش ، خارج قبو الخمور ، وهتف بصوت أجش غليظ :

- ماذا هناك يا (زافى) ؟

صرخ (كوستا) ، وهو يشير إلى (أدهم) :

- لقد ضربنى .. اقتله يا (موستاش) .. اقتله .

أطلق الشاب زمجرة وحشية عجيبة ، وهو يستدير نحو (أدهم) ، وقبضتاه تلوحان فى الهواء بشراسة ..

وفى سخرية ، ابتسم (أدهم) ، وقال :

- آه .. هذا هو الثور الهائج ، الذى تستخدمه لإرهاب الزبائن المشاغبين .

صرخ (كوستا) مرة أخرى :

- اقتله يا (موستاش) .. أريده أن يتمزق إربا .

وثب (موستاش) فجأة نحو (أدهم) ، وهو يطلق صرخة مخيفة ،

ولكن (أدهم) تفادى انقضاضته فى خفة، وركله فى مؤخرته بكل قوته، وهو يقول :

- كل الثيران تتشابه .

ارتطم الشاب ببعض الموائد، فتحطمت وسقطت معه أرضا، ولكنه نهض فى سرعة، وهو يطلق زمجرة أخرى، وقفز نحو (أدهم) مرة ثانية، وضمّ قبضتيه ليلكمه بكل قوته ..

وكانت لكمة عنيفة بالفعل، أصابت (أدهم) فى صدره، فألقته مترين كاملين إلى الخلف، ليرتطم بمائدة أخرى، ويسقط معها، فاندفع (موستاش) نحوه، وطوّق وسطه بذراعيه فى قوة، وهو يطلق صرخات وحشية مخيفة، جعلت الفتاة تصرخ فى ارتياع، فى حين هتف (كوستا) بأنفاس مبهورة :

- اعتصره يا (موستاش) .. اسحقه .

اعتصر (موستاش) جسد (أدهم) بذراعيه، فى قوة مدهشة، إلا أن هذا الأخير هتف :

- فى المرة القادمة حاول أن تحسّن أسلوبك .

ثم ركله بكل قوته بين ساقيه، مستطردا :

- ولا تواجه خصمك وجهًا لوجه .

تأوّه (موستاش) بخوار أشبه بالثور، وانحنى جسده فى ألم، وهو يلعن (أدهم) الذى هبط على قدميه، ثم وثب يركل الشاب فى وجهه بقوة، متابعًا فى سخرية :

- لو كانت هناك مرات قادمة .

سقط (موستاش) فى عنف، وصرخ فى غضب شديد، ثم التقط واحدة من زجاجات الخمر وأمسك عنقها، وحطّمها فى ثورة، هاتفًا :

- سأقطع عنقك .. سأذبحك كالنعاج .

وانقض على (أدهم) فى وحشية، ولكن هذا الأخير وثب إلى الخلف فى مرونة أنيقة، واعتلى مائدة من موائد البار، متفاديًا انقضاضة (موستاش)، ثم قفز يركل عنق الزجاجة من يده بقدمه اليسرى، التى لم تكد تتراجع، حتى وثبت اليمنى تضرب وجهه بضربة كالقنبلة، ارتدّ لها الشاب فى عنف، وسقط مع عدد آخر من موائد البار ..

ولكن المائدة التى يقف عليها (أدهم) لم تحتمل ..

لقد انزلقت بغتة، عندما عادت قدماه إليها، وسقطت معه فى عنف شديد، فارتطم جسده بعدد من المقاعد، دفعها عنه فى سرعة، ونهض، و ...

وفجأة، طوّقه (موستاش) بذراعيه من الخلف، وهو يصرخ :

- أشكرك على نصيحتك .. لقد استوعبت الدرس هذه المرة .

كان يقبض على وسط (أدهم) وذراعه اليمنى بكل قوته، فى حين أفلتت ذراع (أدهم) اليسرى، فهوى بها على جسد (موستاش) من الخلف، وهو يقول :

- مازالت تنقصك دروس كثيرة .

ولكن الشاب احتمل ضربات (أدهم)، على الرغم من قوتها وعنفها، وهو يطلق صرخات جنونية، ويعتصر صدره أكثر وأكثر، والفتاة تصرخ فى رعب، و (كوستا) يهتف :

- اقتله .. اقتله ..

وبدأ (أدهم) يشعر بالألم بالفعل، وبأنفاسه تضيق وتضيق، تحت قوة ذراعى (موستاش)، فهتف فجأة :

ـ فليكن أيها الثور .. سأنتزع لقبك إلى الأبد(*) .
وأدار يده اليسرى خلف ظهره ، وأمسك شارب (موستاش) فى قوة ، ثم جذبه فى عنف ، وهو يميل بجسده إلى الأمام دفعة واحدة ..
وأطلق (موستاش) صرخة ألم هائلة ، و (أدهم) يحمله من شاربه الكث ، ويجذبه عبر ظهره ، ليجبره على إفلات ذراعيه ، ثم يضرب به الأرض بكل ما يملك من قوة ..
وفى هذه المرة ، فقد الشاب وعيه بالفعل ، وسالت الدماء من منابت شاربه الضخم ، وران صمت رهيب مخيف على البار كله ، و (أدهم) يعتدل ، ويعدّل من هندامه فى هدوء ، ثم يصفّف شعره بأصابعه ، حتى قطعت الفتاة ذلك الصمت ، هاتفة فى انبهار كامل :
ـ يا للعجب !
أما (كوستا) فقد ارتجف جسده بأكمله ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، أمام نظرة (أدهم) الصارمة ، وصوته الحازم ، وهو يقول :
ـ ألنت مستعد لتجيب أسئلتى الآن ؟
وكان من المستحيل أن يحصل على جواب بالرفض ..
★ ★ ★
«لقد فشلنا ...» .
نطقتها (راشيل) فى غضب شديد ، وهى تواجه أفراد فريقها الثلاثة ، ثم استطردت فى حنق ساخط :
ـ أحد الهواة نجح فى خداعنا ، وفقدنا أثر الأصلع ، ثم ذلك الذى أفقدك الوعى يا (ناحوم) .

(*) كلمة (موستاش) باللغة الأجنبية تعنى الشارب .

غمغم (ناحوم) فى توتر :
ـ لا يوجد دليل واحد على أنه رجل مخابرات منافس .
صاحت به :
ـ ومن يكون إذن ؟!.. شهم يونانى ، رآك تطلق النار على ذلك الأصلع ، فتدخّل لإنقاذه ؟!.. هل تتصوّر أن مغامر عادى ، يمكنه أن يكيل لك مثل هذه اللكمات العنيفة ، إلى الحد الذى تفقد معه وعيك ؟!
تمتم فى عصبية :
ـ لقد باغتنى .
صاحت به :
ـ بل هزمك .. اعترف بالحقيقة ، أنا أكره الدوران حول الأمور .
ثم فركت كفيها فى توتر ، وهى تلتقط سيجارتها ، مستطردة :
ـ اعترف كما اعترفت أنا بفشلنا فى هذه الجولة .. لقد أخطأنا التصرّف ولا شك ، ولكن هذا لا يعنى أننا خسرنا المباراة كلها .
وأشعلت سيجارتها بأصابع مرتجفة ، من فرط الانفعال ، ونفثت دخانها فى قوة وعصبية ، قبل أن تتابع :
ـ فليكن .. سنضع خطة جديدة ، ونتحرك بأسلوب مختلف .. لست أرى فائدة لتحركنا كوحدة واحدة .. إننا أربعة أفراد ، فلم لا نعمل باستغلال هذا العدد كله ، بأفضل وسيلة ممكنة ؟!
سألها (كوهين) :
ـ ألديك خطة محدودة ؟
أجابت بسرعة :
ـ نعم .. لقد درست الأمر ثانية ، ووجدت أننا نسير فى طريق

طويل ، يزخر بالعقبات والموانع ، عندما نتعقّب حامل الوثائق ، على الرغم من أننا نستطيع التوصّل إلى كل ما نريد بوسيلة أخرى .

سأل (بترو) ، وهو يسترخى فى مقعده :

ـ مثل ماذا ؟

راحت تقطع الحجرة فى خطوات دائرية واسعة ، وهى تقول :

ـ ملخص الوثائق ، الذى تم توزيعه على السفارات ، مكتوب باللغة الإنجليزية . ومادامت الوثائق الأصلية مكتوبة بالعبرية ، فهذا يعنى أن أحدهم قام بترجمتها ، من العبرية إلى الإنجليزية ، ولما كانت اللغة العبرية غير شائعة أو مستخدمة فى أية مجتمعات ، بخلاف (إسرائيل) ، فالاهتمام بدراستها يقتصر ـ فى المعتاد ـ على المهتمين باللغات الشرقية .

غمغم (بترو) :

ـ وهل نضع قائمة بأسمائهم ، ونبدأ فى البحث عنهم ، واحدًا بعد الآخر ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ لا وقت لهذا .. سنكتفى بنشر إعلان صغير بالعبرية ، فى أوسع الصحف انتشارًا ، نطلب فيه مترجمًا من العبرية إلى الإنجليزية ، للمعاونة فى بعض الأبحاث العلمية ، مقابل مكافأة ضخمة ومغرية ، وثق بأن كل من يجيدون العبرية فى (اليونان) كلها سيهرعون إلينا إثر النشر .

وأشارت إلى (كوهين) ، مستطردة بلهجة آمرة :

ـ وهذه مهمتك .. ستتابع هذا الأمر ، وتلتقى بكل من يتقدمون ،

وعليك أن تستدرجهم فى الحديث ، حتى تكشف من منهم ترجم وثائقنا .

ثم التفتت إلى (ناحوم) ، مضيفة :

ـ أما أنت ، فعليك أن تبحث فى (أثينا) كلها عن مصوّر محترف ، يمتلك الأدوات الكافية ، والبراعة اللازمة لتكبير وطبع (الميكروفيلم) ، فليس من السهل أن يستطيع أى مصوّر عادى هذا ، ولا شك فى أنك ستجد أن الشخص الذى طبع صور وثائقنا مصوّر شهير إلى حد ما .

سألها (بترو) :

ـ وماذا عنى ؟

أجابته فى حزم :

ـ ستشترك معى فى مراقبة الأمريكيين .

قال فى دهشة ، شاركه فيها زميلاه :

ـ ماذا ؟

أكملت فى سرعة :

ـ مادامت خطابات التفاوض قد بلغت حامل الوثائق ، فلاشك عندى فى أن الأمريكيين سيتقدمون بالعرض الأفضل ؛ إذ أنهم لن يضيعوا أبدًا فرصة الحصول على وثائقنا البالغة السرية ، ولن يقل عرضهم عن رقم يسيل له اللعاب ، من ستة أصفار ، وهذا يعنى أن حامل الوثائق سيجرى اتصالاته معهم ، وعندما تنتقل المفاوضات إلى مرحلة اللقاء ، ستكون خلف الأمريكيين .

هتف (ناحوم) :

ـ أنت عبقرية بحق .

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تقول :

ـ لا تحاول تملّقى يا (ناحوم) ، فمازال لدى حديث معك .

قال فى حدة :

ـ أى حديث ؟

التقطت حقيبتها ، وأخرجت منها جهاز كمبيوتر شخصى صغيرًا ، وهى تجيبه فى صرامة :

ـ حديث حول ذلك الشخص الذى هاجمك فى محطة المترو .. تقول : إنك رأيت وجهه .. أليس كذلك ؟

أجاب فى حذر :

ـ لقد شاهدته للحظة واحدة فقط .

ضغطت أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول فى حزم :

ـ صف لى ما تتذكره منه .

راح يصف لها ملامح (أدهم) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر ، فتتكوّن الصورة جزءًا بعد جزء ، من خلال برنامج خاص ، حتى أضافت إليها (راشيل) العينين ، فهتف (ناحوم) :

ـ نعم .. إنه هو .. هذا الجهاز رائع بحق .

اتسعت عينا (راشيل) فى ارتياع ، وهى تحدق فى الصورة ، التى كونها جهاز الكمبيوتر ، وسألته :

ـ أأنت واثق ؟

أجابها فى حماس :

ـ تمام الثقة .. إنها صورة طبق الأصل له ، وخاصة لو أضفنا بعض الشيب عند الفودين .

غمغمت (راشيل) فى هلع ، وهى تتطلع إلى الصورة على شاشة الكمبيوتر :

ـ يا للشيطان !.. إنه هو إذن .

وأطفأت سيجارتها فى عصبية شديدة ، مستطردة :

ـ فى هذه الحالة ، سأضيف إلى العملية مهمة جديدة .. مهمة قد تكون أكثر خطورة من المهمة الرئيسية ، فنحن لن نكتفى بالحصول على الوثائق ، وتعقّب خط سيرها فحسب ، بل سيكون علينا أيضًا أن نستنفر كل طاقتنا للتخلص من هذا الرجل .

قالتها وسبابتها تشير إلى الصورة ، على شاشة الكمبيوتر ..

صورة (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *



٥ - القفـزة ..

جرع (كوستا) كأسه دفعة واحدة ، وارتجفت أصابعه وهو يعيده إلى المنضدة ، فى حين ازداد وجهه المكتظ احتقانا ، واختنق صوته فى حلقه ، مع قوله :

- اسمه (بابيوس) .. ولست أعرف باقى الاسم .. إنه زبون هنا منذ شهر أو شهرين ، ولقد طلب منى أن أبحث له عن شخص يصلح لمثل هذه المهمة ، فاتفقت مع الأصلع .. وهذا كل ما أعرفه .

سأله (أدهم) :

- وهل من عادتك أن تساعد زبائنك فيما يطلبونه ، أو يعتزمون فعله ، مهما كانت خطورته ؟

قلب (كوستا) كفيه ، وازدرد لعابه متمتمًا :

- إنها ضرورات العمل .

وصب لنفسه كأسًا أخرى ، و (أدهم) يسأله :

- وكيف يمكننى الوصول إلى (بابيوس) هذا ؟

هزّ (كوستا) رأسه ، قائلًا :

- لست أدرى .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، فاستدرك اليونانى فى سرعة :

- أقسم لك إننى لا أعرف عنه أكثر من اسمه .

قال (أدهم) :

- كيف تعاونت معه إذن ؟

أجابه بكلمات مرتجفة :

- زبائننا يبغضون الأسئلة الكثيرة ، ولا يميلون إلى الثرثرة ، إلا عندما تفقدهم الخمر اتزانهم .

تراجع (أدهم) بمقعده ، وقال :

- ياله من قول !.. هل تتوقع منى أن أتقدّم لك بالشكر الآن ، ثم أغادر البار مبتسمًا ؟

قال (كوستا) فى خوف :

وما الذى يمكننى فعله ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- هناك حتمًا وسيلة للاتصال .

ازدرد (كوستا) لعابه فى توتر شديد ، وانخفض صوته بشدة ، وهو يتلفّت حوله ، ويهمس :

- بالطبع ، ولكن ..

قاطعه (أدهم) فى غضب :

- ولكن ماذا ؟

أجابه (كوستا) فى سرعة :

- ولكنك ستضطر للانتظار حتى التاسعة مساءً ، عندما يأتى همزة الوصل بينى وبين (بابيوس) .

قال (أدهم) فى صرامة :

- ألم تقل : إنه زبون هنا ؟

لوّح (كوستا) بكفيه ، هاتفًا :

- ليس فى الوقت الحالى .. لقد انقطع عن المجئ منذ ما يقرب

من أسبوع ، ولكنه يتصل بى عن طريق (زوايد) .. اقسم لك إنها الحقيقة يا سيدى .. أقسم لك .. أقسم لك .

رمقه (أدهم) بنظرة طويلة صارمة ، قبل أن ينهض قائلا :

ـ أتعشم أن تكون صادقًا يا (كوستا) ، وإلا فسأعود إليك مرة أخرى ، وعندئذ ..

بتر عبارته ليطرقع سبابته وإبهامه ، فانتفض جسد (كوستا) مع الطرقعة ، وشهقت الفتاة ، فى حين اتجه (أدهم) إلى الباب ، قائلا :

ـ إلى اللقاء فى التاسعة يا (كوستا) .

هتفت الفتاة :

ـ سننتظرك .

نطقتها فى لهفة عجيبة ، جعلت (أدهم) يستدير ، ويلقى نظرة صامتة عليها ، فارتبكت ، وتمتمت مبتسمة :

ـ أعنى أننا سنتعاون معك .

تطلع إليها (أدهم) لحظة أخرى ، ثم واصل طريقه ، وغادر البار فى هدوء ، ولم يكد يغلق بابه خلفه ، حتى قال (كوستا) فى حدة :

ـ سننتظرك ؟!.. أهذا كل ما يمكنك قوله ؟

أجابته الفتاة فى عصبية :

ـ لقد نطقتها بتلقائية ، دون أن أقصد هذا .

ثم خفضت وجهها ، واختلست نظرة سريعة إلى الباب ، حيث كان (أدهم) يقف ، وهمست :

ـ فهو وسيم .. وسيم للغاية .

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يصل إلى المنزل الآمن(*) ، فى قلب (أثينا) ، حتى خلع معطف المطر الذى يرتديه ، وعلقه على مشجب مجاور للباب ، ثم التفت إلى شابين أنيقين ، يجلسان فى الردهة ، وسأل أحدهما فى اهتمام :

ـ هل أديت مهمتك جيدًا يا (مجدى) ؟

أجابه الشاب فى احترام :

ـ نعم يا سيادة العقيد .. لقد تعقبت تلك الشقراء ، التى ناولها الشاب الخطابات ، منذ رأيتها تدسها فى حقيبة يدها ، ولكنها خلعت شعرها الأشقر المستعار ، وارتدت منظارًا شمسيًا ، ثم خرجت من المحطة ، واستقلت واحدة من سيارات الأجرة ، فتتبعها فى سيارة أخرى ، حتى بلغت منزلًا قديمًا ، فى أطراف المدينة ، فغادرت السيارة ، ودخلت إليه ، وهاهو ذا عنوانه :

سأله (أدهم) ، وهو يلتقط العنوان :

ـ هل تقيم هناك ؟

أجابه (مجدى) :

ـ نعم يا سيادة العقيد .. اسمها (أنجيل بابانيو) ، وهى ممثلة سابقة ، وتقيم فى الشقة رقم سبعة ، بالطابق الثانى من المبنى ، وليست لديها وظيفة محدودة فى الوقت الحاضر .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل تركت شخصًا لمراقبتها ؟

(*) المنزل الآمن : مصطلح يطلق على مكان يتم اختياره بعناية ، بحيث يمكنه توفير الأمان الكامل لرجال المخابرات ، فى أثناء عملياتهم السرية .

أجابه بسرعة :
ـ بالطبع يا سيدى ، إنه لن يغادر موقعه قط ، حتى نتصل به .
أومأ (أدهم) برأسه ، متمتمًا :
ـ عظيم .. الآن لو اتصل بها أى مخلوق ، سنتعقبه على الفور .
ثم التفت إلى الشاب الثانى ، قائلًا :
وأنت يا (أنور) .. هل جمعت المعلومات اللازمة ، عن فريق الإسرائيليين ؟
أومأ (أنور) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ نعم يا سيادة العقيد .. لقد التقطت صورهم جميعًا ، عند محطة المترو ، وحصلت على كل ما تحويه ملفاتنا عنهم ، فالمرأة هى (راشيل جولدمان) .
رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ آه .. (راشيل جولدمان) .. نقيب (الموساد) الفاتنة ، وبطلة كمال الأجسام . من يجهلها ؟.. من الواضح أن الإسرائيليين قد دخلوا اللعبة بكل ثقلهم ، ما دامت (راشيل) على رأس الفريق .
وهز رأسه لحظة ، ثم واصل :
ـ فليكن .. أكمل ما لديك يا (أنور) .
تابع الشاب فى اهتمام ، ونقل إليه كل ما تم جمعه عن الفريق الإسرائيلى الصغير ، و (أدهم) يستمع إليه فى صمت ، حتى انتهى الشاب من حديثه ، فقال :
ـ دخول الإسرائيليين إلى اللعبة يعنى أننا نسير فى الطريق الصحيح ، وأن الوثائق التى نبحث عنها صحيحة تمامًا ، ولكن

العجيب أن الشخص الذى حصل عليها يتصرف بذكاء شديد ، وحذر مبالغ ، ويجيد قواعد اللعبة إلى حد كبير ، بالنسبة للهواة ، ولكن حتى الذكاء والحذر لن يعفياه من الوقوع فى أخطاء كبيرة دون أن يدرى ، وعندما يقع فى أوّل خطأ ، سيتمكّن الإسرائيليون من التوصل إليه ، وكذلك نحن ، ولكن السباق يحتم علينا أن نبلغه قبلهم .. على الأقل حتى نجده على قيد الحياة .. وعلى أية حال .. لقد وصلته خطابات التفاوض الآن ، وأصبح يمتلك أحد خيوط اللعبة ، وعليه أن يخطو خطوته الأولى داخلها .
سأله (مجدى) :
ـ وهل تعتقد أنه سيفعل ؟
أجابه (أدهم) :
ـ نعم .. أعتقد هذا .. أعتقد أنه سيتحرّك فور حصوله على الخطابات .
ثم نهض ليلتقط معطفه مرة ثانية ، وهو يستطرد :
ـ وهذا يعنى أنه ليس من حقنا أن نحصل على قدر طويل من الراحة ، فالعجلة تسير فى سرعة ، ومن يصل إلى خط النهاية أوّلًا ، سيربح السباق ، ويحصد الجوائز كلها .
سأله أحد الشابين ، وهما ينهضان فى احترام :
ـ هل ستسند إلينا أية أعمال أخرى يا سيادة العقيد ؟
أجابهما وهو يرتدى معطفه ، ويهم بالخروج :
ـ ليس الآن .. سيسير كل شىء طبقًا للحظة المتفق عليها ، حتى تصلكم منى أوامر أخرى .

قالها ، وغادر المنزل إلى سيارته ، وانطلق بها نحو العنوان ، الذى أعطاه إياه (مجدى) ، وراحت أفكاره تسبح حول تلك القضية الجديدة ، ويعيد دراسة الموقف كله مرات ومرات ، ثم وجد نفسه يقول :

ـ أعتقد أنها ليست قضية سهلة يا عزيزتى .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، اعتصرت قلبه بقبضة كالثلج ..

لقد تحدث كما لو أن (منى) تجلس إلى جواره ، كما اعتاد فى مغامرات سابقة عديدة ..

ولم يدر لماذا حدث هذا ؟!..

لماذا نسى فجأة كل ما أصابها ، وما يمنعها من العمل معه ، وتصور فجأة أنها تجلس إلى جواره كالمعتاد ؟...

لماذا ؟!

أهو قلبه ، الذى يحلم بعودتها إليه ، أم هى مشاعره التى تفتقر إليها بشدة ، وانفعالاته التى تشتاق إلى كل لمحة منها ؟!..

أم كل هذا فى آن واحد ؟

وتنهد (أدهم) فى عمق ..

تنهد وهو يسترجع بعض مغامراتهما معًا ، قبل أن يغمغم :

ـ كم أشتاق إليك يا (منى) .

نفض رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول السيطرة على مشاعره ، وإفراغ عقله من كل الانفعالات ، حتى يمكنه التركيز على قضية الوثائق ، و ...

« يا للشيطان !.. إنه هو ... » ..

التفت بسرعة إلى مصدر الصوت ، الذى أتى من يساره ، ووقعت عيناه مباشرة على عينى (راشيل جولدمان) ، التى تجلس فى سيارة تجاور سيارته ، يقودها (بترو دينوفسكى) ، وسمعها تصرخ ، وهى تنتزع مسدسها فى سرعة :

ـ حافظ على سرعتك يا (بترو) .

وصوبت فوهة مسدسها إلى رأس (أدهم) ، مستطردة :

ـ يا لها من مصادفة !

وقبل أن تتم عبارتها ، كانت سبابتها تعتصر زناد مسدسها ، و ...

وانطلقت الرصاصة ..

★ ★ ★

انهمك (بروس ماكنيللى) ، الملحق العسكرى بالسفارة الأمريكية فى (واشنطن) ، فى مراجعة بعض تقارير الاستخبارات السرية ، داخل حجرة مكتبه بالسفارة ، واستغرقه تقرير حديث ، حول السفارة الروسية ، فانشغل به عن كل ما حوله ، حتى اقتحم (أرنولد وايز) الحجرة بغتة ، وهو يهتف :

ـ حدث الاتصال .

أخفى (بروس) التقرير بسرعة ، وهو يقول فى حدة :

ـ كيف تقتحم حجرتى على هذا النحو ؟

أجابه (أرنولد) ، فى حماس :

ـ لم أستطع الانتظار ، فلم أكد أقرأ رسالة (الفاكس) ، حتى هرعت إليك على الفور .

فتح (بروس) درج مكتبه ، وألقى داخله تقاريره ، وهو يسأله :

ـ أى (فاكس) ؟

أجابه (أرنولد) ، وهو يلوِّح له بورقة فى يده :

ـ هذا .. لقد وصل الآن فقط .. من الواضح أن الرجل قد تسلم رسالتنا ، وقبل المبلغ الذى عرضناه عليه ، فقد حدَّد موعدًا لمقابلتنا ، وتسليمنا الوثائق التى لديه .

اختطف منه (بروس) الورقة ، وهو يهتف :

ـ حقًّا ؟!

والتهم كلمات الرسالة فى سرعة ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أن الرجل يكتسب الخبرات بسرعة ، فلم يختر مكانًا مهجورًا ، يسهل علينا اغتياله فيه ، وإنما حدَّد لنا موعدًا فى العاشرة مساء ، فى محطة القطار ، حيث يمكنه أن يشعر بالأمان ، وسط رواد المحطة والمسافرين .

ابتسم (أرنولد) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى سر غرامه بالمحطات ، ولكن هذا شأنه .. سنحمل إليه المليون دولار فى حقيبة جلدية سوداء كما طلب ، ونسلمه إياها ، لنحصل على تلك الوثائق .

هزَّ (بروس) رأسه ، قبل أن يقول :

ـ كم أتوق لمعرفة ما تحويه تلك الوثائق ؛ فالملخص الذى أرسله الرجل فى البداية لم يحو سوى رءوس الموضوعات فحسب ، وهذا لا يعنى شيئًا .

قال (أرنولد) :

ـ هذا ذكاء منه ، فلن يفسد بضاعته دفعة واحدة .. ولكن الملخص يشف عن أسرار بالغة الخطورة بالنسبة للإسرائيليين ، وبالذات فيما يخص برنامجهم النووى ، الذى يبدو أنهم يخفون الكثير عنه .

أومأ (بروس) برأسه ، وقال :

ـ لست أشك لحظة ، فى أنهم سيقاتلون كالوحوش ، لاستعادة هذه الوثائق ، ومنعنا من الحصول عليها .

ضحك (أرنولد) فى استخفاف ، قبل أن يقول :

ـ دعهم يحاولون ، حتى يدركوا جيدًا الفارق بين مخابراتهم ومخابراتنا ، فيبدو أنهم نسوا هذا أو يتناسونه .

تراجع (بروس) بمقعده ، وتأرجح به فى استرخاء ، وهو يقول :

ـ إنهم ليسوا أغبياء فى الواقع ، فالتصرف السريع الذى أقدموا عليه ، فور توزيع ملخص الوثائق على السفارات ، يشف عن ذكاء واضح .

مطَّ (أرنولد) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ أتقصد توزيعهم لعدد من الملخصات لوثائق زائفة أخرى ؟!.. لم يبد لى هذا بارعًا للغاية كما تتصوَّر ، فهى لعبة مفضوحة ، ولا يمكنها أن تربكنا .

أشار (بروس) بسبَّابته ، قائلًا :

ـ هذا لأننا والمصريين خير من نحفظ أساليبهم ، ولكن هذا الإجراء كفيل بإرباك الآخرين تمامًا ، أو بمنحهم انطباعًا زائفًا بأن الأمر كله مجرَّد عبث صبيانى ، لا يستحق منهم أدنى اهتمام .. وهذا ما حدث بالفعل ، فالبريطانيون والروس والصينيون تجاهلوا هذه الوثائق تمامًا ، وأرسلوا لحاملها يعتذرون عن التفاوض بشأنها ، كما أبلغنا جواسيسنا فى سفاراتهم المختلفة .

لم يرق هذا الحديث لـ (أرنولد) ، فلوّح بكفه ، متمتمًا :

ـ ما زلت أراها لعبة سانجة .

ابتسم (بروس) ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تراها كما يحلو لك .. المهم أن تستعد للمقابلة الليلة ، فى تمام العاشرة .

نهض (أرنولد) قائلًا :

ـ اطمئن يا صديقى .. لن تفوتنى مثل هذه المقابلة أبدًا .

قالها ، وصوته يحمل رنة عجيبة ..

وغامضة ..

* * *

كل من يتعامل مع (أدهم صبرى) للمرة الأولى ، يصاب بدهشة بالغة ، تقرب من حد الذهول ، عندما يرى سرعة استجابته ، وقدرته النادرة على اتخاذ القرار الصحيح ، ووضعه موضع التنفيذ ، قبل أن يستوعب خصمه طبيعة الموقف بالضبط ..

وعندما صوَّبت (راشيل جولدمان) فوهة مسدسها إلى (أدهم) ، كانت واثقة تمام الثقة من قدرتها على إصابة الهدف ، من هذه المسافة القصيرة ، لذا فقد اعتصرت زناد المسدس فى قوة ، وهى تصرخ :

ـ مت يا (أدهم صبرى) .. مت .

ولكن (أدهم) ضغط فرامل سيارته فى اللحظة المناسبة ، فور رؤيته لفوهة المسدس ، فانخفضت سرعة السيارة بغتة ، وتجاوزتها سيارة (راشيل) بعدة أمتار ، فطاشت رصاصتها فى الهواء ..

واتسعت عينا (راشيل) لحظة فى دهشة ، قبل أن تهتف :

ـ اخفض سرعتك يا (بترو) .. بسرعة .

ضغط (بترو) دوَّاسة الفرامل بدوره ، واستعدت هى لإطلاق النار على (أدهم) ، ولكن هذا الأخير انطلق بسيارته خلف سيارتهما مباشرة ، على نحو أعجزها عن التصويب عليه ، فحلت حزام المقعد ، وقفزت إلى الأريكة الخلفية ، وهى تقول :

ـ حافظ على سرعتك يا (بترو) ، حتى يمكننى التصويب .

وأطلقت النار بلا تردد على زجاج سيارتها الخلفى ، فاخترقته الرصاصات ، متجهة نحو سيارة (أدهم) ، الذى انحرف إلى اليسار فى سرعة ، ورأى الرصاصات تخترق زجاج سيارته الأمامى ، إلى يمينه مباشرة ، وتستقر فى المقعد المجاور له ، فغمغم :

ـ من الواضح أنك تصرين على قتلى بشدة يا (راشيل) .

وأدار مقود سيارته إلى اليسار أكثر ، فى حركة مباغتة ، فى نفس اللحظة التى صوَّبت فيها (راشيل) مسدسها إليه ، وانطلق فى شارع جانبى عريض ، فصرخت (راشيل) :

ـ لا تسمح له بالإفلات يا (بترو) .

أوقف (بترو) السيارة فى حدة ، جعلت إطاراتها تطلق صرخة قوية ، مع احتكاكها بالطريق ، وعاد أدراجه فى سرعة كبيرة ، جعلته يصدم سيارة أخرى ، قبل أن ينطلق مطاردًا (أدهم) ، عبر شوارع (أثينا) ..

وفى توتر شديد ، قالت (راشيل) :

ـ لاتجعله يفلت منك أبدًا .. لا تضيع هذه الفرصة النادرة .. لقد ألقاه القدر فى طريقنا بمصادفة مدهشة ، لن تتكرر أبدًا .

ضغط (بترو) دوّاسة الوقود بكل قوته ، ولكن (أدهم) انحرف بسيارته فى خفة ، وهو يسيطر عليها فى قوة ، وابتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ حاولى يا عزيزتى (راشيل) ، ولكن لا تنسى أننى أحفظ شوارع (أثينا) عن ظهر قلب ، ففى نهاية هذا الطريق سنجد الميدان الرئيسى ، والنافورة فى منتصفه ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يخرج بالسيارة إلى الميدان ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى عشرات من معدات التصوير تعترض طريقه ، فى قلب الميدان ، فضغط فرامل السيارة فى قوة ، وهو يميل بها لتفادى الاصطدام ، ولكنها انحرفت فى عنف نحو النافورة ، وتفادت طفلة صغيرة ، ثم ارتطمت بالحاجز ، ومالت على جانبها فى قوة ، ثم انقلبت فى حركة مباغتة ، وزحفت على جانبها لعدة أمتار ، وسط صراخ المارة وشهقاتهم ، قبل أن تتوقف وإطاراتها العلوية تدور فى قوة .. وحلّ (أدهم) حزام مقعده فى صعوبة ، ودوار عنيف يكتنف رأسه ، ويسيطر على وعيه شبه المتلاشى ، ودفع جسده ليغادر السيارة من نافذتها العلوية ، ورأى عدد من المارة يعدون نحوه ، وبينهم واحدة تحمل مسدسًا ، وتهتف :

ـ رباه !.. إنه هو .

وكان هذا آخر ما سمعه ، قبل أن يسقط فاقد الوعى وسط الميدان ، وأمام حاملة المسدس مباشرة .



ودفع جسده ليغادر السيارة من نافذتها العلوية ، ورأى عدد من المارة يعدون نحوه ..

٦ ـ المفاجـأة ..

عقد صاحب أكبر محل للتصوير الضوئى فى (أثينا) حاجبيه ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يرفع عينيه إلى (ناحوم) قائلًا :

ـ تريد شخصًا يمكنه التعامل مع (الميكروفيلم) ؟!.. نعم .. أعتقد أن لدى ضالتك .

هتف (ناحوم) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أومأ الرجل برأسه مبتسمًا ، وأجاب :

ـ العم (كرياكوس) .

سألته (ناحوم) :

ـ مَن العم (كرياكوس) هذا ؟.. وأين أجده ؟

أجابه الرجل ، فى لهجة تحمل نبرة فخر :

ـ العم (كرياكوس) هو أقدم مصوِّر فى (أثينا) كلها ، وهو مرجعنا ، الذى نلجأ إليه ، كلما واجهتنا مشكلة فى عالم التصوير .. هل تعلم .. لقد واجهنا يومًا أزمة فى أفلام التصوير الخام ، فما كان من العم (كرياكوس) إلا أنه أحضر بعض بكرات أفلام التصوير السينمائى ، وجمع علب الأفلام القديمة ، وملأها بأجزاء من أفلام السينما الخام .. كل متر ونصف فى علبة واحدة .. إنه عبقرى .. وفى مرة تالية ..

قاطعه (ناحوم) فى ضجر :

ـ وما عنوان العم (كرياكوس) هذا ؟

قال الرجل فى سرعة :

ـ هناك ، فى نهاية طريق (زيوس) (*) .. سَلْ أى مخلوق عن متجر العم (كرياكوس) لمستلزمات التصوير ، وسيرشدك إليه على الفور .

قال (ناحوم) ، وهو يغادر المحل بسرعة :

ـ أشكرك .. أشكرك كثيرًا .

وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها يعبر شوارع (أثينا) ، حتى بلغ طريق (زيوس) ، وقطعه حتى نهايته ، وهناك سأل أحد المارة عن متجر العم (كرياكوس) ، فأرشده إليه على الفور ..

كان متجرًا عتيقًا ، من الطراز القديم ، حتى فى واجهته وطلائه ، ويحمل اسم (تصوير الأوليمب) (**) ، ولم يكد (ناحوم) يدخله ، حتى خُيِّل إليه أنه قد انتقل نصف قرن من الزمان إلى الخلف ، فكل ما فى المتجر يعود إلى خمسين عامًا مضت على الأقل ، فيما عدا ذلك الشاب ، الذى استقبله بابتسامة ودود ، وهو يسأله :

ـ ما الخدمة التى يمكننى تقديمها لك يا سيِّدى ؟

سأله (ناحوم) مباشرة :

ـ أين العم (كرياكوس) ؟

(*) زيوس : فى الأساطير اليونانية يعتبرون (زيوس) هو رب أرباب الآلهة ، وابن (خرونوس) إله الزمن ، من (ريا) ، وقد تزوج أخته (هيرا) ، وأنجب منها ابنًا ، وهو كمعظم أرباب وأوثان الأساطير اليونانية ، فاسد ومنحرف بالسليقة .

(**) جبال الأوليمب : جبل أسطورى ، فى الأساطير اليونانية القديمة ، كان يعيش على قمته كل آلهة اليونان ، حتى يمكنهم مراقبة البشر ، ومتابعة أعمالهم .

لم تتغيّر ابتسامة الشاب ، وهو يجيب :

ـ العم (كرياكوس) يستمتع بنوم القيلولة الآن ، وهو يستيقظ عادة فى السادسة ، ولو أنك تطلب شيئًا عاديًا ، فيمكننى تقديمه لك بنفسى ، أما لو كان مطلبك خاصًا ومحدودا ، فالأفضل أن تعود فى الـ ...

قاطعه (ناحوم) فى غلظة :

ـ ليس لدى وقت لهذا .. اذهب لتوقظ العم (كرياكوس) ، وأخبره أننى أريده فى أمر عاجل .

لم ينجح الشاب فى الحفاظ على ابتسامته هذه المرة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى ، ولكن جدى شيخ طاعن فى السن ، ولو لم يستمتع بفترة راحته هذه ، فسيعجز عن ...

قاطعه (ناحوم) ، فى حدة :

ـ قلت لك : ليس لدى وقت لهذا العبث .

تراجع الشاب ، هاتفًا ، فى دهشة :

ـ سيدى .

ولكن التصرّف الذى قام به (ناحوم) ، فى اللحظة التالية ، جعل الشاب يرتجف من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، فقد استدار الإسرائيلى فى حدة ، وضرب باب المتجر بقدمه فأغلقه ، ثم انتزع مسدسه ، وألصقه برأس الشاب ، قائلًا فى وحشية مخيفة :

ـ هيا .. سأذهب لأوقظه بنفسى .

سار الشاب أمامه مرتجفًا ، وهو يقول :

ـ رويدك يا سيدى .. ليس لدينا الكثير من المال لتأخذه ، وجدى

شيخ مسكين ، ستفزعه رؤية مسدسك ، إلى الحد الكافى لقتله ؛ فقلبه ضعيف ، و ...

قاطعه (ناحوم) فى غلظة ، وهو يدفعه أمامه :

ـ اصمت .

كان العم (كرياكوس) رجلًا نحيلًا ، أشيب الشعر ، كث اللحية والشارب ، يرقد على فراش عتيق ، فى حجرة واسعة نظيفة ، ملحقة بالمتجر ، ولم يكد (ناحوم) يقتحمها مع الشاب ، حتى فتح العم (كرياكوس) عينيه ، ومدّ يده يلتقط منظاره الطبى السميك ، وهو يقول فى انزعاج :

ـ ماذا هناك ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه الشاب بصوت مرتجف :

ـ هذا الرجل يريدك يا جدى .

جلس (كرياكوس) على طرف فراشه ، وحدّق لحظة فى المسدس ، الذى يصوّبه إليه (ناحوم) ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ وما حاجته إلى المسدس ؟

قال (ناحوم) فى خشونة :

ـ لدى سؤال محدود لك ، وأريد جوابًا مباشرًا وسريعًا .. هل يمكنك تكبير وطبع (الميكروفيلم) ؟

أومأ الشيخ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. يمكننى هذا .

سأله (ناحوم) :

ـ ومتى فعلته آخر مرة ؟

لوّح بسبّابته ، مجيبًا :

ـ منذ أقل من أسبوع واحد .. لقد أحضر لى أحد الأشخاص (ميكروفيلم) ، وطلب منى تكبيره وطبعه ، ولقد استغرق هذا اليوم بأكمله ، على الرغم من أن (الميكروفيلم) لم يكن يحوى سوى صور لبعض الوثائق الأجنبية .

سأله (ناحوم) فى صرامة :

ـ وهل قرأت هذه الوثائق ؟

هزّ (كرياكوس) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ حتى صاحب (الميكروفيلم) ، لم يكن بإمكانه هذا ، فقد كانت الوثائق كلها بلغة شرقية .. العبرية حسبما أعتقد ، أو ...

ثم بتر عبارته بغتة ، وعاد يحدّق فى وجه (ناحوم) ، وملامحه المختلطة ، وأنفه المعقوف ، قبل أن يستطرد :

ـ آه .. إنها العبرية بالتأكيد .

انعقد حاجبا (ناحوم) فى توتر ، وقال للرجل فى غلظة :

ـ وأين هذا (الميكروفيلم) ؟

هزّ الشيخ كتفيه ، وأجاب :

ـ أخذه صاحبه ، مع صور الوثائق بالطبع .

سأل (ناحوم) :

ـ وماذا عن تجارب الطبع ؟

ابتسم الشيخ ، وهو يقول فى شىء من الزهو :

ـ إننى أعمل فى هذا المجال ، من قبل أن تولد أنت بسنوات عديدة يا ولدى ، ولم أعد بحاجة لعمل تجارب طبع .

صمت (ناحوم) لحظات ، وهو يجول ببصره فى ملامح الشيخ ، وكأنما يحاول التيقّن من صدق ما يقوله ، ثم سأله فى حدة :

ـ وماذا عن صاحب (الميكروفيلم) ؟.. ما معلوماتك عنه ؟

أجابه الشيخ :

ـ لقد قدّم نفسه باسم (جرينكو) ، وأنا أعتقد أن هذا ليس اسمه الحقيقى ، أما فيما عدا هذا ، فلست أعلم أى شىء عنه ، فالزبائن لا يميلون إلى من يلقى الكثير من الأسئلة ، وهذا ما أخبرت به الشخص الآخر ، الذى جاء فى الظهر .

توتّرت أعصاب (ناحوم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ الشخص الآخر ؟!.. أى شخص آخر ؟

لم يكد يتمّ قوله ، حتى انقض عليه شخص قوى ، هاتفًا :

ـ أنا .

كانت الانقضاضة مباغتة وعنيفة ، فسقط (ناحوم) أرضًا ، وطار سلاحه من يده ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها لكمة قوية على فكه ، وصاحبها يستطرد :

ـ كنا واثقين من أن أحدكم سيأتى إلى هنا .

احتمل (ناحوم) الضربة ، على الرغم من قوتها ، ودار بجسده فى عنف ليواجه خصمه ، ثم كال له لكمة قوية بدوره ، وهو يقول :

ـ فليكن .. وماذا فعلتم عندئذ ؟

تراجع خصمه ، رجل المخابرات المصرى (أنور) ، وهو يقول :

ـ تصدينا لك على الأقل .

تجمّد الشاب فى مكانه ، وهو يراقب القتال العنيف ، الدائر بين رجلى المخابرات .. المصرى والإسرائيلى ، ولكن الشيخ صاح به :

ـ لا تقف هكذا يا فتى .. افعل شيئًا .

انتفض الشاب فى عنف ، ونقل عينيه المذعورتين بَين جدّه والرجلين المتصارعين ، فهتف الجد مرة أخرى :

ـ افعل شيئًا .

وهنا ، لانت عضلات الشاب ، واستعاد ذهنه قدرته على التفكير ، فقفز يختطف أحد حوامل التصوير الثقيلة ، ورفعه بكل قوته ، ثم هوى به على رأس (ناحوم) ..

ولكن .. يا للخسارة !..

ويا للأسف !..

لقد أخطأ الشاب ضربته ، وهوى بالحامل الثقيل على مؤخرة رأس (أنور) .. رجل المخابرات المصرى ، الذى ترنّح فى قوة ، مع تلك الضربة العنيفة المباغتة ، على الرغم من أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار على خصمه الإسرائيلى ، الذى انتهز الفرصة ، فكال له لكمة أودعها كل قوته ، اشتركت مع ضربة الحامل ، لتسقطه فاقد الوعى ..

وتراجع الشاب فى ارتياع ، واتسعت عينا الشيخ فى هلع ، وهو يهتف :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!.. ماذا فعلت ؟

أما (ناحوم) ، فقد قفز يلتقط مسدسه ، وهتف :

ـ فعل ما عجزت أنا على فعله أيها المأفون .

وبلا ذرة واحدة من التردّد ، أطلق ثلاث رصاصات ، على جسد ورأس (أنور) ، فصرخ الشاب فى رعب ، وصاح الشيخ :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

استدار إليه (ناحوم) ، قائلًا فى شراسة :

ـ لأن هذه هى الأوامر .

وأطلق رصاصة أخرى ، اخترقت جمجمة الشيخ من الأمام ، وعبرتها من الخلف ، مع عظامها المفتتة ، وسيل الدم المصاحب ، فهوى الشيخ جثة هامدة على فراشه ، فى حين انطلق الشاب يعدو صارخًا :

ـ النجدة .. لقد قتل جدّى .. قتل (كرياكوس) .

ولكن (ناحوم) صوَّب إليه مسدسه فى إحكام ، وأطلق منه ثلاث رصاصات صامتة ، سقط الشاب على إثرها صريعًا ، على قيد مترين من باب المتجر المغلق ..

وفى هدوء ، أعاد (ناحوم) مسدسه إلى غمده ، ثم دفع باب حجرة التحميض والتكبير والطبع ، وقلب محتوياتها كلها ، وبعدها وضع قنبلة صغيرة إلى جوار أحواض المواد القابلة للاشتعال ، قبل أن يغادر المتجر كله ..

وفى اللحظة التى انفجر فيها متجر العم (كرياكوس) ، أقدم متاجر التصوير الضوئى فى (أثينا) ، كان (ناحوم) ينطلق بسيارته مبتعدًا ، وقد وضع نهاية لأحد أطراف الخيط المنشود ..

خيط وثائق (الموساد) السرية ..

★ ★ ★

لم تستغرق غيبوبة (أدهم) أكثر من نصف الساعة ، ولكنه عندما فتح عينيه ، كانت دهشته كبيرة ، فقد توقَّع وهو يفقد وعيه ، أن (راشيل) لن تضيع هذه الفرصة أبدًا ، وأنها لن تتورَع عن إطلاق

النار على رأسه مباشرة ، حتى ولو كان وسط ميدان مزدحم ، وخاصة وقد رآها تهرع نحوه ، ومسدسها فى قبضتها ، و ...

ولكن مهلًا ..

تلك التى اندفعت نحوه ، حاملة المسدس ، لم تكن لها ملامح (راشيل) ..

لقد كانت أخرى ، متوسطة الطول ، مستطيلة الوجه ، لها أنف صغير ، وفم مستدير ، مكتنز الشفتين ، بيضاء البشرة ، ينبعث من عينيها الزرقاوين بريق ينمّ عن ذكاء حاد ، فى حين يشير حاجباها الرفيعان إلى العزم والإصرار ، وقليل من القسوة ، وقد تهدلت خصلة من شعرها الكستنائى القصير فوق جبينها ، فأضفت عليها مظهرًا خاصًا ..

وهو يعرف تلك الملامح جيدًا ..

يعرفها منذ زمن طويل ..

« إذن فقد استعدت وعيك .. حمدًا لله .. » ..

قطع ذلك القول تسلسل أفكاره ، فرفع عينيه إلى صاحبته ، وهتف فى دهشة :

ـ أنت ؟!

رفعت الفتاة الجميلة يدها فى تحية عسكرية مرحة ، وهى تقول :

ـ الملازم أول سابقًا (هويدا كامل) ، فى خدمتك يا سيدى .

امتزجت دهشة (أدهم) بابتسامة ودود ، وهو يقول :

ـ (هويدا) ؟!.. يا لها من مفاجأة !.. إننى لم ألتق بك منذ عملية (مونت كارلو) (*) ، ولكنك تبدين كما كنت ، وكأن العمر لم يتقدم بك يومًا واحدًا .

(*) راجع قصة (عملية مونت كارلو) .. المغامرة رقم ١٤

ضحكت فى مرح ، قبل أن تقول :

ـ وأنت أيضًا يا (أدهم) ، باستثناء ذلك الشيب ، الذى وخط فوديك .

ثم ابتسمت فى حنان واضح ، مستطردة :

ـ هل تعلم ؟.. لقد أدهشتنى رؤيتك كثيرًا ، عندما اقتحمت مكان التصوير بتلك الوسيلة الفريدة كعادتك ، إلا أننى لم أكد أنظر إلى وجهك ، حتى عاودنى حنين جارف لتلك الأيام ، عندما كنا نعمل معًا ، قبل أن يقدّم لى (كلود ليلوش) عرضه ، ويجتذبنى عالم السينما .

وضحكت مرة أخرى ، وهى تضيف :

ـ أنا اليوم (هيدى كامل) .. نجمة السينما الفرنسية الشهيرة .

ابتسم قائلًا :

ـ ومن يجهل (هيدى كامل) ؟.. لقد شاهدت كل أفلامك تقريبًا .

هتفت فى سعادة :

ـ حقًا ؟!.. هل شاهدت فيلمى الأخير مع (آلان ديلون) ؟.. صحيح أنه تقدّم فى السن ، ولكنه مازال وسيمًا ونجم شباك من الدرجة الأولى .. أليس كذلك ؟

تمتم وهو ينهض من الفراش الوثير :

ـ بكل تأكيد .

ثم تلفّت حوله ، وقال :

ـ أتعلمين يا (هويدا) .. لقد أصابتنى دهشة حقيقية ، عندما استعدت وعيى لأجد نفسى داخل حجرة أنيقة كهذه .. فى أى فندق نحن ؟

أجابته مبتسمة :

ـ اطمئن .. إنه فندق بعيد ، ولا أحد يعلم أنك هنا ، حتى من كانوا يطاردونك .

التفت إليها يسألها :

ـ وكيف يمكنك الثقة بهذا ؟

ضحكت قائلة :

ـ اطمئن .. لم أنس ما تعلّمته فى المخابرات العامة المصرية بعد .

ثم سألته فى لهفة :

ـ أنت فى مهمة جديدة .. أليس كذلك ؟

صمت لحظة ، وهو يتطلّع عبر النافذة ، قبل أن يجيب :

ـ بلى .. ولكننى لا أستطيع إخبارك بأى شىء بخصوصها .

أومأت برأسها متفهمة ، وإن حمل صوتها شيئًا من الأسف والأسى ، وهى تتمتم :

ـ أعلم هذا .. لم أنس القاعدة الأولى فى العمل بعد .. « المعرفة قدر الحاجة » .

وحاولت أن تبتسم فى حزن ، قبل أن تتابع :

ـ العجيب يا (أدهم) أننى اشتهرت بالقيام بأدوار الحركة ، فى أفلام المخابرات بالذات ، وعلى الرغم من كم الإبهار ، الذى تصنعه تقنية السينما الحديثة ، وتبثه فى نفوس المشاهدين ، فى مثل هذه النوعية من الأفلام ، وعلى الرغم من عشرات المواقف الصعبة الزائفة ، ومئات الرصاصات (الفشنك) ، التى تكتظ بها تلك الأفلام ، إلا أننى لم أشعر قط بنفس المتعة التى شعرت بها ، عندما عملت إلى جوارك .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ تقصدين نفس درجة الإحساس بالخطر .

قالت فى إصرار :

ـ بل نفس المتعة يا (أدهم) .. صدقنى .. لقد عشت أمتع أيام حياتى ، فى أثناء عملى فى المخابرات المصرية ، وبالذات تلك الأيام ، التى عملت فيها معك .

غمغم وهو يراقب الطريق فى اهتمام :

ـ أشكرك .

صمتت لحظات ، ثم تابعت فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

ـ (أدهم) .. أرجوك .. لن أسألك عن طبيعة المهمة التى تقوم بها ، ولكن لو احتجت إلى مساعدتى فى أية لحظة ، فلا تتردّد فى طلبها .. أرجوك .

التفت إليها مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (هويدا) .. بالتأكيد .

خفضت عينيها إلى الأرض لحظات ، لتخمد انفعالاً خاصًا فى أعماقها ، ثم عادت ترفعهما إليه ، وتسأله فى حذر :

ـ كيف حال (منى) ؟

لاحظت على الفور نظرة الحنان والحزن ، التى أطلّت من عينيه ، قبل أن يشيح بوجهه عنها ، ويعود إلى التطلّع عبر النافذة ، مغمغمًا :

ـ مازالت حالتها الصحية سيئة .

همست مقاومة دموعها :

ـ صدقنى .. أنا أتمنى لها الشفاء فى كل لحظة ، وأتمنى لو ...

قاطعها بغتة :

ـ يبدو أن خبراتك السابقة فى عالم المخابرات تحتاج إلى الصقل يا عزيزتى .

انعقد حاجباها ، وهى تسأله :
ـ لماذا تقول هذا ؟
أشار بسبابته إلى الطريق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأطلت إلى حيث يشير ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، عندما وقع بصرها على مصور فيلمها ، فى حالة مزرية ، و (راشيل) و (بترو) يخرجانه من سيارتهما ، ويدفعانه فى قسوة نحو فندقها ، فهتفت :
ـ من هذان ؟.. وماذا فعلاه بالرجل ؟
أجابها بسرعة :
ـ لقد نفذا ما تعلماه فى (الموساد) ، عندما فقدا أثرك ، وأنت تنقذيننى منهما ، وتنقليننى إلى هنا ، فاتجها إلى أقرب شخص إليك ، وتعاملا معه ، وأجبراه على الإفصاح لهما بكل مكان يمكنك الذهاب إليه ، وهما هنا الآن للتعامل معنا .
كان يتوقع منها شيئًا من الخوف والقلق ، ولكنه فوجئ بها تبتسم فى ارتياح ، وهى تقول فى جذل :
ـ أخيرًا .
ثم اتجهت بسرعة نحو مكتب صغير ، وفتحت درجه ، ثم التقطت منه مسدسًا كبيرًا ، ألقته إلى (أدهم) ، قائلة :
ـ مسدسك يا عزيزى .. (بيريتا) ذو الماسورة القصيرة .
ثم التقطت مسدسًا صغيرًا ، رفعته فى اعتزاز ، مستطردة :
ـ ومسدسى المفضل .. (سميث ويلسون) بست رصاصات .
أمسك يدها فى حزم ، قائلًا :
ـ لن تشتركى فى مثل هذا الصراع يا (هويدا) .

رفعت حاجبيها وخفضته ، وهى تقول :
ـ حاول أن تمنعنى .
تطلع إلى عينيها لحظة ، وقرأ فيهما إصرارها الشديد على استعادة أيامها السابقة ، وأدرك عقم محاولة إثنائها عن رأيها ، فى هذا الوقت القصير ، فقال :
ـ هيا بنا .
كادت تقفز متعلقة بعنقه ، من فرط سعادتها ، ولكنه انطلق مغادرًا الحجرة ، فهرعت خلفه ، وسمعته يسألها :
ـ ما إحداثيات هذا الفندق ؟
أجابته فى حماس :
ـ الجانب الخلفى وحده يمكن أن يثير اهتمامك ، فهو يطل على سطح قصير ، يمكننا القفز إليه ، والتسلل عبره إلى شارع جانبى ، حيث أوقفت سيارتى .
سألها ، وهو يقفز صاعدًا فى السلم إلى السطح :
ـ هل كنت تتوقعين شيئًا كهذا ؟
أجابته فى شىء من السعادة :
ـ ألا ينبغى هذا ؟
قال مبتسمًا :
ـ بالتأكيد .
بلغا السطح بسرعة ، واتجهت هى إلى الحاجز الخلفى ، الذى يطل على السطح المجاور القصير ، وهى تقول :
ـ أعتقد أنك تستطيع عبور الأمتار الثلاثة ، التى تفصلنا عن السطح الآخر بقفزة واحدة ، و ...

انتبهت فجأة إلى أنه لا يتبعها ، فالتفتت إليه هاتفة :

ـ ألن تأتى ؟

رأته يلتصق بالجدار المجاور لباب السطح ، وهو يشير إليها بسبابته ، قائلًا :

ـ وهل نترك المصوِّر بين أيديهما ؟

بُهتت للقول ، وارتبكت مغمغمة :

ـ كيف لم أفكِّر فى هذا ؟

ثم اقتربت منه تسأله فى حذر :

ـ هل تعتقد أنهما سيصعدان إلى هنا ؟

أجابها فى حزم :

ـ لو أننى فى مكان (راشيل) ، ووجدت الحجرة خالية ، لصعدت إلى هنا على الفور .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع من خلفه صوتًا أنثويًا صارمًا ، يقول :

ـ ولكننى لن أستخدم السلم نفسه .

استدار (أدهم) و (هويدا) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وكانت أمامهما مفاجأة ..

مفاجأة مدهشة ..

★ ★ ★

٧ ـ الموعد ..

مضت لحظة ثقيلة من الصمت ، فوق سطح الفندق ، و(أدهم) و (راشيل) يتبادلان نظرة متحدية ، قبل أن تهتف (هويدا) فى دهشة :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسمت (راشيل) فى زهو ، وقبضت على مسدسها بأصابع كفيها فى قوة ، وهى تصوِّبه إلى (أدهم) ، قائلة :

ـ استخدمت المصعد ، من بهو الفندق إلى هنا مباشرة .. فقد لمحتكما من خلف زجاج نافذة حجرتك أيتها الذكية ، ولكننى تظاهرت بالعكس ، وأدركت أنكما ستتخذان طريق السطح مباشرة ، لأنه يقود إلى السطح الخلفى .. تفكير عبقرى .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ إننى أعترف لك بالذكاء يا (راشيل) ، على الرغم من أن اهتمامك ينحصر بالدرجة الأولى فى تنمية عضلاتك .

قالت (راشيل) فى حدة :

ـ ألق سلاحك أوَّلًا يا (أدهم) .. وأنت كذلك يا نجمة الأدوار السخيفة ، فهذا ليس أحد مشاهد أفلامك الغبية .. هنا نطلق رصاصات حقيقية .

ألقت (هويدا) مسدسها ، وهى تقول :

ـ المهم أن تصيب هذه الرصاصات هدفها .

هتفت (راشيل) فى غضب :

ـ هل ترغبين فى تجربة هذا ؟

أجاب (أدهم) ، فى سرعة :

ـ كلا يا (راشيل) ... إنها لا ترغب فى هذا .

صاحت به :

ـ لا تتدخل ، وألق سلاحك .

ألقى (أدهم) المسدس أرضًا ، و (هويدا) تقول غاضبة :

ـ لماذا نتملقها ؟.. إنها ستقتلنا على أية حال .

لوّح (أدهم) بكفه ، وقال فى هدوء عجيب :

ـ على العكس يا (هويدا) .. عزيزتنا (راشيل) لها أساليب متميزة للغاية ، ولكن ينقصها أن تستوعب درسًا إضافيًا واحدًا .

سألته (راشيل) ، فى حذر متوتر :

ـ أى درس ؟

وثب (أدهم) فجأة ، يركل المسدس من يديها ، هاتفًا :

ـ ألا تضيعى الوقت فى الحديث .

تراجعت (راشيل) فى غضب ، عندما فقدت مسدسها ، وصرخت :

ـ أيها المخادع .

ثم انقضت على (أدهم) ، وقفزت لتركله فى وجهه ، فاستقبلها بانحناءة مرنة ، وهو يقول :

ـ أعترف بأنك قوية بالفعل يا عزيزتى (راشيل) .

ثم دفعها بكفه فى رشاقة وقوة ، مستطردًا :

ـ بالنسبة للرجل العادى .

سقطت (راشيل) أرضًا ، ثم وثبت واقفة على قدميها ، وانقضت مرة أخرى على (أدهم) ، الذى تابع :

ـ ولكن ليس بالنسبة لى .

واستقبل انقضاضتها بالتفافة بارعة ، التقط خلالها معصمها ، ثم لوى ذراعها خلف ظهرها فى حركة سريعة ، جعلتها تصرخ ألمًا ، قبل أن تدفع قدمها إلى الخلف ، وتركل ساقه فى قوة ..

وانحنت (هويدا) لتلتقط مسدسها ، مستغلة ذلك الصراع ، ولكنها فوجئت بـ (بترو) ينقض عليها ، صارخًا :

ـ لا يا نجمة أفلام الحركة .

سقطت معه أرضًا ، ثم دفعت قدميها فى معدته ، ورفعته لتلقيه خلف ظهرها ، وهبّت واقفة على قدميها ، هاتفة :

ـ لهذه الأفلام خبراتها يا رجل .

قفز يلكمها فى فكها ، وهو يصيح :

ـ ولكن خبرة العمل أكبر .

كانت اللكمة عنيفة بالفعل ، فأسقطتها أرضًا ، وتحرّك (بترو) ليهاجمها مرة أخرى ، ورفع قبضته ، صائحًا فى شماتة :

ـ هل أفسدت ضربتى مساحيق تجميلك أيتها النجمة ؟!.. لا تجعلى هذا يحزنك ، فاللكمة الثانية ستطيح بأنفك كله ، وستشوه وجهك الجميل ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على معصمه ، وارتفع صوته القوى الساخر يقول :

ـ هذا لو وجدت الوقت لتفعل .

استدار (بترو) فى سرعة ليواجه (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير كال له لكمة كالقنبلة ، نسفت أنفه المعقوف تمامًا ، فتفجرت منه الدماء ، وجعلته يصرخ ثائرًا :

- أخطأت يا رجل .. أخطأت .. إنك تواجه بطل (إسرائيل) العسكرى لرياضة (التايكوندو) .

ثم دفع قدمه ليركل (أدهم) فى وجهه ، إلا أن هذا الأخير استقبل الضربة على ذراعه ، وهو يقول :

- إنها فرصة مناسبة إذن لتحديد المستوى .

خفض (بترو) قدمه ، ووثب بالقدم الأخرى إلى معدة (أدهم) ، الذى وثب إلى الخلف فى مهارة ، واستطرد :

- ولكن ليس لدينا وقت لحسم الأمر للأسف .

ثم قفز فجأة ، ودار جسده كله حول نفسه ، قبل أن ترتفع قدمه ، لتركل وجه (بترو) ركلة كالقنبلة ، ارتج لها جسد هذا الأخير كله ، فترنح قائلًا فى حنق :

- لقد باغتتنى .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

- حقًا ؟!

لم يكد ينطق آخر حروف الكلمة ، حتى سقط (بترو) فاقد الوعى ، فنقلت (هويدا) بصرها بينه ، وبين (راشيل) الفاقدة الوعى فى نهاية السطح ، قبل أن تقول :

- رائع .. تمامًا كالأيام الخوالى يا (أدهم) .

مد يده إليها ، يعاونها على النهوض ، وهو يسألها :

- هل حصلت على المتعة اللازمة ؟

نهضت قائلة :

- هذا يتوقف على سؤال هام .. هل ستسمح لى بالاستمرار ؟

هز رأسه نفيًا فى حزم ، وأجاب :

- كلا .. لياقتك الفعلية لم تعد كسابق عهدها يا (هويدا) ، وهذه المهمة بالغة الخطورة ، ولن يرحم الإسرائيليون كل من ينضم إليها .

تنهدت مغمغمة :

- كنت أتمنى أن ...

ولكنها لم تكمل عبارتها ، وإنما ابتسمت على نحو مفتعل ، واستطردت :

- فليكن .. المهم أننى التقيت بك .

كانا يتبادلان هذا الحديث بالعربية ، عندما قاطعهما صوت متهالك ، يقول بالفرنسية :

- ألن يهتم أحدكما بأمرى ؟

هتفت (هويدا) :

- آه .. إنه المصور .. لقد نسيناه .

وهرعت إليه لتعاونه ، فاقترب منهما (أدهم) ، وقال لـ (هويدا) فى حزم :

- اقطعى تصوير الفيلم ، وعودى إلى (باريس) بأية حجة .

تطلعت إليه فى دهشة ، وهتفت :

- كيف يا (أدهم) ؟.. لدينا لقطات شديدة الأهمية هنا ، و ...

قاطعها فى صرامة :

- هذا لصالح الجميع .. لقد رأيت كيف يتصرف الإسرائيليون فى

هذه العملية ، ولو بقيت هنا ، أو بقى أى شخص من فريق التصوير ، ستحدث لكم كارثة .

ثم التفت إلى المصور الفرنسى ، وقال بفرنسية سليمة :

ـ ارحلوا .

لوّح الرجل بكفيه ، وقال :

ـ لسنا بحاجة إلى هذه النصيحة .. لقد فهمت الأمر ، وسنعود إلى (باريس) على الفور .

أومأ (أدهم) برأسه في ارتياح ، ثم انحنى يلتقط مسدسه ، ودسّه فى جيبه ، وقال :

ـ هيّا بنا ، قبل أن يستعيد هذان وعيهما ، وتتوق نفساهما لحمام دم آخر .

ثم ألقى نظرة علي ساعة يده ، التى أشارت إلى السادسة والنصف ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ثم إن لدى موعدًا هامًا .. هامًا للغاية ..

* * *

« أأنت (أنجيل بابانيو) ؟.. »

تطلّعت الممثلة اليونانية السابقة فى حذر إلى (أدهم صبرى) ، الذى ألقى عليها هذا السؤال ، وفحصته ببصرها من وجهه وحتى ساقيه ، مرورًا بمعطف المطر الأنيق الذى يرتديه ، قبل أن تسأله :

ـ وماذا لو أننى هى ؟!

قال فى هدوء :

ـ لدى عرض خاص لك .

سألته فى حذر :

ـ عرض من أى نوع ؟

انعقد حاجباه فى صرامة مباغتة ، وهو يقول :

ـ من النوع الذى لا يمكن رفضه .

ارتجف جسدها لقوله ، وحاولت أن تدفع الباب فى قوة ، وتغلقه فى وجهه ، ولكنه صده بقدمه ، ثم دفعه معها ، ودلف إلى شقتها فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، وهى تهتف فى هلع :

ـ ماذا تريد منى ؟.. لست أملك شيئًا .

سألها بلهجته الصارمة :

ـ أين الرسائل ؟

ارتجفت وهى تقول :

ـ أية رسائل ؟

قال وعيناه تحدقان فى عينيها مباشرة :

ـ الرسائل التى كان يحملها الشاب فى المترو ، والتى حصلت عليها وأنت ترتدين شعرًا أشقر مستعارًا ، وبعدها أخرجتها من الكيس البلاستيكى ، ونقلتها إلى حقيبتك ، ثم خلعت الشعر المستعار ، ووضعته فى الكيس بدلًا منها ، وتركته فى المترو .. هل تذكّرت الآن ؟

ارتبكت (انجيل) ، وهى تقول :

ـ آه .. أتقصد تلك الرسائل ؟

أجابها فى حزم :

ـ نعم .. أقصد تلك الرسائل .



وحاولت أن تدفع الباب فى قوة ، وتغلقه فى وجهه ، ولكنه صده بقدمه ، ثم دفعه معها ، ودلف إلى شقتها فى سرعة ..

التقطت علبة سجائرها ، وحاولت أن تشعل سيجارتها ، وهى تقول :

ـ لقد أعطيتها للرجل ، الذى استأجرنى للحصول عليها .

جذب (أدهم) السيجارة من بين أصابعها ، وألقاها أرضًا ، ثم سحقها بقدمه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أنت كاذبة .. إننا نراقب منزلك منذ عودتك ، ولم يأتك زائر واحد حتى الآن .

قالت فى عصبية :

ـ وما صلة هذا بالأمر ؟.. لقد عدت إلى هنا بدون الوثائق ، فقد استلمها الرجل قبل هذا .

قال (أدهم) :

ـ مستحيل !.. لقد خرجت من المترو ، واستقللت واحدة من سيارات الأجرة إلى هنا مباشرة ، دون المرور بأى مكان آخر .

أجابته متوترة :

ـ هذا صحيح ، ولقد أعطيت الوثائق للرجل فى سيارة الأجرة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ لم يكن هناك سواك فى السيارة .

صاحت فى حدة :

ـ بل كان هناك السائق .. سائق سيارة الأجرة .. إنه الرجل الذى استأجرنى للحصول على الرسائل .. ماذا فى هذا ؟.. هل يمنع القانون ذلك ؟.. إنها مجرَّد رسائل ، وليست مخدرات أو نقود زائفة .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم استدار لينصرف ، فهتفت فى دهشة ، على الرغم منها :

- هل ستتركنى ؟

أجاب دون أن يلتفت إليها :

- بالطبع .. ما الذى تصوَّرت أننى سأفعله .

ارتبكت مغمغمة :

- خشيت لحظة أن تضربنى أو تقتلنى ، أو ...

قال فى حسم ، وهو يفتح الباب :

- نحن لا نفعل هذا بالنساء قط .

قالت فى دهشة تمتزج بالكثير من الفضول :

- أنتم ؟.. ومن أنتم ؟!

ولكنها لم تتلق جوابًا ، فقد غادر (أدهم) منزلها ، وأغلق الباب خلفه ..

وبكل هدوء ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة ، عندما انتفضت (راشيل) مستعيدة وعيها ، على سطح الفندق ، فحدّقت لحظة فى السماء المظلمة ، ثم هبّت واقفة ، وهى تهتف :

- اللعنة !

وقع بصرها على (بترو) الفاقد الوعى أيضًا ، فقطعت السطح نحوه ، فى خطوات واسعة سريعة ، وهزّته فى عنف ، قائلة :

- استيقظ يا (بترو) .

انتفض بدوره ، واعتدل جالسًا ، وهو يقول :

- أين نحن ؟.. ماذا حدث ؟

أجابته فى حنق ، وهى تبحث عن مسدسها :

- نحن هنا ، فوق سطح ذلك الفندق .. من الواضح أن (أدهم صبرى) نجح فى هزيمتنا معًا .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى سخط :

- لست أدرى كيف حدث هذا .. لقد باغتنى ، و ...

قاطعته فى حدة :

- باغتك ؟!.. وهل مباغتته هى التى أحالت أنفك إلى كومة من اللحم المفرى على هذا النحو ؟

تحسّس أنفه فى ألم ، وهتف :

- لن يفلت بفعلته هذه .

قالت محنقة ، وهى تلتقط مسدسها ، وتعيده إلى حزامها :

- لقد أفلت وانتهى الأمر ، وأضعنا نحن وقتًا ثمينًا .. هيّا بنا .. لا بد أن نبدأ مراقبة الأمريكيين الآن ، قبل أن يتموا اتصالهم بحامل الوثائق ، وتفشل مهمتنا كلها .

لم يتبادلا كلمة إضافية واحدة ، وهما يغادران الفندق ، وينطلقان بسيارتهما نحو السفارة الأمريكية ، التى توقفا على مسافة مائة متر منها ، وراحا يراقبانها فى اهتمام ، ثم قال (بترو) :

- هل تتوقعين أنهم سيتصلون بالرجل بهذه السرعة ؟

أجابته فى حسم :

- الرجل يدرك خطورة الموقف ، ولن يضيع ساعة واحدة ، يمكنه

فيها الحصول على ما يبتغى ، والأمريكيون يميلون إلى سرعة حسم المواقف .

تنهّد وهو يتحسس أنفه المحطّم ، وقال :

ـ أتعشّم هذا ، فقد بدأت أسأم هذه العملية ، وأتمنى أن نحصل على الوثائق وينتهى الأمر .

قالت فى صرامة :

ـ لن ينتهى الأمر بحصولنا على الوثائق ، فمازالت أمامنا مهمة تدمير كل من تعامل معها أو اطلع عليها .

زفر فى ضيق ، وقال :

ـ لست أدرى ما فائدة هذه المذبحة !.. لماذا لا نكتفى بقتل حامل الوثائق والمتصلين به فحسب ؟!.. أى خطر يكمن فى هؤلاء الذين ألقوا عليه نظرة محدودة ؟

أجابته فى ازدراء :

ـ من الواضح أنك لم تطالع النشرات الدورية للإدارة .. ألم تقرأ فى حياتك عن استرجاع المعلومات ، بوساطة التنويم المغنطيسى ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. التنويم المغنطيسى بالنسبة لى مجرّد خيال علمى .

قالت فى صرامة :

ـ من أخبرك بهذه السخافات ؟!.. التنويم المغنطيسى علم معترف به ، واستخداماته أكثر مما تتصوّر ، فالعلم يقول : إن أى شىء يسمعه المرء أو يراه ، أو حتى يلمسه ، لا يفارق ذاكرته قط ، ولكن لأن الذاكرة المعتادة لا يهمها أن تستخدم كل خبراتها على نحو

عاجل ، فهى تحتفظ بالخبرات غير الضرورية فى جزء شبه مظلم منها ، ولو أنك أخضعت شخصًا ما للتنويم المغنطيسى ، فسيمكنك إقناع ذاكرته بإضاءة ذلك الجزء شبه المظلم ، وإعلان كل ما فيه من معلومات وخبرات ، وهكذا يستطيع الشخص أن ينقل كل ما رآه على الورق ، حتى ولو كان يجهل اللغة المكتوب بها (*) .

فغر فاه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ إنها أوّل مرة أسمع فيها هذا .

مطّت شفتيها ، قائلة :

ـ ولكننا نستطيع استخدام هذا الأسلوب ، وكذلك المخابرات المصرية ، والمخابرات المركزية الأمريكية .

سألها :

ـ وماذا عن الروس ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

إنهم أصحاب الفكرة منذ البداية .

قال فى دهشة :

ـ هل بلغوا هذا الحد من التقدّم ؟

اعتدلت بغتة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ انظر .

تطلّع إلى حيث تشير ، ووقع بصره على (بروس ماكنيللى) و (أرنولد ويلز) ، وهما ينطلقان بسيارتهما خارج السفارة ، وهتفت (راشيل) :

(*) حقيقة علمية .

ـ هيّا .. انطلق خلفهما يا (بترو) ، وحذار أن يفلتا منك ، أو يشعران بتعقّبنا لهما ، فأنا أراهن أنهما فى طريقهما للقاء حامل الوثائق ، وإتمام صفقتهما معه .
وكانت على حق تمامًا ..
لقد كان (بروس) و (أرنولد) على موعد عاجل ..
موعد مع الخطر ..

★ ★ ★



٨ ـ المنـدوب ..

لم تكد فتاة (البجعة البيضاء) تلمح (أدهم) ، وهو يدلف إلى البار ، فى التاسعة إلا عشر دقائق ، حتى تهلّلت أساريرها ، وأسرعت إليه هاتفة :
ـ مساء الخير أيها الوسيم .. كنت أنتظرك على أحر من الجمر .. هل تعلم .. لقد حجزت لك أفضل مائدة هنا .
سألها (أدهم) ، وهو يدير عينيه فى المكان ، الذى بدا شديد الازدحام ، على عكس ما كان عليه فى الصباح .
ـ هل وصل (زوايد) ؟
هزّت رأسها نفيًا وهى تبتسم ، وقالت :
ـ ليس بعد .. أخبرنى .. أى نوع من الخمور تفضّل ؟
أجابها فى هدوء :
ـ لست أقرب الخمر .
هتفت فى فرح :
ـ حقًا ؟!.. هذا عظيم .. عظيم للغاية ، فأنا لا أحترم شاربى الخمر فى الواقع .
قال بابتسامة باهتة :
ـ وأنا كذلك .. ولكن متى يصل (زوايد) هذا ؟
قادته إلى المائدة ، التى حجزتها من أجله ، وهى تجيب :
ـ المفروض أن يصل فى تمام التاسعة .

لمحها (كوستا) وهى تتأبط ذراع (أدهم) ، وتتحدث إليه فى انبهار وإعجاب ، فعقد حاجبيه فى غضب ، وأشاح بوجهه عنهما ، ولاحظتَ هى ذلك ، فضحكت وهمست :

ـ يبدو أن(كوستا) مازال غاضبًا ، مما فعلته به وبـ (موستاش) هذا الصباح .. هل تعلم .. أكثر ما يغضب (موستاش) هو أنه سيضطر لحلاقة شاربه ، بعد أن مزّقت أنت معظمه .

قال (أدهم) مبتسما ، وهو يجلس عند المائدة :

ـ أعتقد أن هيئته ستصبح أفضل .

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ـ كم يروق لى أسلوبك أيها الوسيم .. قل لى : هل ستأتى لزيارتنا فيما بعد ؟

تجاهل (أدهم) سؤالها ، وهو يقول :

ـ أخبرينى عندما يصل (زوايد) .

هزّت كتفيها ، وهى تقول :

ـ لست أعرفه شخصيًا .. سأطلب من (كوستا) هذا .

أدار (أدهم) عينيه إلى حيث يجلس (كوستا) ، ورآه يتبادل الحديث فى اهتمام كبير ، مع عدد من الرجال ضخام الجثة ، وبعدها نهض (كوستا) مبتسمًا ، واتجه إلى مائدته مباشرة ، وقال :

ـ كيف حالك يا سيّدى .. كنت أعلم أنك ستحضر فى موعدك تمامًا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ أنا أفعل هذا دائمًا .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ وأرجو أن يكون (زوايد) كذلك .

ارتبك (كوستا) ، عندما أتى (أدهم) على ذكر (زوايد) ، وتلفّت حوله فى توتر ، قبل أن يهمس :

ـ لقد وصل بالفعل .

سأله (أدهم) ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

ـ وأين هو ؟

همس (كوستا) :

ـ لن يدخل إلى البار .. إنه ينتظرنى فى الشارع الخلفى ، لنصفى كل حساباتنا .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم نهض قائلًا :

ـ فليكن .. هيا نذهب إليه .

نهض (كوستا) بدوره ، وقال :

ـ هيّا بنا .

سارا معًا نحو مكتب (كوستا) ، خلف مسرح البار ، ثم قطعا ممرًا قصيرًا ، ينتهى بباب مغلق ، أشار إليه (كوستا) ، قائلًا :

ـ هذا الباب يقود إلى الشارع الخلفى .

وفتح الباب ، وهو يشير إلى (أدهم) ، مستطردًا .

ـ تفضل .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ خلفك يا (كوستا) .

ابتسم (كوستا) ابتسامة كبيرة ، تحوّلت بسرعة إلى ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

- ما زلت لا تثق بى أيها السيِّد .. أليس كذلك ؟
أجابه (أدهم) ، فى وضوح وصراحة :
- هذا صحيح .
قهقه (كوستا) ضاحكًا مرة أخرى ، وقال :
- عجبًا !.. المفروض ألا أثق أنا بك ، فلست أعرف حتى اسمك .
قال (أدهم) ، فى هدوء :
- لو أنك لا تثق قيراطًا فى شاربى الخمر ، فأنا لا أثق ألف فدان فى بائعيها .
ضحك (كوستا) ضحكة قصيرة هذه المرة ، وقال :
- هكذا ؟!.. فليكن يا سيِّدى .. سأتقدَّمك إلى الخارج .
وعبر الباب إلى الشارع الخلفى فى بساطة ، واستطرد :
- هأنذا يا سيِّدى .
تقدَّم (أدهم) بدوره ، وعبر الباب إلى الشارع الخلفى ، وبدا له الشارع خاليًا ، فأدار عينيه فيه ، قائلًا :
- أين (زوايد) ؟
وثب (كوستا) بغتة نحو الباب ، وهو يهتف :
- لا يوجد (زوايد) .
ثم صفق الباب خلفه فى عنف ، وصاح من الداخل :
- ولكن يوجد آخرون .
ومع آخر حروف عبارته ، برز الرجال الخمسة الأشداء ، الذين كان (كوستا) يتحدث معهم داخل البار ، من خلف المبنى ، وتقدَّموا من طرفى الشارع الضيق نحو (أدهم) ، وكل منهم يمسك هراوة

أو خنجرًا ، والشر يطلّ من عيونهم ، فى حين كان (كوستا) يطلق ضحكته الساخرة المجلجلة من الداخل ، وهو يقول فى شماتة :
- استمتع بوقتك أيها السيِّد ، ودع لى (زوايد) .
وابتعد صوته عن الباب ، فى نفس الوقت الذى أحاط فيه الرجال الخمسة بـ (أدهم) ، وقال أحدهم ، وهو يلوِّح بهراوته ، ويتطلَّع فى استهتار إليه :
- سمعنا أنك أسأت إلى صديقنا (كوستا) ، ونحن نكره من يسيئون إلى أصدقائنا ، ونصرّ على تلقينهم درسًا قاسيًا ، لا ينسونه أبدًا ، لو ظلوا على قيد الحياة .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :
- أنا أيضًا أصر على تلقين أصدقاء ذلك الخنزير ، درسًا لا ينسونه أبدًا .
بدا الغضب على وجوههم جميعًا ، وصرخ أحدهم ، وهو يهوى على رأس (أدهم) بهراوته :
- أنت تستحق هذا .
تحرَّك (أدهم) فى سرعة مدهشة ، فأمسك معصم الرجل بيسراه ، وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة بيمناه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجلان نحوه بخنجريهما ، فمال متفاديًا طعنة أحدهما ، وسمع خنجره ينغرس فى باب البار الخلفى ، قبل أن يلكمه فى معدته ..
ولكن خنجر الآخر أصاب ذراع (أدهم) ، الذى تراجع فى سرعة ، حتى لا تتمزَّق ذراعه كلها ، وانحنى متفاديًا ضربة من هراوة الرجل

الرابع ، وركل بقدمه اليمنى ذلك الخنجر ، الذى أصاب ذراعه ، ونهض يمسك معصم الرجل الرابع ، ودفعه فى عنف ، لتهوى هراوته على رأس زميله ، ثم حطَّم فكَّه بلكمة كالقنبلة ..

وهوت هراوة الخامس على كتف (أدهم) ، الذى شعر بآلام قوية ، ولكنه دار حول نفسه فى سرعة ، وركل الرجل بقدمه اليسرى ركلة قوية ، دفعته عبر الشارع ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط على وجهه ..

وحتى هذا الجزء من القتال ، كان ثلاثة من الرجال قد فقدوا وعيهم ، والرابع يترنَّح فى تهالك ، أما الخامس ، فقد أخرج من جيبه مسدسًا صغيرًا ، وهو يقول فى غضب شديد :

ـ لن يمكنك هزيمتنا جميعًا .

تحرَّك (أدهم) فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها الرجل زناد المسدس ، وشعر بالرصاصة تحتكّ بعنقه ، قبل أن ترتطم بالجدار ، فوثب فى قوة ، وركل المسدس بقدمه اليسرى ، ثم ضرب وجه الرجل بقدمه اليمنى ، وأسقطه أمامه ، ثم استدار فى سرعة ، ولكم الأخير بقبضته ..

وهنا ، انتهت المعركة ..

انتهت بعد أن فقد الرجال الخمسة وعيهم ، وأصيب (أدهم) فى ذراعه وعنقه ، وسالت الدماء لتغرقهما ، ولكنه ظلَّ هادئًا متماسكًا ، وهو يستدير إلى باب البار الخلفى ، ويخرج من جيبه أداة صغيرة ، راح يعالج بها رتاجه فى سرعة ومهارة ..

وفجأة ، سمع (أدهم) من خلفه تكة صغيرة ، يدرك مغزاها جيدًا ..
تكة مسدس يستعد للإطلاق ..

ثم انطلقت الرصاصة ..

وسالت الدماء فى الشارع الخلفى ..

★ ★ ★

استقبل (كوستا) (زوايد) فى مكتبه بابتسامة كبيرة ، تحمل شيئًا من اللهفة والغموض ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا رجل .. كنت أنتظرك على أحرّ من الجمر .

أجابه (زوايد) :

ـ ولقد وصلت فى موعدى بالضبط يا (كوستا) .

فرك (كوستا) كفيه ، وهو يقول :

ـ عظيم .. يمكنك أن تمنحنى باقى الأتعاب إذن .. لقد قام الأصلع بعمله على خير ما يرام .. أليس كذلك ؟

أجابه (زوايد) ، وهو يخرج مظروفًا صغيرًا من جيبه :

ـ بالتأكيد .. كل شىء وصل سالمًا .. وها هى ذى أتعابك .. مائة دولار ، و ...

قاطعه (كوستا) بضحكة مباغتة مجلجلة ، وهو يقول :

ـ مائة دولار .. يا للسخافة !

بدت الدهشة على وجه (زوايد) ، وهو يقول :

ـ وما السخافة فى هذا يا (كوستا) ؟!.. (بابيوس) يقول : إنك اتفقت معه على ثلاثمائة دولار .. قبضت منها مائتى دولار ، والباقى هو ...

قاطعه (كوستا) مرة أخرى :

ـ كان هذا فيما مضى يا رجل .. عندما كنت أتصوَّر أن الأمر مجرَّد

عملية شراء خطابات غرامية قديمة ، ولكننى أعلم الآن أن الأمر يفوق هذا بكثير .

قال (زوايد) ، فى دهشة :

- يفوق هذا ؟

أجابه (كوستا)، فى شراسة :

- نعم يا رجل .. الخطابات الغرامية لن تدفع محترفًا إلى تعقبها والوصول إلى هنا ، وتحطيم أنف (موستاش) من أجلها .. هذه الخطابات تحوى أمرًا آخر يا رجل .. أمرًا يستحق مكافأة أكثر ضخامة .

قال (زوايد) ، فى حيرة :

- ولكننى أجهل هذا تمامًا .

قال (كوستا) ، فى خشونة :

- تجهله أو تعلمه .. لا شأن لى بهذا .. إننى أريد ألفى دولار .

صاح (زوايد) :

- ألفى دولار ؟!.. هل تمزح يا (كوستا) ؟

انقضّ عليه (كوستا) بغتة ، وجذبه من قميصه فى قوة ، وهو يقول :

- كلا .. لست أمزح يا رجل .. إننى أريد ألفى دولار ، وإلا فضحت الأمر كله .. أبلغ (بابيوس) أننى لن أقبل أقل من هذا ..

ارتفع صوت صارم مباغت ، يقول :

- وما رأيك فى رصاصة فى منتصف جبهتك ؟

انتفض جسد (كوستا) كله فى ارتياع ، واستدار فى هلع إلى مصدر الصوت ، ثم تراجع فى عنف ، وكأنما أصابته صاعقة

كهربية ، وهو يحدّق فى فوهة المسدس ، التى يصوّبها إليه (أدهم) ، وهتف بصوت مرتجف :

- أنت ؟

أجابه (أدهم) :

- نعم .. هو أنا أيها الخنزير الأثينى .. لقد فشل أوغادك فى التخلّص منى ، على الرغم مما سببوه لى من إصابات ، وكاد أحدهم يقتلنى برصاصة فى ظهرى ، من هذا المسدس ، لولا أننى انتزعت خنجرا مغروسا بالباب ، وانحنيت أتفادى رصاصته فى سرعة ، وقذفته بالخنجر ، فأصبته إصابة مباشرة .

اتسعت عينا (كوستا) فى رعب شديد ، فى حين هتف (زوايد) :

- من هذا بالضبط ؟!

صاح (كوستا) ، وهو يشير إليه :

- هذا هو الرجل الذى تبحث عنه أيها السيّد .. هذا هو (زوايد) .

ارتجف (زوايد) مذعورًا ، وهو يهتف :

- أنا ؟!

التفت إليه (أدهم) ، وسأله فى صرامة :

- أنت (زوايد) ؟

وهنا وثب (كوستا) نحو أحد الأزرار فوق مكتبه ، وهو يصرخ :

- النجدة .. النجدة يا رجال .

قفز (أدهم) عبر الحجرة ، وجذب (كوستا) من عنقه ، قبل أن تبلغ سبّابته الزر ، وهو يقول :

- أيها الحقير .

ثم هوى على فك الرجل بثلاث لكمات متعاقبة ، أسقطته فاقد الوعى ، ولكن (زوايد) استغلّ انشغال (أدهم) بهذا ، وانطلق يعدو مغادرًا الحجرة ، ومحاولاً الفرار ، فانطلق (أدهم) خلفه ، وهو يقول :

- توقف يا رجل .

اندفع (زوايد) عبر صالة البار ، على نحو أثار دهشة روّاده جميعهم ، ولكن دهشتهم هذه استحالت إلى ذهول وذعر ، عندما برز (أدهم) خلفه ، والدماء تغرق عنقه وذراعه ، وقفز فوق إحدى الموائد ، ثم وثب منها إلى مائدة أخرى ، ومنها طار فى الهواء ، وانقضّ على (زوايد) ، وسقط معه أرضًا ، ثم لكمه فى فكه ، ونهض يجذبه من عنقه فى عنف .

وهتف بعض روّاد البار ، وهم يتحركون للتدخّل فى الأمر :

- ما هذا ؟.. ماذا يحدث هنا ؟

ولكن (أدهم) أجابهم ، فى صرامة :

- لا يتحرّك أحدكم من مكانه .. إنه عمل الشرطة .

جمّدت هذه العبارة الجميع فى أماكنهم ، فى حين هتف (زوايد) فى هلع :

- أنا لم أفعل شيئًا .. أقسم لك إننى لم أكن أعلم أن هذا الأمر يخالف القانون .

صاح به (أدهم) ، وهو يدفعه أمامه إلى الخارج :

- اخرس .

لم ينطق (زوايد) بحرف واحد ، حتى دفعه (أدهم) داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا عن البار ، فغمغم متوترًا :

- هذه ليست سيارة شرطة !.. من أنت بالضبط ؟!

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، وواصل انطلاقه بالسيارة طويلًا فى صمت ، حتى ابتعد عن المنطقة المأهولة من المدينة ، فارتجف (زوايد) ، وقال :

- من أنت بالضبط ؟.. وما الذى تريده منى ؟

ضغط (أدهم) فرامل السيارة بغتة ، وهو ينحرف إلى جانب الطريق ، فاندفع جسد (زوايد) إلى الأمام ، وهو يصرخ :

- ماذا تفعل ؟

ولكنه لم يكد يعتدل ، حتى رأى فوهة مسدس (أدهم) مصوّبة إلى جبهته مباشرة ، فاتسعت عيناه فى رعب ، وتراجع مذعورًا ، واحتبست صرخته فى حلقه ، وخاصة عندما قال (أدهم) ، فى صرامة :

- من (بابيوس) هذا ؟

ارتجفت كل ذرة فى كيان الرجل ، وهو يقول :

- سأخبرك يا سيّدى .. سأخبرك كل ما ترغب فى معرفته .

وانحلّت عقدة لسانه ..

★ ★ ★

تطلّع (أرنولد) إلى ساعته فى قلق ، وهو يغمغم :

- إنها العاشرة إلا خمس دقائق .. هل تعتقد أنه سيصل فى موعده ؟

أجابه (بروس) فى هدوء :

- نعم .. لهفته للحصول على المليون دولار ، ستفوق لهفتنا للحصول على الوثائق .. اطمئن .

عقد (أرنولد) حاجبيه فى توتر ، وعاد يلقى نظرة على ساعته ، ويدير عينيه فى عشرات الوجوه ، التى تملأ محطة القطار ، قبل أن يقول :

ـ يا له من مكان !.. أشعر وكأن كل شخص هنا يعلم ما جئنا من أجله .. أو أن عشرات الجواسيس يحيطون بنا ، ويرصدون تحركاتنا .

ضحك (بروس) ، وهو يقول :

ـ لا تبالغ يا رجل .. الأمر أبسط من هذا بكثير ، ثم إن للزحام فوائده ، فلن ينتبه أحد ، وسط هذه الحشود ، إلى عملية التسليم والتسلّم .

قال (أرنولد) :

ـ هل تظن هذا ؟

هز كتفيه ، مجيبا :

ـ إنه نوع من التغيير على الأقل .

لفهما الصمت مرة أخرى ، وراح كلاهما يفحص الوجوه المحيطة به ، حتى سمعا فجأة صوتا من خلفهما يقول :

ـ هل أحضرتما المليون دولار ؟

كانا يجلسان على أحد المقاعد المزدوجة ، ذات الوجهين ، فى نفس المكان الذى حددته الرسالة ، وكان من الواضح أن محدثهما يجلس خلفهما ، ويوليهما ظهره ، لذا فقد استدار (أرنولد) محاولا رؤيته ، ولكنه سمعه يقول فى حدة :

ـ لا تلتفت .

عقد (أرنولد) حاجبيه فى غضب ، ولم يرق له أن يتلقى الأوامر

من أحد الهواة ، ولكنه أطاع الأمر ، ولم يكمل استدارته ، فى حين قال (بروس) :

ـ نعم .. لقد أحضرنا المبلغ .. هل أحضرت أنت الوثائق ؟

مدّ الرجل يده إليه بمظروف كبير ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى .. تأكد من أنها صحيحة .

اختطف (بروس) المظروف فى لهفة ، وهو يدفع الحقيبة نحو الرجل ، قائلًا :

ـ وها هى ذى النقود ، فأنا واثق من أنها الوثائق الصحيحة .

أمسك الرجل الحقيبة فى قوة ، ومدّ يده ليفتح قفلها ، ويلقى نظرة على النقود ، فى نفس اللحظة التى فضّ فيها (بروس) المظروف ، ليلقى نظرة على الوثائق ، فهتف (بترو) من بعيد :

ـ إنه يقرأ الوثائق .

عقدت (زاشيل) حاجبيها ، وقالت :

ـ لقد جنى على نفسه .. أنت تعرف الأوامر .

سألها فى قلق :

ـ هل أطلق النار على رجل مخابرات أمريكى ؟

قالت فى حدة :

ـ الأوامر لم تستثن أحدا .

جذب إبرة مسدسه ، وهو يغمغم :

ـ فليكن .. أنت قائدة المهمة .

وصوّب المسدس إلى (بروس ماكنيلى) ، وضغط الزناد ، و ...

واندلعت الحرب فى محطة قطار (أثينا) .

★ ★ ★

٩ – حرب الوثائق ..

ارتجف (زوايد) ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يقول لـ (أدهم) :

– (بابيوس) ليس صديقى ، ولست أعرف عنه شيئًا تقريبًا ، ولكنه استأجرنى للتفاوض مع (كوستا) ، لأننى أقيم فى منطقة أخرى ، ومن رأيه أن هذا سيجعل اختفائى سهلًا ، عندما تنتهى المهمة .. ولقد كنت أتصوَّر أن الأمر لا يعدو مجرَّد شراء رسائل غرامية ، تهدِّد بها امرأة (بابيوس) ، بسبب علاقة قديمة بينهما ، قبل أن يرتبط بزوجته الحالية .. هذا ما أخبرنى به .

سأله (أدهم) :

– وكيف تلتقى به فى المعتاد ؟

أجابه (زوايد) :

– هو يجرى اتصاله بى وقتما يشاء .

سأله (أدهم) ، وهو يلصق فوهة المسدس بجبهته :

– أتدَّعى أنك لم تره قط .

هتف الرجل :

– أنا لم أقل هذا .. لقد شاهدته مرة أو مرتين ، وخاصة عندما أعطانى النقود ، لأوصلها إلى (كوستا) .

قال (أدهم) ، فى صرامة :

– تستطيع أن تصفه إذن .. أليس كذلك ؟

أومأ (زوايد) برأسه إيجابًا ، وقال :

– بكل تأكيد .. بكل تأكيد .

جذب (أدهم) مسند مقعد (زوايد) ، ثم أداره إلى اليمين ، فانفتحت فيه فجوة مستطيلة كبيرة ، انتزع منها جهاز كمبيوتر شخصيًا ، شبيهًا بذلك الذى تمتلكه (راشيل) ، وأبرز شاشته ، ثم ضغط أزراره ، قائلًا :

– ابدأ الوصف إذن .

تطلَّع الرجل إلى الكمبيوتر فى دهشة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وبدأ يلقى أوصاف (بابيوس) واحدة بعد الأخرى ، و (أدهم) ينقل هذا إلى الكمبيوتر ، الذى يرسم صورة تقريبية للرجل ، واستغرق هذا نصف ساعة كاملة ، قبل أن يهتف (زوايد) :

– إنه هو .

سأله (أدهم) ، فى حزم :

– أأنت واثق ؟

هتف الرجل :

– تمام الثقة .. هذا الجهاز رائع بحق .. لقد صنع صورة طبق الأصل منه .

ضغط (أدهم) زرًا فى الجهاز ، فصدر عنه أزيز خافت ، ثم ظهرت صورة مطبوعة للرجل ، من تجويف رفيع ، فالتقطها (أدهم) ، ودسَّها فى جيبه ، وهو يقول :

– خذ بنصيحتى يا رجل ، وانطلق من هنا إلى أقرب محطة (أوتوبيس) ، وغادر (أثينا) كلها ، دون أن تلتفت خلفك ، فلقد تورَّطت ، دون أن تدرى ، فى عملية بالغة الخطورة .

شحب وجه الرجل ، وهو يتمتم :

ـ إلى هذا الحد ؟

أجابه (أدهم) :

ـ بل أكثر من أى حد يمكنك تخيّله ، ولتحمد الله (سبحانه وتعالى) ، لأننى الشخص الذى عثر عليك ، فلو كان الآخرون قد وجدوك أوّلًا ، لكان هذا آخر يوم فى عمرك كله .

امتقع وجه الرجل بشدة ، حتى صار أشبه بالورقة البيضاء ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده ، وهو يلوّح بيده ، قائلًا :

ـ هيا .. اذهب .

فتح الرجل باب السيارة ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، وكأنه يخشى أن يتراجع (أدهم) فى قوله ، فى حين انطلق هذا الأخير بالسيارة ، وهو يقاوم ذلك الدوار العنيف ، الذى يهاجمه بلا رحمة ..

كانت الدماء تغرق جانبه الأيسر تقريبًا ، من عنقه حتى كله ، وجراحه تؤلمه كثيرًا ، ولكنه قاوم فى استماتة ، حتى بلغ تلك البناية ، التى يقيم فيها الدكتور (بورغو) ، فأوقف السيارة ، وتسلل إلى البناية خلسة ، حتى لا ينتبه إليه الحارس ، واستقلّ المصعد إلى الطابق السادس ، وطرق باب الدكتور (بورغو) ، الذى يقيم ويعمل فى شقتين متجاورتين ، وانتظر حتى سمع صوته من الداخل يقول :

ـ من الطارق ؟

ازدرد (أدهم) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ أنا أحد أفراد (جمعية أصدقاء الهرم الأكبر) .

لم يكد الدكتور (بورغو) يسمع هذه العبارة ، حتى فتح الباب بسرعة ، وقال :

ـ ادخل قبل أن يلمحك أحد .

دلف (أدهم) إلى الشقة فى صعوبة ، وتوقّف وسط ظلامها ، و (بورغو) يغلق الباب خلفه ، ثم يضىء الأنوار ، قائلًا :

ـ ما الذى يمكننى تقديمه لك ؟

قالها وهو يستدير ليواجه (أدهم) ، ولم يكد بصره يقع عليه ، تحت أضواء الردهة ، حتى اتسعت عيناه فى شدة ، وهتف :

ـ ربّاه !.. إنك مصاب بشدة .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال فى تهالك :

ـ هذا صحيح ، وأعتقد أننى أحتاج إلى بعض الرعاية الطبية .

هتف الدكتور (بورغو) :

ـ بعض الرعاية الطبية ؟!.. إنك تحتاج إلى إسعاف كامل يا رجل .. تعال معى .. سأنقلك إلى حجرة الإسعافات على الفور .

ترنّح (أدهم) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. إننى أحتاج إلى .. إلى ...

ولم يستطع إكمال عبارته ، وهوى ..

هوى فاقد الوعى ..

★ ★ ★

اخترقت رصاصة (بترو) الأولى ذراع (بروس) ، فصاح والمظروف يسقط من يده :

ـ إنهم يحاولون قتلنا يا (أرنولد) .

قفز (أرنولد) ينتزع مسدسه ، فانطلقت صرخات المحيطين به ، ووثب (بابيوس) من مكانه ، وانطلق يعدو بحقيبة النقود ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (بترو) رصاصته الصامتة الثانية ، لتغوص فى معدة (بروس) ..

وفى هذه المرة ، لمح (أرنولد) (بترو) ، وحدد موضع إطلاق النار ، فصوّب إليه مسدسه ، وصاح :

- ابتعد يا (بروس) .. سأظفر به .

ساد الهرج والمرج فى المحطة ، عندما أطلق (أرنولد) رصاصته ، فى حين أمسك (بروس) معدته ، وحاول أن يجرى هاتفًا :

- الوثائق .. أنقذ الوثائق .

ولكن (بترو) كان يعرف الأوامر جيدًا ..

لقد رأى (بروس) الوثائق ، واطلع عليها ، وأصبح من المحتم أن يموت ..

وعلى الرغم من أن (أرنولد) انطلق يعدو نحو (بترو) ، إلا أن هذا الأخير تجاهله تمامًا ، وهو يصوّب مسدسه نحو (بروس) ، الذى انحنى محاولًا التقاط الوثائق ، ويطلق عليه النار ..

وفى هذه المرة ، اخترقت الرصاصة رأس (بروس) ، وأسقطته جثة هامدة على الفور ، وسالت الدماء من جمجمته لتغرق الوثائق الإسرائيلية ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (أرنولد) رصاصاته نحو (بترو) ، وسط صرخات الجميع وهرجهم ..

وأصابت الرصاصات كتف (بترو) وذراعه ، فقفز من مكانه ، وانطلق يعدو بين الزحام ، و (أرنولد) يطارده فى إصرار ، على الرغم من أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب بسرعة ..

أما (بابيوس) ، فقد انطلق يعدو مذعورًا ، ويقبض على حقيبة النقود بكل قوته ، ولكن (راشيل) انطلقت خلفه ، وصاحت به :

- توقّف يا رجل ، وإلا أطلقت النار .

ولكن (بابيوس) لم يتوقّف ، وإنما واصل عدوه وسط الفارين من ساحة إطلاق النار ، إلا أن (راشيل) صوّبت مسدسها إليه ، وهتفت :

- أنت أردت هذا أيها الحقير .

وأطلقت النار نحوه ، ولكن رصاصتها أصابت يده اليمنى ، فصرخ والحقيبة تسقط من يده :

- لا .. النقود .

كان يهمّ بالتقاطها ، عندما أطلقت (راشيل) رصاصتها الثانية ، وأصابته فى ذراعه ، فتراجع مرددًا فى مرارة :

- النقود .. سأفقد النقود .

ورأى (راشيل) تصوّب إليه مسدسها للمرة الثالثة ، فوازن بسرعة بين حياته والنقود ، وانطلق يعدو مختلطًا بالمارة ، تاركًا حقيبة النقود خلفه ، فانطلقت (راشيل) خلفه ، ورأته يثب داخل سيارة أجرة ، وينطلق بها بأقصى سرعته ، فهتفت محنقة :

- اللعنة !

ثم أعادت مسدسها إلى غمده ، وعادت أدراجها مسرعة إلى حيث سقط (بروس) ، وانتزعت الوثائق الملوّثة بالدماء من تحت رأسه ، وهى تغمغم :



واطلق رصاصاته فى إحكام ، فاخترقت ظهر (بترو) فى ثلاثة مواضع ، ودفعته إلى الأمام فى عنف ، فارتطم بسيارته ..

- لا تأخذ الأمور بمأخذ شخصى أيها الملحق العسكرى الأمريكى .. إنها دواعى العمل.

وأسرعت تغادر المكان ، وتختلط بالجموع المذعورة ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة ، وأحاطت بالمحطة ، ولكنها لم تستطع منع المئات من مغادرة المكان ، فتسللت بينهم (راشيل) ، وغادرت المحطة ، وفى أعماقها ابتسامة ساخرة كبيرة ..

وفى هذا الوقت بالتحديد ، كان (أرنولد) يواصل مطاردته لـ (بترو) ، فى أحد الشوارع الجانبية ، وهذا الأخير يعدو نحو سيارته ، محاولاً بلوغها ، قبل أن تبلغه رصاصات رجل المخابرات الأمريكى ، ولكن (أرنولد) توقف ، وصوب مسدسه إلى (بترو) فى غضب ، وهو يقول :

- هذا من أجل (بروس).

وأطلق رصاصاته فى إحكام ، فاخترقت ظهر (بترو) فى ثلاثة مواضع ، ودفعته إلى الأمام فى عنف ، فارتطم بسيارته ، ولكنه تماسك ، واستدار يواجه (أرنولد) ، الذى هتف :

- وهذا من أجل الوثائق الحقيرة.

وأطلق خمس رصاصات أخرى ، اخترقت كلها جسد (بترو) ورأسه ، فارتطم ظهره بالسيارة هذه المرة ، وانطبعت دماؤه عليها ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وعندما أعاد (أرنولد) مسدسه إلى غمده ، كان يعلم أن خصمه قد خرج هذه المرة من اللعبة ..

خرج إلى الأبد ..

★ ★ ★

ألقى (ناحوم) نظرة على ساعته فى قلق، وهو يقول لزميله (كوهين)، فى المنزل الآمن، الذى اختاره (الموساد):

- (راشيل) و (بترو) تأخرا كثيرًا، وأشعر بالقلق من أجلهما.

قال (كوهين) فى هدوء، وهو يشعل سيجارته:

- لا تقلق بشأن (راشيل).. إنها امرأة قوية، تفوق كل من عرفتهم من رجال.

مطَّ (ناحوم) شفتيه، وقال:

- ولكنها لاتروق لى قط، فهى...

قبل أن يتمّ عبارته، سمع الاثنان صوت مفتاح يدور فى ثقب الباب، فبتر حديثه، واستدار مع (كوهين) يتطلعان إلى الباب فى حذر، وأصابعهما تداعب مقبضى مسدسيهما، وما إن وقع بصرهما على (راشيل)، حتى استرخت عضلاتهما، وسألها (كوهين) فى اهتمام:

- أين كنت ؟.. وأين (بترو) ؟

عقدت حاجبيها، وهى تجيب فى توتر:

- (بترو) لقى مصرعه.

هتف (ناحوم):

- اللعنة !

أما (كوهين)، فقد انتبه إلى المظروف الملوّث بالدم بين أصابعها، فسألها فى لهفة:

- هل حصلت على الوثائق ؟

أجابته، وهى تنفض المظروف:

- لقد اضطررنا لقتل (بروس ماكنيللى)، رجل المخابرات الأمريكى، والملحق العسكرى للسفارة الأمريكية هنا، لأنه اطلع عليها، وكدت أظفر بناملها، لولا اضطراب الموقف فى محطة القطار، وفى الوقت نفسه راح (أرنولد ويلز) يطارد (بترو)، ونجح فى قتله، قبل أن يبلغ سيارتنا، فاضطررت للعودة فى واحدة من سيارات الأجرة.

بدا الضيق على وجه (كوهين)، وقال (ناحوم) فى حدة:

- سأقتل هذا الأمريكى، عندما...

قاطعته صيحتها الغاضبة:

- اللعنة .. اللعنة .. اللعنة.

سألها فى دهشة:

- ماذا حدث ؟

طوّحت الوثائق فى غضب، وهى تقول:

- إنها ليست الصورة الأصلية للوثائق، بل نسخة رديئة منها، وذلك الحقير ما زال يحتفظ بالصور الأصلية و (الميكروفيلم).

هتف (كوهين):

- يا للشيطان !.. وكيف نظفر به هذه المرة ؟

ضربت سطح المائدة بقبضتها، وهى تقول فى حدة:

- سنعثر عليه، حتى لو اضطررنا لنبش كل ركن فى (أثينا).

ثم رفعت سبّابتها، مستطردة:

- وأعتقد أن لدينا طرف خيط، يمكن أن يقودنا إليه.

اعتدل (ناحوم)، يسألها فى اهتمام:

- وما هو ؟

نهضت من مقعدها فى حماس ، قائلة :

ـ رقم سيارة الأجرة ، التى استقلها ليهرب من المحطة .. لقد التقطت الأرقام الثلاثة الأولى منها ، ويمكننا بقليل من الجهد أن نتوصل إليها ، وستقودنا حتمًا إليه .

سألها (كوهين) :

ـ وهل تظنين أن سائق السيارة سيتذكره ؟

أجابته فى انفعال :

ـ لقد قاد السيارة بنفسه ، وهذا يعنى أنه أحد سائقى سيارات الأجرة .

رفع (ناحوم) حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

ـ سائق سيارة أجرة ؟!.. وكيف حصل رجل كهذا على وثائقنا ؟

أجابته فى صرامة :

ـ لست أدرى ، ولكنه لن ينعم بها طويلا ، فحتى لو غاص فى أعماق الأرض ، سنتوصل إليه ، وننتزعه منها ، وعندئذ سيدفع الثمن غاليا .

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تستطرد :

ـ غاليا جدًا .

* * *

« هل لى أن أفهم ما حدث بالضبط ؟.. »

ألقى مفتش الشرطة اليونانى هذا السؤال على (أرنولد) ، فى غضب واضح ، ولكن هذا الأخير بدا حازما حاسما ، وهو يجيبه :

ـ لست أدرى .. ربما كانت محاولة لسرقة بعض الوثائق

السرية منا ، فقد كنا نحملها فى حقيبة جلدية سوداء ، ويبدو أن أحدهم خطط لسرقتها ، وأطلق النار على زميلى لهذا الغرض .

لوّح المفتش بذراعه ، وقال فى حنق :

ـ فطاردته أنت فى شوارعنا ، وأطلقت عليه النار حتى الموت .

قال (أرنولد) :

ـ وهل كنت تتوقع منى أن أقف مكتوف اليدين ، أراقبه فى أثناء فراره ؟

صاح المفتش :

ـ بل كنت أتوقع منك أن تحترم قانون الدولة ، التى تقيم فيها .

أجابه (أرنولد) ، فى صرامة :

ـ أنا رجل أمن معتمد فى السفارة الأمريكية ، وأحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، وأرفض إجابة أى سؤال ، أو مناقشة أى أمر ، قبل حضور مندوب خاص من وزارة الخارجية ، كما تقتضى التعليمات .

زفر المفتش فى حنق ، وقال :

ـ أعلم هذه التعليمات السخيفة .

ثم التقط الحقيبة الجلدية السوداء ، وهو يستطرد :

ـ أهذه هى الحقيبة ، التى تتحدث عنها ؟

أجابه (أرنولد) :

ـ هى بعينها ، ويدهشنى أن عثرتم عليها .

قال المفتش :

ـ هذا من حسن حظك ، ففى غمرة الموقف ، خشى كل مخلوق أن يلمسها ، خوفًا من أن تكون ملغومة .

مد (أرنولد) يده ليستعيد الحقيبة ، وهو يقول :
ـ عظيم .. هذا من حسن الحظ بالفعل .
جذبها المفتش إليه ، قبل أن تبلغها يد (أرنولد) ، وقال :
ـ أريد التأكد من محتوياتها أولاً .
عقد (أرنولد) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول في صرامة :
ـ إنها حقيبة دبلوماسية أيها المفتش ، ولو فتحتها الآن ، سيكون عليك أن تبرر موقفك هذا أمام المسئولين فى دولتك ، عندما تحتج دولتى على هذا التصرف رسميًا .
صمت المفتش لحظة ، وهو يرمقه بنظرة غاضبة ، قبل أن يلقى الحقيبة إليه ، قائلًا فى سخط :
ـ تبًا لكم .
التقط (أرنولد) الحقيبة ، وألقى نظرة على جثة زميله (بروس) ، التى ينقلها رجال الإسعاف إلى سيارتهم ، ثم أدار ظهره للمفتش ، واتجه إلى سيارته مباشرة ، والمفتش يهتف من خلفه :
ـ ثق بأنها ليست نهاية المطاف .. سأظفر بك إن عاجلًا أو آجلًا .. إنها جريمة قتل ، وليست مخالفة مرور بسيطة .
تجاهله (أرنولد) تمامًا ، وهو يدير محرك سيارته ، وينطلق بها مبتعدًا ، وغمغم فى حنق شديد .
ـ إذن فقد دخل الإسرائيليون اللعبة بكل ثقلهم ، ويصرون على عدم التفريط في وثائقهم .. فليكن .. سنثبت لهم أننا ملوك هذه اللعبة .. أقسم أن نفعل .. أقسم ألف مرة .
وقبضت أصابعه على مقود السيارة فى قوة ..
وفى غضب ..

★ ★ ★

تحسس (كوستا) تلك الكدمات ، التى تخلفت عن لكمات (أدهم) فى وجهه ، وهو يقول لفتاة البار فى غضب :
ـ يا لذلك الرجل اللعين ؟!.. كيف يفعل كل هذا ؟.. لقد دك الرجال الخمسة بقبضتيه ، كما لو أنه بلدوزر ضخم ، سحقهم بلا رحمة .
قالت الفتاة فى إعجاب :
ـ إنه قوى ووسيم .
رمقها (كوستا) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :
ـ اللعنة عليك أنت أيضًا .. هل نسيت أننى رب عملك ، وولى نعمتك ؟
عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تغادر حجرة مكتبه ، قائلة فى غضب :
ـ لا .. لم أنس ، وحاول أنت ألا تنسى أن هذا كل ما يربطنى بك ، ولا تزرنى فى منز ...
شهقت فجأة ، قبل أن تتم عبارتها ، فرفع (كوستا) عينيه إليها فى سرعة ، واتسعت عيناه فى دهشة ، عندما وقعتا على (بابيوس) ، الذى اندفع إلى مكتبه ، والدماء تغطى ذراعه وكفه اليمنى ، هاتفًا :
ـ أنقذنى .. أنقذنى يا (كوستا) .
هب (كوستا) من مقعده ، ودفع الفتاة خارجًا ، وهو يقول لها فى غلظة :
ـ اتركينا وحدنا .. هيا .. اذهبى إلى عملك .

وأغلق الباب خلفها فى إحكام ، ثم استدار إليه ، يسأله فى توتر :

ـ ماذا أصابك ؟.. وما الذى أتى بك إلى هنا ؟

لوّح (بابيوس) بذراعه السليمة ، وهو يقول :

ـ لست أعرف سواك ، ممن يمكننى اللجوء إليهم ، فى مثل هذه الظروف .. لقد أصابتنى تلك اللعينة برصاصتين ، فى كتفى وذراعى ، وأحتاج إلى من يستخرجهما ، ويداوى جراحى ، دون أن يلقى أية أسئلة .

هتف (كوستا) :

ـ وما شأنى أنا بهذا ؟

صاح به (بابيوس) :

ـ أنت صاحب بار . وكل أصحاب البارات أوغاد ، ولهم دائمًا علاقات وثيقة بالقذرين أمثالهم ، وكل ما أحتاج إليه هو أن تجرى اتصالاتك ، وتحضر لى من يفعل هذا .

سأله (كوستا) ، فى حدة :

ـ مقابل ماذا ؟.. كم ستدفع له ؟

عضّ (بابيوس) شفتيه فى قهر ، وهو يقول :

ـ لست أملك شيئًا فى هذه اللحظة ، على الرغم من أننى كنت أحمل حقيبة تحوى مليونًا من الدولارات ، منذ أقل من ساعة واحدة .

برقت عينا (كوستا) فى لهفة وجشع ، وهو يهتف :

ـ مليون دولار .. أنت كنت تحمل مليون دولار ؟.

هتف (بابيوس) :

ـ نعم يا رجل .. كنت أفوز بمليون دولار ، لولا هذه اللعينة .

صاح به (كوستا) :

ـ هيّا يا رجل .. قصّ علىّ القصة كلها .

صرخ (بابيوس) :

ـ اللعنة عليك .. هل ستتركنى أنزف حتى الموت ؟!.. أنقذنى أوّلًا يا رجل ، وسأروى لك القصة كلها .

قفز (كوستا) إلى هاتفه ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سأرسل فى إحضار طبيبى الخاص . ولكننى أصرّ على اتفاقنا .. سيداويك الطبيب ، ثم تقصّ علىّ القصة ..

وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

ـ قصة المليون دولار .

وكان هذا إيذانًا بدخول لاعب آخر إلى الملعب ، وانضمامه إلى أطراف اللعبة .

لعبة الموت ..

* * *

١٠ ـ قواعد اللعبة ..

(أثينا) : الرابع عشر من يناير ..

★ ★ ★

أوقف (مجدى) سيارته أمام البناية الأنيقة ، التى يقيم فيها الدكتور (يورغو) ، والتقط جريدة الصباح من المقعد المجاور له ، وطواها وهو يغادر السيارة ، فى السابعة والنصف صباحًا ، واستقل المصعد إلى الطابق السادس ، وطرق باب شقة الدكتور (يورغو) ، ثم وقف ينتظر لحظات ، حتى سمع صوته من الداخل ، يسأل :

ـ من بالباب ؟

شدّ (مجدى) قامته ، وهو يجيب :

ـ مندوب جمعية (أصدقاء الهرم الأكبر) .

مضت لحظة صامتة ، ثم فتح (يورغو) الباب ، وقال :

ـ أى مندوب بالتحديد ؟

أجابه (مجدى) :

ـ الذى اتصلت به منذ نصف الساعة .

أفسح له (يورغو) الطريق ، وقال :

ـ ادخل .

دلف (مجدى) إلى الشقة فى سرعة ، وهو يسأله :

ـ كيف حال سيادة العقيد ؟

أجابه (يورغو) ، وهو يقوده إلى حجرة جانبية مستقلة :

ـ فى خير حال .. إنه نائم فحسب ، ولكن صحته على ما يرام ، فمعطفه حماه من إصابة ذراعه ، والجرح فى عنقه سطحى إلى حد ما ، إلا أنه فقد الكثير من الدماء ، وكان من الضرورى أن ننقل له بعض الدم الطازج .

سأله (مجدى) فى خفوت :

ـ هل تحتاج إلى دمى ؟

ابتسم (يورغو) ، وهو يربت على كتفه ، قائلًا :

ـ يسعدنى أن تعرض هذا ، ولكننى أعطيته الدم بالفعل ، فقد خرجت بعد منتصف الليل ، وابتعت لترًا من الدم ، من بنك دم خاص ، مستخدمًا هويتى ، ومدعيًا أنه لعلاج حالة نزيف رحمى حاد ..

تطلّع (مجدى) داخل الحجرة ، ورأى (أدهم) نائمًا على فراش وثير ، وإلى جواره حامل طبى أنيق ، تعلق فيه كيس من أكياس الدم الفارغة ، فسأل (يورغو) فى قلق :

ـ متى يستعيد قدرته على الحركة ؟

أجابه (يورغو) مبتسمًا :

ـ فور استيقاظه ، فجسده القوى سيساعده على امتصاص واستيعاب الموقف بسرعة .

أومأ (مجدى) برأسه فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ـ حمدًا لله ... حمدًا لله .

ثم التفت إلى (يورغو) ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ ماذا كنا سنفعل بدونك ؟

أجابه (يورغو) ، على الفور :

ـ أنا لم أفعل أكثر مما يحتمه علىّ واجبى .. هل نسيت أننى مصرى ؟

ولم يكن مخطئنا فى هذا ..

فالواقع أن الدكتور (يورغو) قد وُلِد فى (مصر) ، التى أقام فيها والداه لفترة طويلة من الزمن ، وقضى فيها طفولته وصباه وشبابه ، وتعلّق بها كثيرًا ، حتى أصبح عاشقًا لها ، فى أثناء دراسته فى كلية الطب ، جامعة (عين شمس) ..

ولأنه محب حقيقى لـ (مصر) ، كان من الطبيعى أن يلفت انتباه جهاز المخابرات العامة ، الذى أرسل رجاله لمراقبته ، ودراسته ، وتحليل شخصيته جيدًا ، حتى أيقن خبراء الجهاز أنه لا يدّعى عشقه لـ (مصر) ، وإنما يغرق فى هواها حتى النخاع ..

وهنا تم الاتصال به ، والاتفاق معه على تقديم خدماته لنا ، بأية صورة تروق له ..

ولم يتردّد (يورغو) فى الموافقة ..

وطوال السنوات التى قضاها فى دراسته الجامعية ، لم يُطلب منه القيام بعمل واحد ، حتى تخرّج من الجامعة ، وسافر إلى (أثينا) ، ليبدأ حياته العملية هناك ..

وعندئذ ، بدأ تعاونه مع المخابرات المصرية ..

ولم يتوان (يورغو) لحظة واحدة ، عن تقديم أفضل الخدمات لنا ، مع حفاظه على الشرط الوحيد ، الذى وضعه عندما انضم للمخابرات العامة المصرية ..

ألا يعمل أبدًا ضد مصلحة (اليونان) ..

ولقد احترم المصريون شرطه هذا ، الذى يشفّ عن أصالته ، وصدقه ، وروح الحزم والوفاء فى أعماقه ..

« (مجدى) .. أأنت هنا ؟!.. »

ارتفع صوت (أدهم) بهذه العبارة ، فالتفت إليه (مجدى) فى سرعة ، قائلًا :

ـ فى خدمتك يا سيادة العقيد .

نهض (أدهم) من الفراش ، وابتسم قائلًا للدكتور (يورغو) :

ـ صباح الخير يا دكتور .. يبدو أنك أحسنت التعامل مع إصاباتى ، فأنا أشعر بالنشاط والانتعاش اليوم .

بدا الارتياح على وجه (يورغو) ، فى حين قال (مجدى) مخلصًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيّدى .

سأله (أدهم) :

ـ أين (أنور) ؟

تنهّد (مجدى) ، وخفض عينيه ، وهو يغمغم :

ـ لدى خبر سيّئ بشأنه .

وراح يروى لـ (أدهم) كل ما حدث فى غيابه ، وقصّ عليه قصة مصرع (أنور) ، وإن لم يكن لديه الكثير من التفاصيل ، ثم أخبار ما حدث فى محطة القطار ، فقال (أدهم) فى أسف :

ـ مسكين (أنور) .. كم يؤسفنى ذلك الجزء العنيف من عملنا .

غمغم (مجدى) :

ـ لقد مات كما تمنى طيلة عمره يا سيّدى .. وهو يؤدى واجبه .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وقال :
ـ هذا عزاؤنا الوحيد .
ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليسيطر على مشاعر الحزن والغضب فى أعماقه ، قبل أن يقول :
ـ ولكن دعنا لا نقحم مشاكلنا الخاصة فى العمل .. لقد لقى (أنور) (رحمه الله) مصرعه ، فى متجر العم (كرياكوس) ، وهذا يعنى أن الإسرائيليين قد توصلوا إلى أنه الرجل الذى قام بتكبير وطبع (الميكروفيلم) .. ومن المؤسف أن الرجل رفض الانصياع لنصيحتنا ، وإغلاق متجره لبضعة أيام ، وتشبث بالبقاء فيه حتى آخر رمق .. أما حادث محطة القطار ، فيعنى أن الإسرائيليين مصرون على تدمير كل من يطلع على وثائقهم ، حتى ولو كان أحد أصدقائهم الأمريكيين ، وهذا يوحى بمدى أهمية وخطورة هذه الوثائق .
قال (مجدى) :
ـ المفروض أنهم حصلوا عليها أمس .
هز (أدهم) رأسه ، وقال :
ـ هذا لن يكفيهم ، فمازال (الميكروفيلم) نفسه مفقودا ، ومازال هناك احتمال لوجود نسخ أخرى من الوثائق ، ماداموا لم ينجحوا فى العثور على (بابيوس) .. وبالمناسبة .. لدى صورة له ، ويمكنك عرضها على نقابة سائقى سيارات الأجرة ، ومن المؤكد أن أحدهم سيتعرفه ، ويرشدنا إليه .
سأله (مجدى) ، فى دهشة :
ـ أهو سائق سيارة أجرة ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ هو كذلك ، ولكن المهم أن نتوصل إليه قبل الإسرائيليين ، الذين أتساءل عن خطوتهم التالية .
أجاب (مجدى) :
ـ أعتقد أننى أعرف خطوتهم التالية .
ثم ناوله الجريدة ، وأشار إلى فقرة فى باب الإعلانات ، وهو يستطرد :
ـ اقرأ هذا الإعلان .
التقط (أدهم) الجريدة ، وقرأ فيها إعلانا يقول :
ـ « مطلوب مترجم ، من العبرية إلى الإنجليزية ، بمكافأة مغرية .. يشترط وجود خبرات سابقة حديثة .. »
ويلى ذلك اسم وعنوان الشخص ، الذى يتم الاتصال به للتعاقد ..
وخفض (أدهم) الجريدة ، وهو يقول :
ـ لعبة ذكية من الإسرائيليين ، وستساعدهم كثيرًا فى التوصل إلى المترجم .
سأله (مجدى) :
ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ، لنعترض خطتهم هذه يا سيدى ؟
عقد (أدهم) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :
ـ الأمر ليس سهلًا يا (مجدى) ، فالغرض من هذا الإعلان هو معرفة ذلك الشخص ، الذى ترجم وثائقهم ، وعند معرفته ، سيبذل الإسرائيليون أقصى طاقاتهم لاستجوابه ، حتى ولو اضطروا لبتر أطرافه كلها ، حتى يرشدهم إلى حامل الوثائق ، وبعدها سيتخلصون

منه حتمًا ، وهذا يعنى أنه من العسير أن نرسل شخصًا إليهم ، يدّعى أنه المترجم ، فسيعرضه هذا لخطر بالغ ، ومن المستحيل - فى الوقت ذاته - أن نتركهم ينفذون خطتهم ، ويظفرون بالمترجم .

بدت الحيرة على وجه (مجدى) ، وهو يقول :

- وما الذى تقترحه إذن يا سيّدى ؟

صمت (أدهم) مفكرًا للحظات أخرى ، ثم قال فى حزم :

- بالنسبة إليك ، ستتولى مراقبة ذلك العنوان فى الجريدة ، وتحديد شخصية كل مترجم يستجيب للإعلان ، مع تصويره لو أمكنك هذا ، وقبل هذا سأرسلك فى مهمة إلى نقابة سائقى سيارات الأجرة .

ثم رفع عينيه ، مستطردًا :

- أما أنا ، فسأحاول أن أقترب أكثر .. أكثر بكثير .

وبدت عبارته غامضة ..

غامضة للغاية ..

* * *

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف صباحًا بعد ، عندما سأل (كوستا) طبيبه الخاص فى لهفة شديدة :

- هل داويت جراحه ؟

ألقى الطبيب نظرة سريعة على (بابيوس) ، ومطّ شفتيه بحركة سوقية ، وهو يشعل سيجارته ، قائلًا فى اقتضاب :

- سيشفى .. اطمئن .

نقده (كوستا) مبلغًا محترمًا ، وهو يقول :

- أريده أن يصبح سليمًا معافى ، بأكبر سرعة ممكنة ؛ فأمره يهمنى كثيرًا جدًا .

تطلّع إليه الطبيب فى خمول ، وحكّ لحيته نصف النامية ، قبل أن يحصى النقود ، ويلقيها فى جيبه ، قائلًا :

- ولماذا هذه المرة بالذات ؟

أجابه (كوستا) ، فى خشونة :

- ليس هذا من شأنك يا رجل .. افعل ما آمرك به فحسب ، واحرص على إرضائى ، ما دمت أدفع بسخاء .

هتف الطبيب :

- كيف تتحدّث هكذا إلى طبيب محترم مثلى ؟

قهقه (كوستا) ضاحكًا ، وهو يقول فى سخرية :

- طبيب سابق يا رجل .. لا تنس هذا قط .. ثم ما صلتك أنت بالاحترام ؟!.. لو أنك تعلم ما هو الطب المحترم ، لما سحبوا رخصتك ، ومنعوك من مزاولة مهنتك .. دعنى أتذكر السبب .. آه .. إنها حالات إجهاض غير شرعية .. أليس كذلك ؟

قال الرجل فى حدة :

- لقد خسروا الكثير بفعلتهم هذه .. أنا أمهر طبيب فى المنطقة كلها ، ولن يجدوا مثلى قط .

قهقه (كوستا) مرة أخرى ، وربّت على ظهره فى خشونة ، قائلًا :

- أعترف أنك طبيب ماهر ، وهذا ما يدفعنا للتعاون معك يا رجل ، ولكن لا تتحدّث عن الاحترام ، فهو لا يناسبك قط .

مطّ الطبيب شفتيه مرة أخرى فى حنق ، وهمهم بكلمات غاضبة غير مفهومة ، وهو يغادر المكان ، فى حين فرك (كوستا) كفيه ، والتفت إلى (بابيوس) ، الذى تمتم فى ضيق :

ـ أنت تسىء معاملة طبيبك على نحو عجيب .

أشار (كوستا) بيده ، وقال :

ـ لا تقلق نفسك بشأنه .. إننا نتعامل بالأسلوب نفسه منذ سنوات . ولولا النقود التى يحصل عليها منا ، لما أمكنه العيش قط .

ثم مال نحوه ، واستطرد فى لهفة :

ـ ولكن دعك منه ، وأخبرنى : ما قصة المليون دولار هذه ؟

ازدرد (بابيوس) لعابه ، وهو يشعر بالندم ، لأنه أعلن هذا الأمر لرجل مثل (كوستا) ، ولكنه أدرك عدم جدوى التراجع الآن ، فغمغم :

ـ تلك الخطابات ، التى أرسلت الأصلع لإحضارها من صندوق البريد ، لم تكن خطابات غرامية ، كما سبق وأن أخبرتك .

قال (كوستا) ، فى لهفة :

ـ أعلم هذا .

ثم تحسَّس كدمات وجهه ، قبل أن يستطرد :

ـ أعلمه جيدًا .

التقط (بابيوس) نفسًا عميقًا ، وتابع :

ـ الواقع أننى حتى لم أتزوَّج بعد ، ولكن القدر ألقى فى طريقى بوثائق هامة ، تساوى ثروة طائلة ، لو أحسن المرء استغلالها .

سأله (كوستا) ، فى لهفة :

ـ أى نوع من الوثائق ؟

أجابه (بابيوس) ، فى تردد :

ـ وثائق سرية إسرائيلية .

تراجع (كوستا) فى حركة عنيفة ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ وثائق سرية إسرائيلية ؟!.. أتعنى أن كل هذا كان جزءًا من لعبة أجهزة مخابرات ؟!

أومأ (بابيوس) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. لعبة اشتركت فيها عدة أجهزة مخابرات ، وكل منها يسعى للحصول على الوثائق .

هتف (كوستا) :

ـ يا للهول !.. لقد تورَّطت كثيرًا يا رجل .

أجابه (بابيوس) ، فى سرعة :

ـ لم أتورَّط فى شىء .. لقد كنت أعلم وأدرك مدى صعوبة وخطورة الأمر منذ البداية ، ولكن إغراء الربح كان كبيرا ، فلم أستطع مقاومته ، وأعددت خطتى بدقة بالغة ، حتى يمكننى العبث مع كل أجهزة المخابرات ، والفوز بالغنيمة .

قال (كوستا) ، بأنفاس مبهورة :

ـ العبث مع أجهزة المخابرات ؟!.. كم أنت واهم يا رجل !

هزَّ (بابيوس) رأسه ، وقال :

ـ لست واهمًا كما تتصوَّر .. لقد أحسنت القيام بدورى ، ولم يستطع أحدهم تعقُّبى ، بسبب تلك الخطة المعقَّدة التى وضعتها ، حتى تصل إلىَّ عروضهم ، وعلى الرغم من كثرة الخطابات ، كانت هناك ثلاثة عروض إيجابية فحسب .. الأمريكيون .. والإسرائيليون .. والمصريون .. ولكن الإسرائيليين والمصريين طلبوا الاطلاع على الوثائق ، قبل إبرام الصفقة ، أما الأمريكيون ، فقد عرضوا مليون دولار مقابل الوثائق ، دون قيد أو شرط .

برقت عينا (كوستا) ، وهو يهتف :

ـ رائع .. وماذا فعلت معهم ؟

أجابه (بابيوس) ، فى أسى :

ـ حددت لهم موعدًا للقاء ، واخترت مكانا مزدحمًا ، يصعب عليهم التلاعب معى فيه ، وحضروا فى الموعد المحدد بالضبط ، وتم التبادل على خير ما يرام .. أعطيتهم الوثائق ، وأعطونى حقيبة جلدية ، تحوى المليون دولار .

هتف (كوستا) :

ـ وماذا حدث إذن ؟.. أين المليون دولار ؟

قال (بابيوس) ، فى مرارة :

ـ فجأة ، راحت الرصاصات تنهال علينا كالمطر ، ورأيت أحد الأمريكيين يصاب برصاصة ، فاختطفت الحقيبة ، ورحت أجرى مذعورًا ، ولكن امرأة مجنونة طاردتنى فى إصرار ، وأطلقت علىّ النار ، واضطرتنى للتخلى عن حقيبة النقود ؛ لأظفر بحياتى .

صرخ (كوستا) ، فى غيظ :

ـ وما قيمة حياتك هذه ؟

حدق (بابيوس) فيه بدهشة ، فتراجع بسرعة ، قائلا :

ـ أعنى أنه كان من الضرورى أن تخاطر .

هتف (بابيوس) :

ـ أخاطر بحياتى من أجل المال ؟!.. وماذا سأفعل به ، بعد أن ألقى مصرعى ؟!.. ما الذى يمكننى أن أحصل عليه عندئذ ؟

قهقه (كوستا) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ جنازة فاخرة .

بدت دعابته مبتذلة ، بالنسبة لـ (بابيوس) ، الذى قال :

ـ أنت لا تحسن فهم الأمر .

هتف (كوستا) :

ـ بل أنت من لا يحسن التعامل مع الكبار .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حماس :

ـ يبدو أنك قد نسيت ، فى غمرة لهفتك للحصول على المال ، أن أصحاب الوثائق هم أكثر من يهمه استعادتها .

قال (بابيوس) مبهورًا :

ـ أتقصد الإسرائيليين ؟

تراجع (كوستا) ، هاتفًا :

ـ بالطبع .. كان من الخطإ أن تعقد الصفقة مع غيرهم يا رجل ، فأنت بهذا تعرّض وثائقهم وأسرارهم للخطر ، ولن يمكنهم التغاضى قط عن أمر كهذا .

قال (بابيوس) ، فى قلق :

ـ أتقصد أن أولئك الذين أطلقوا النار علىّ أمس ، وأصابوا ذلك الأمريكى ، كانوا من الإسرائيليين ؟!

فرد (كوستا) كفيه ، وهو يقول :

ـ ومن غيرهم ؟.. إنهم يدافعون عن أسرارهم يا رجل .. أسرارهم التى أردت أنت منحها للأمريكيين ، مقابل مليون دولار .

بدا التوتر على وجه (بابيوس) ، وهو يقول :

ـ وكيف أعالج مثل هذا الأمر الآن ؟

أجابه ، فى حزم :

ـ اترك لى التفكير فى هذا .

وبرقت عيناه فى شراهة ، وهو يشرد ببصره فى عالم أحلامه ، ويستطرد بلهجة يسيل لعابها .

ـ من الطبيعى ألا أدخر جهدًا فى سبيل مليون دولار .

وبرقت عيناه أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

« نعم .. أعرفه .. »

ألقى مسئول نقابة سائقى سيارات الأجرة هذه العبارة فى بساطة ، عندما عرض عليه (مجدى) صورة (بابيوس) ، فسأله رجل المخابرات المصرى فى اهتمام :

ـ هل يمكننى الحصول على بعض المعلومات عنه ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هذا من حقك .

قال (مجدى) ، فى هدوء :

ـ إنه أمر بالغ الأهمية .

عاد الرجل يهزّ رأسه فى عناد ، قائلًا :

ـ ولو .

أخرج (مجدى) بضع أوراق مالية من جيبه ، وهو يقول :

ـ وماذا لو أننى دفعت الثمن ؟

تلفّت الرجل حوله فى توتر ، ثم اختطف المبلغ من يد (مجدى) ، وألقاه فى درج مكتبه فى سرعة ، وهو يهمس :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟

أجابه (مجدى) ، فى حزم :

ـ كل ما يمكننى الحصول عليه .

همس الرجل فى توتر ، وهو يختلس النظر فيما حوله ، على الرغم من أنه يجلس فى حجرة خالية ، وقال :

ـ اسمه (خريستو بابيوس) .. أعزب .. يقيم فى البناية السادسة عشرة من شارع (مينرفا) .. الشقة رقم أربعة ، ويمتلك سيارة أجرة برقم (٢٠٠٢٦٧) .. هذا كل ما أعرفه عنه .

ابتسم (مجدى) ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى .

ثم استدار لينصرف ، فسأله الرجل فى دهشة :

ـ ألن تدوّن هذا ؟

أجابه ، فى بساطة :

ـ لقد فعلت .

قال الرجل ، بدهشة أكبر :

ـ أين ؟!.. لم أرك تكتب شيئًا .

ابتسم (مجدى) ، وأشار إلى رأسه ، مستطردًا :

ـ هنا .

تابعه الرجل ببصره فى ذهول ، حتى غادر حجرته ، ثم هزّ رأسه فى حيرة ، مغمغمًا :

ـ لا يمكن أن يمتلك ذاكرة قوية إلى هذا الحد .

وعاد يهز رأسه ثانية ، والتفت إلى عمله ، ولكنه لم يكد يمسك قلمه ، حتى اقتحم (ناحوم) حجرته ، وسأله فى اهتمام :

ـ أريد بعض المعلومات عن أحد سائقيكم ، يمتلك سيارة صفراء ، من طراز (رينو) ، تبدأ أرقامها بـ (٢٦٧) .

تطلّع إليه الرجل لحظة فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟.. لماذا تهتمون جميعًا بـ (بابيوس) وسيارته ؟

انعقد حاجبا (ناحوم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ جميعًا ؟!.. من تقصد بالضبط ؟.. هل طلب أحدهم بعض المعلومات عنه من قبل ؟

ارتبك الرجل ، وقال :

ـ هذا يحدث دائمًا .

رمقه (ناحوم) بنظرة قاسية ، ثم امتدت يده فجأة تقبض على قميص الرجل ، وجذبه إليه فى حدة ، وانتزع مسدسه من غمده ، وألصقه بعنق الرجل ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وما الذى أخبرته به عن (بابيوس) هذا ؟

هتف الرجل ، فى ارتياع :

ـ أخبرته أن اسمه (خريستو بابيوس) ، وأنه أعزب ، ويقيم فى السادس عشر من شارع (مينرفا) ، فى الشقة رقم أربعة ، ورقم سيارته هو (٢٠٠٢٦٧) ، .. أقسم لك إن هذا هو كل ما حصل عليه .. أقسم لك .

سأله (ناحوم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه فى حدة :

ـ ومن هذا الرجل ؟.. من الذى أخبرته بكل هذا ؟

قال الرجل ، وهو يوشك على البكاء :

ـ لست أدرى .. أقسم لك إننى لست أدرى .. مجرّد رجل .. كيف لى أن أعرف من هو .

كان يلقى جوابه ، عندما لمح (مجدى) فجأة ، من النافذة المجاورة ، وهو يقطع الطريق متجهًا إلى سيارته ، فهتف :

ـ ها هو ذا .. ها هو ذا الرجل .

التفت (ناحوم) بسرعة إلى حيث يشير الرجل ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يرسم ملامح (مجدى) فى ذاكرته ، قبل أن يغمغم :

ـ إذن فهذا هو الرجل .

وكانت عبارة تحمل مغزى مخيفًا ..

وقاتلًا ..





١١ ـ الترجمة الكاملة ..

وقف (أرنولد) فى مطار (أثينا) ، يراقب باب الخروج فى نفاد صبر ، وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، بين الحين والحين ، وينقل قدميه من مكان إلى مكان فى عصبية ، دون أن يبتعد عن سيارته (الفورد) البيضاء ، التى تحمل أرقامًا دبلوماسية ، حتى لمح امرأة طويلة القامة ، شقراء ، رياضية القوام ، جميلة الملامح ، فاندفع إليها ، هاتفًا فى حرارة :

ـ (ليزلى) العزيزة .. كم يسعدنى أن استجبت لندائي .

أجابته فى برود ، وهى تتجه معه إلي سيارته :

ـ لا داعي لإضفاء تلك اللمسة العاطفية السخيفة على الموقف يا (أرنولد) .. أنت تعلم أننى لم أستجب لندائك الشخصى ، وإنما لبيت أوامر الوكالة ، عندما طلبوا منى الانتقال من (باريس) إلى (أثينا) ، لمعاونتك فى مهمة خاصة ..

أدار محرك السيارة ، وهو يقول :

ـ إنها مهمة خاصة بالفعل .

التفتت إليه فى تساؤل ، فتابع وهو ينطلق بالسيارة :

ـ لقد قتلوا (بروس) .

انعقد حاجباها فى شدة ، وارتسم غضب شديد على وجهها ، وهى تقول :

ـ من هؤلاء ؟

أجابها ، فى حنق واضح :

ـ الإسرائيليون .

وثب حاجباها بغتة إلى أعلى ، وهى تهتف :

ـ الإسرائيليون ؟!.. ولماذا يفعلون هذا ؟.. المفروض أننا أصدقاء ، وهناك تعاون رسمى بيننا وبين (الموساد) .

قال فى صرامة :

ـ من الواضح أن تلك الوثائق ، التى يبحثون عنها ، تمثل لهم أهمية بالغة ، وأنها تحوى من الأسرار ما أخفوه عنا .. والأرجح أنها بعض الأسرار النووية ، فربما كان الإسرائيليون يخططون لإنتاج بعض الأسلحة النووية ، التى نحتفظ لأنفسنا بحق إنتاجها ، ويخشون أن ندرك هذا ، ويحاولون منعنا من هذا بأى ثمن .

قالت فى حدة :

ـ إلى حد قتل أحد رجالنا ؟!

أومأ برأسه ، قائلًا :

ـ أنت تعرفين الإسرائيليين .

مطت شفتيها الجميلتين ، وهى تغمغم فى غضب :

ـ كلنا نعرفهم .

ثم اعتدلت فى مجلسها ، وسألته :

ـ وما المطلوب منا أن نفعله ؟

انعقد حاجباه بشدة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ الانتقام .

صمتت لحظة ، وكأنها تحاول استيعاب قوله ، قبل أن تغمغم :

ـ بصفة رسمية ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال فى اقتضاب :
ـ كلا .
هتفت مستنكرة :
ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. هل أحضرتنى من (باريس) إلى هنا ، لنقوم معًا بعمل غير رسمى ؛ لمجرّد أنك ترغب فى هذا ؟!.. ألا يبدو لك هذا ضربًا من العبث ، قد يكلفنا وظيفتينا ؟
قال فى قوة :
ـ يبدو أن (ليزلى فان هام) الشهيرة ، لم تستطع استيعاب الأمر بعد .. لقد قتل الإسرائيليون أحد رجالنا ، للحفاظ على وثائقهم اللعينة ، ولكننا سننتقم منهم ، ونسحق فريقهم كله ، ثم نستولى على وثائقهم .. وكل هذا يتم بعلم الرؤساء وموافقتهم ، ولكن دون أوراق أو أوامر رسمية ، حتى لا نفسد لعبة السياسة ، التى يلهو بها كبار المسئولين .. هل فهمت ؟
ظلت تستمع إليه بملامحها الباردة فى هدوء ، قبل أن تقول :
ـ هكذا يختلف الأمر .
والتزمت الصمت لحظات ، ثم سألت :
ـ ألدينا معلومات عن فريق الإسرائيليين ؟
أجابها بسرعة :
ـ بالتأكيد .. جواسيسنا بين صفوفهم يمتازون بالنشاط والسرعة ، ولقد أرسلوا لنا أسماء أفراد الفريق كلهم .. إنهم أربعة .. على رأسهم (راشيل جولدمان) ، التى قمنا بتدريبها فى إدارتنا .. أعنى كانوا أربعة ، فقد قتلت أحدهم البارحة .

شردت (ليزلى) ببصرها ، وهى تردّد :
(راشيل جولدمان) .. تلك اليهودية المتعجرفة .. كم تمنيت أن أواجهها على نحو عملى ، لأثبت لها أن الاهتمام بتنمية العضلات لا يكفى وحده للتفوّق .
قال (أرنولد) :
ـ وها هى ذى فرصتك بين أصابعك .
أومأت برأسها موافقة ، وشردت ببصرها لحظات أخرى ، ثم سألته :
ـ وكيف يمكننا العثور عليهم ؟
أشار إلى صحيفة على المقعد الخلفى ، وقال :
ـ لقد نشروا إعلانًا عن مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ، وسيكون أحدهم فى استقبال من سيتقدمون بالطبع .
أخرجت من حقيبتها مسدسًا قويًا ، وهى تقول :
ـ عظيم .
ثم جذبت مشط المسدس ، وتركته يرتدّ بصوت قوى ، قبل أن تستطرد فى صرامة :
ـ لن أنتظر طويلًا إذن ، حتى ألتقى بيهوديتى المتعجرفة .
ارتسمت ابتسامة متشفية على شفتى (أرنولد) ، وهو يقول :
ـ إننا نتجه إليهم مباشرة ..
واتسعت ابتسامته ، لتحمل رغبة قوية ، تشتعل فى أعماقه .. رغبة الثأر ..

★ ★ ★

امتلأت نفس (كوهين) بملل لا حدود له ، وهو يواصل استقبال المترجمين ، الذين استجابوا للإعلان ..

لم يكن عددهم كبيرًا ، ولكن كل منهم كان يستفيض في وصف براعته ، وتأكيد عبقريته ، وتمكّنه من اللغتين العبرية والإنجليزية ، ولكن ما إن يأتي السؤال التقليدي :

ـ ألديك خبرات سابقة حديثة ؟

حتى يرتبك المترجم ، ويحاول إقناعه بأن براعته تفوق حتمًا خبرات الآخرين ، ويتحجج بأن اللغة العبرية ليست إحدى اللغات الشائعة ، وأنه من النادر أن يطلب شخص ما مثل هذه التراجم ، و ...

و ...

ويضطر هو إلى الاستماع إليهم في صبر ، حتى ينتهوا من حديثهم ، ثم يدوّن أسماءهم وعناوينهم ، ويعدهم بالاتصال بهم فيما بعد ..

والموقف يتكرّر بحذافيره كل مرة ..

والملل يتصاعد .. ويتصاعد ..

ثم وصل ذلك المترجم ..

رجل وقور ، أشيب الشعر ، كث اللحية والشارب ، يرتدي ثيابًا بسيطة ، توحي بالذوق وقلة الموارد ..

ولقد بدا الرجل خجولًا مرتبكًا ، وهو يقول :

ـ أنا أستاذ سابق للغات الشرقية ، في جامعة (أثينا) ، وأعتقد أنني أصلح للعمل الذي أعلنتم عنه ، فأنا أجيد الإنجليزية والعبرية إلى حد ما .

ألقى عليه (كوهين) سؤالًا بالعبرية ، فأجابه الرجل في إجادة ، ثم قال بلغة إنجليزية سليمة :

ـ المشكلة تكمن في تلك الخبرات السابقة الحديثة .

سأله (كوهين) :

ـ ألا تمتلك خبرات سابقة :

بدا الخجل على وجه الرجل ، وتنحنح قبل أن يجيب :

ـ لدي خبرات سابقة بالطبع ، ولكنها ليست حديثة ، فلا أحد يطلب ترجمة من العبرية إلى الإنجليزية إلا فيما ندر .

عادت ملامح (كوهين) تمتلئ بالملل ، ولكن الرجل استدرك بسرعة :

ـ حتى أنني لم أسمع عمن فعل هذا في الآونة الأخيرة ، سوى تلميذي (بينو) ، الذي ترجم بعض الوثائق العبرية ، منذ عدة أيام ، و ...

اعتدل (كوهين) في حركة حادة ، وهتف :

ـ ترجم ماذا ؟

لوّح الرجل بكفّه ، وقال :

ـ بعض الوثائق العبرية .. إنه أمر نادر كما أخبرتك ، ولكن (بينو) هذا محظوظ للغاية ، فقد أتاه مثل ذلك العمل ، وربح منه ثروة كما أخبرني .

سأله (كوهين) ، في لهفة :

ـ وهل تعرف فحوى هذه الوثائق ؟

هزّ الرجل رأسه في بساطة ، وأجاب :

ـ (بينو) رفض أن يخبرنى حرفًا واحدًا عنها ، وأكد أن هذه رغبة صاحبها ..

غمغم (كوهين) :

ـ ربما كان هذا من حسن حظك .

تابع الرجل ، وكأنه لم يسمع العبارة :

ـ كل ما أخبرنى به هو أنها أوراق هامة للغاية ، و ...

قاطعه (كوهين) ، فى اهتمام :

ـ وأين يقيم (بينو) هذا ؟

سعل الرجل ، وقال :

ـ سأخبرك بعنوانه .. أعتقد أنكم ستتعاقدون معه .. أليس كذلك ؟

هزّ (كوهين) كتفيه ، وقال :

ـ إنه يمتلك الخبرات الحديثة .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ ألم أقل لك إنه محظوظ ؟

وأملاه العنوان ، ثم نهض لينصرف ، قائلًا :

ـ لو احتجتم إلى أى عمل آخر ، فأنا .

قاطعه (كوهين) ، وهو يدفعه دفعًا إلى الخارج :

ـ بالتأكيد .. ومن سنجد أفضل منك ؟

قال الرجل ، وهو يخرج بطاقته :

ـ ولكن .. ولكنك لم تحصل على عنوانى .

ولكن (كوهين) لم يجب ، فقد أغلق الباب خلف الرجل ، وهرع ليجرى اتصاله برئيسته (راشيل) ، وينقل إليها هذه المعلومة البالغة الخطورة ..

والطريف أنه لو انتظر قليلًا ، أو اختلس النظر إلى الرجل ، بعد أن أغلق الباب خلفه ، لما فعل ما فعل قط ، فلم يكد يغلق الباب ، حتى اعتدل الرجل ، وتلاشت نظرة الخجل من عينيه ، لتحلّ محلّها نظرة ساخرة ، انتقلت بسرعة إلى ابتسامته ..

تلك الابتسامة الخاصة ، التى تميّز الرجل ..

(رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

اتخذ (مجدى) موقعه فى براعة ، بحيث يمكنه رصد كل من يصل إلى المنزل الآمن للإسرائيليين ، دون أن يدرك أحدهم وجوده ، وراح يؤدى عمله جيدًا ، ويلتقط صور الجميع ، واستغرق منه هذا بعض الوقت ، قبل أن تلتصق فوهة مسدس باردة بظهره فجأة ، ويرتفع معها صوت صارم ، يقول باليونانية :

ـ إيّاك أن تتحرّك .

رفع (مجدى) يديه فى بطء ، دون أن يترك آلة التصوير ، وهو يقول باليونانية ، التى يجيدها إجادة تامة :

ـ سأفعل ، ولكننى لم أرتكب أى خطأ قانونى .

صاح به (ناحوم) ، فى غلظة :

ـ اصمت ، وتقدّم معى إلى تلك السيارة الزرقاء ، دون أدنى مقاومة ، وإلا نسفت رأسك فى الطريق .

وأمسك كتف (مجدى) فى قوة ، وهو يدفعه أمامه فى قسوة إلى السيارة ، ولم يبد (مجدى) أى نوع من المقاومة ، حتى احتلّ (ناحوم) مقعده داخل السيارة ، وسأله فى صرامة :

ـ من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

التقط (مجدى) نفسًا عميقًا بصوت مسموع ، قبل أن يقول :

ـ لن أحاول التحايل عليك ، وسأجيبك بكل صراحة .

قال (ناحوم) ، فى غلظة :

ـ هذا أفضل بالنسبة لك .

أومأ (مجدى) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ أنا مخبر سرّى .

ـ بدا الغضب على وجه (ناحوم) ، وصاح :

ـ مخبر سرّى ؟!.. هأنتذا تبدأ العبث معى .

قال (مجدى) ، بسرعة :

ـ ولكننى كذلك بالفعل .. لقد استأجرنى أحدهم ؛ للحصول على بعض المعلومات .

سأله (ناحوم) ، وهو يلوّح بالمسدس فى وجهه :

ـ وما اسم من استأجرك ؟

لم يُضع (مجدى) لحظة واحدة فى التفكير ، وهو يجيب :

ـ (أرنولد ويلز) .. إنه أمريكى ، يعمل فى السفارة الأمريكية هنا ، ويدفع بسخاء .

ردّد (ناحوم) :

ـ (أرنولد) ؟!

ثم صاح ، فى غضب :

ـ كاذب .. الأمريكيون لا يستأجرون يونانيًا لأداء أعمالهم .

قال (مجدى) :

ـ ولكنهم فعلوا هذه المرة .. وما شأنى أنا ؟.. سلهم لماذا أبدلوا سياساتهم .

جذب (ناحوم) إبرة مسدسه ، وهو يقول :

ـ لن يمكنك إقناعى بهذا قط .

ثم صوّب فوهة المسدس المزوّد بكاتم للصوت ، إلى جبهة (مجدى) مباشرة ، وهو يستطرد فى شراسة :

ـ وليقطع ذراعى إن لم تكن تعمل لحساب المخابرات المصرية .. الوداع أيها المصرى ، وبلغ تحياتى للرفاق فى الجحيم .

وضغط زناد مسدسه ؟

ولكن (مجدى) لم يكن خصمًا عاديًا ..

إنه رجل يختلف عن الكثيرين ..

رجل مخابرات مصرى ..

وفى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (ناحوم) زناد مسدسه ، انزلق (مجدى) بجسده إلى أسفل ، ورفع قدميه ليضرب الإسرائيلى فى صدره بكل قوته ، هاتفًا :

ـ ولماذا لا تبلغهم إياها بنفسك ؟

مرقت الرصاصة فوق رأس (مجدى) ، واخترقت زجاج السيارة ، فى حين كانت ضربته لـ (ناحوم) بالغة القوة ، حتى أنها جعلته يدفع الباب المجاور له ، ويسقط خارج السيارة فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ اللعنة !

وقبل أن يعتدل ، كان (مجدى) ينقضّ عليه كالليث ، ويطيح بمسدسه بضربة عنيفة ، ثم يضرب فكه بلكمة أكثر عنفًا ، قائلًا :

ـ دعنى أعترف لك .. لست مخبرًا سريًا فى الواقع .

دفع (ناحوم) ركبته فى معدة (مجدى) ، وألقاه جانبًا ، وهو يهتف :

ـ أعلم هذا .

ثم وثب محاولًا استعادة مسدسه ، ولكن (مجدى) قفز نحو المسدس ، وركله بكل قوته ، قائلًا :

ـ هيهات .

قبض (ناحوم) على قدم (مجدى) وجذبها فى قوة ، فأسقط هذا الأخير على وجهه ، وحاول أن يلكمه بين ساقيه ، إلا أن (مجدى) أدار قدمه الأخرى فى سرعة ، وركله بها فى وجهه بعنف ، قائلًا :

ـ تحتاج إلى مزيد من التدريبات يا صاح .

وثب (ناحوم) عليه ، وأحاط وسطه بذراعيه ، ليسقط معه أرضًا ، أمام المارة الذين سيطر عليهم الذهول ، وهم يتابعون هذا الصراع الوحشى ، ولكن (مجدى) انثنى فى مهارة ، ولم يكد ظهره يلمس الأرض ، حتى كانت قدماه تغوصان فى معدة (ناحوم) ثم ترفعان جسده إلى أعلى ، وتقذفانه إلى الخلف فى قوة ..

ولكن سقطة (ناحوم) أوصلته إلى نقطة بالغة الخطورة ..

إلى جوار مسدسه تمامًا ..

وبسرعة ، اختطف (ناحوم) مسدسه ، وصوّبه إلى (مجدى) ، صائحًا :

ـ خسرت أيها الغبى .

وانطلقت من مسدسه ثلاث رصاصات ..

* * *

١٢ ـ لمحة أمريكية ..

رفع مدير (الموساد) عينيه عن تقاريره العديدة ، ليتطلّع إلى أحد رجاله ، الذى طلب مقابلته على وجه عاجل ، ثم سأله فى صوت قوى :

ـ حسن .. ما ذلك الأمر العاجل ، الذى طلبت مقابلتى من أجله ؟

أجابه الرجل ، بسرعة :

ـ وصلنا تقرير من رجال (الشين بيت) (*) يا سيّدى .

قال المدير فى شئ من الضجر :

ـ هذا يحدث دائمًا .

مال الرجل نحوه ، قائلًا :

ـ ولكن هذا التقرير يختلف يا سيادة المدير ، فهو يحوى ما كنا ننتظره منذ فترة طويلة .

حدجه المدير بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. لست أميل إلى ذلك الأسلوب المطوّل السخيف .. أخبرنى ما لديك على الفور .

أجابه الرجل :

ـ لقد عرفنا كيف وصلت الوثائق إلى (اليونان) يا سيادة المدير .

كان من الواضح أن هذا القول قد أثار اهتمام المدير بشدة ، فقد اعتدل فى مقعده ، وسأل الرجل :

ـ كيف ؟

(*) الشين بيت : المخابرات الداخلية الإسرائيلية .

قال الرجل ، فى حماس :

- لقد أبدى رجال (الشين بيت) ذكاءً واضحًا ، عندما ركّزوا بحثهم على حذاء (كاهان) ، الذى لم يعثروا له على أثر ، بين حطام الطائرة .. وبعد بحث مركّز ودقيق ، أمكنهم العثور عليه .. كان هناك بدوى يرتديه ، على الرغم من تناقضه مع ملابسه الرثة .. ويبدو أن التناقض كان واضحًا ، حتى أن الرجال ألقوا القبض عليه ، وبدءوا فى استجوابه بأساليبهم التقليدية ، ثم انتقلوا إلى الأساليب الخاصة ، فاعترف الرجل على الفور ، وقال : إنه عثر على الحذاء والحقيبة بين حطام الطائرة ، فاستولى عليهما ، واحتفظ لنفسه بالحذاء ، ثم باع الحقيبة لبحار يونانى فى (تل أبيب) .

قال المدير ، فى اهتمام :

- بحار يونانى .. آه .. هذا يفسّر الأمر إلى حد كبير .. المهم : هل عرفت أية معلومات عن ذلك البحار ؟

أجابه الرجل ، فى زهو :

- لم يكن هذا سهلًا ، ولكننا فعلناه يا سيّدى المدير .. فالبحار اليونانى يدعى (بونيستو بابيوس) ، ولقد رحلت باخرته إلى اليونان مباشرة ، فور شرائه للحقيبة .

أشار المدير بسبّابته ، وهو يقول :

هذا يفسّر كل شىء ، ويمكننا استنتاج الباقى ، فقد عاد البحار إلى (اليونان) ، وعثر على (الميكروفيلم) فى الحقيبة ، فذهب إلى أحد المصورين ، وقام بتكبيره وطبعه ، وبعدها طلب من أحدهم ترجمته ، وعندما أدرك خطورة ما تحويه تلك الوثائق ، فكر فى الاستفادة منها ، فأرسل تلك الملخصات ، وكان ما كان .

تمتم الرجل :

- استنتاج جيد يا سيادة المدير ، ولكن تعوقه معلومة واحدة ، فذلك البحار (بونيستو بابيوس) لم يقضى سوى ليلة واحدة فى (اليونان) ، ثم رحل فى الصباح التالى مباشرة ، على ظهر الباخرة التى يعمل بها ، إلى (تركيا) ، والوقت الذى قضاه فى وطنه ، لم يكن يكفى ليفعل كل هذا .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

- إذن فقد أعطى البحار (الميكروفيلم) لشخص آخر ، قام بالعمل كله .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا ما قدّره الخبراء يا سيّدى .

هزّ المدير رأسه فى اهتمام ، ثم قال :

- أبلغ هذه المعلومات لفريقنا فى (أثينا) ، وأرسل أحد قتلتنا المحترفين إلى (تركيا) ؛ لتصفية ذلك البحار .

ثم انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يستطرد :

- وأخبر الجميع أن الأوامر ما زالت كما هى دون تغيير .. أسلوب التعامل الوحيد مع كل من اقترب من هذه الوثائق هو القتل ..

واعتصر كلماته فى حزم وصلابة ، مؤكدًا :

- القتل بلا رحمة ..

★ ★ ★

لم يكن (ناحوم أريان) أبدًا أحد رجال (الموساد) العاديين ، فقد التحق فى البداية بالقوات الخاصة الإسرائيلية ، وتلقى تدريبات مكثفة

فى عدد من المجالات ، وأتقن أساليب القتال والنزال ، والرماية ، والقفز بالمظلات ، قبل أن يلتحق بالمخابرات الإسرائيلية ، ويتلقى المزيد من التدريبات الخاصة ..

باختصار ، كان كأى رجل مخابرات ، يمتلك عددًا من المهارات المدهشة ، التى تؤهله للتفوّق على خصومه العاديين ..

وفى مجال الرماية بالذات ، أثبت (ناحوم) تفوّقًا غير عادى ، جعل من المستحيل عليه أن يخطئ إصابة (مجدى) ، من مسافة قصيرة ، لا تتجاوز المترين ..

ولكن العجيب أنه فعل ..

لقد أخطأ إصابة هدفه بثلاثة أمتار كاملة ..

هذا لأنه فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (ناحوم) زناد مسدسه ، قبضت يد قوية على معصمه ، وانبعث من خلفه صوت يقول :

ـ ليس بهذه البساطة .

طاشت الرصاصات الثلاث فى الهواء ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه صوت أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب فى سرعة ، واستدار (ناحوم) فى غضب ليواجه خصمه ، إلا أنه لم يلمح سوى خصلة من الشعر الأشيب ، قبل أن تنفجر قبضة كالقنبلة فى أنفه ، وتعقبها أخرى صاعقة فى فكه ، ثم ثالثة فى معدته ، وعندما انثنى ألمًا ، اجتمعت قبضتان ، وانفجرتا فى مؤخرة عنقه ، فسقط فاقد الوعى ، فى حين حدّق (مجدى) فى دهشة ، فى وجه ذلك الشيخ الأشيب ، التى وجّه كل هذه الضربات لـ (ناحوم) ، ولكن الشيخ تحرّك نحوه فى سرعة ، وهتف بالعربية :

ـ هيّا بنا قبل أن يصل رجال الشرطة .

انطلقا يعدوان بكل قوتهما ، وينحرفان فى عدد من الشوارع الجانبية ، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، حتى توقفا فى منطقة بعيدة ، ولهث (مجدى) ، وهو يقول للشيخ :

ـ أشكر لك ما فعلته يا سيّدى ، ولكن لماذا خاطرت بنفسك على هذا النحو ؟

ابتسم الشيخ ، وهو يقول :

ـ لأن هذا واجبى تجاه الزملاء يا عزيزى (مجدى) .

نطقها بصوت مختلف تمامًا ، جعل حاجبا (مجدى) يرتفعان فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـ سيادة العقيد ؟!.. مستحيل !.. تنكّرك مذهل للغاية !.. كيف تفعل هذا ؟!

انتزع (أدهم) لحيته المستعارة ، وهو يقول :

ـ إنها خبرة طويلة يا صديقى .

سأله (مجدى) :

ـ ولكن لماذا تنكّرت فى هذه الهيئة ؟

أجابه (أدهم) ، فى هدوء :

ـ كان من الضرورى أن نربك خطة الإسرائيليين ، لذا فقد تقدّمت إليهم بصفتى أستاذ لغات شرقية سابق ، وقدتهم بأسلوب غير مباشر إلى شخص لا وجود له ، أقنعتهم بأنه المترجم المنشود ، وعندما ينشغلون بالبحث عنه ، نكون نحن قد توصّلنا إلى الشخص المطلوب .

سأله (مجدى) ، فى قلق :

ـ وما أدرانا أنهم لم يعثروا عليه بالفعل ..

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ لن يعثروا عليه قط بهذا الأسلوب .

قال (مجدى) ، فى دهشة :

ـ ولماذا تعتقد هذا يا سيادة المقدّم ؟

أجابه (أدهم) ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، فى شوارع (أثينا) :

ـ لسبب بسيط للغاية ، وهو أنه ليس من الطبيعى أن يلجأ شخص يونانى إلى مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ، عندما يرغب فى معرفة فحوى بعض الوثائق ، التى وقعت فى يده بوسيلة ما .. فما حاجته إلى الإنجليزية ؟!.. الإجراء الطبيعى هو أن يسعى لترجمة الوثائق ، من العبرية إلى اليونانية ، وعندما تتضح له خطورته ، يقوم بترجمة النص اليونانى إلى الإنجليزية ، وهذا يعنى أنه لا ينبغى أن يتم البحث عن مترجم من العبرية إلى الإنجليزية ، وإنما المفروض أن نبحث عن نوعين من المترجمين .. أحدهم يترجم من العبرية إلى اليونانية ، والثانى من اليونانية إلى الإنجليزية .

رفع (مجدى) حاجبيه ، وهتف :

ـ ربّاه !.. هذا صحيح يا سيادة العقيد .. صحيح تمامًا .. المفروض أن نبحث عن مترجم إلى اليونانية ، وليس إلى الإنجليزية .

أشار إليه (أدهم) ، قائلًا :

ـ وهذه مهمتك يا (مجدى) .

ثم سأله :

ـ ولكن ماذا فعلت بشأن (بابيوس) ؟

أجابه (مجدى) :

ـ حصلت على كل المعلومات اللازمة عنه يا سيادة العقيد ؟

ونقل إليه كل ما لديه من معلومات عن (بابيوس) ، فاستمع (أدهم) إليه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. إذن فأنت ستبحث عن المترجم ، أما أنا ، فسيكون هدفى هو (بابيوس) .

وشرد ببصره ، مستطردًا :

ـ والوثائق الإسرائيلية .

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يغادر منزل الإسرائيليين ، حتى هرع (كوهين) إلى هاتفه الخاص ، واتصل بـ (راشيل) ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى هتف :

ـ عثرت عليه يا (راشيل) .. عثرت عليه .

قفزت من مكانها ، وهى تسأله :

ـ المترجم ؟!

أجابها ظافرًا :

ـ نعم يا (راشيل) .. لدى الآن كل البيانات عنه .. اسمه ، وعنوانه ، ورقم هاتفه .

سألته فى لهفة :

ـ وهل تأكّدت من أنه هو المترجم المطلوب ؟

أجابه فى سعادة :

ـ تأكّدت تمامًا .

قالت فجأة :
ـ ولكن مهلًا .. لماذا لم تقل : إنك التقيت به ؟!.. لماذا تقول : إن لديك بياناته فحسب ؟.. ألم يأت إليك ؟
أجابها بسرعة :
ـ كلا .. لقد عرفت أمره بمصادفة مدهشة ، سأقصّها عليك عندما نلتقى .
قالت فى حزم :
ـ أنا فى طريقى إليك على الفور .
قال ، فى حماس :
ـ وأنا فى انتظارك .
أعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يبتسم فى حماس ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى انتفض جسده كله بغتة ، مع صوت يقول بالإنجليزية :
ـ نحن أيضًا سننتظرها يا صديقى .
قفزت يد (كوهين) فى سرعة إلى مسدسه ، ولكنها تجمّدت فى موضعها ، عندما استدار ليصطدم بصره بوجهى (أرنولد) و (ليزلى) ، وبمسدسيهما المصوبين إلى رأسه وصدره ، وخاصة عندما سمع (ليزلى) ، تقول ساخرة :
ـ هيّا .. التقط مسدسك .. أرجوك ، فأنا أشعر بشىء من تأنيب الضمير ، عندما أنسف جمجمة شخص ، لم يلتقط مسدسه بعد .
رفع (كوهين) ذراعيه مستسلمًا ، وهو يقول :
ـ لماذا تفعلان هذا ؟.. أنتما من المخابرات الأمريكية .. أليس كذلك ؟

قال (أرنولد) ، فى صرامة :
ـ يا للعبقرية !.. أنت تستحق جائزة الأذكياء بالفعل يا رجل .. والآن اخفض يدك اليسرى فى بطء ، والتقط مسدسك بسبّابتك وإبهامك ، وألقه عند قدمىّ .. وحذار أن تحاول العبث ، فرصاصتى ستسبق رصاصتك حتمًا .
أطاعه (كوهين) دون مقاومة ، وألقى مسدسه عند قدميه ، فسأله (أرنولد) :
ـ أين تلك الوثائق ، التى حصلت عليها (راشيل) أمس ؟
أجابه (كوهين) :
ـ لقد حرقتها كلها .
قالت (ليزلى) ، فى سخرية :
ـ حقًا ؟!.. لماذا بقيتم هنا إذن ، ما دمتم قد نجحتم فى تدمير الوثائق ؟
أطبق (كوهين) شفتيه ، وأشاح بوجهه فى صمت ، فتابعت (ليزلى) بنفس السخرية :
ـ آه .. نسيت أن القواعد تحتم عليك الكتمان ، حتى ولو أوهمك خصمك بأنّه يعلم كل الحقائق .
قال (كوهين) ، فى برود :
ـ طريف منك أن ذكرت هذا ، فهذا يعفينا من محاولات انتزاع المعلومات السخيفة .
أجابته (ليزلى) :
ـ حقًا ؟!.. وماذا لو أننى أميل إلى تجربة الأمر ؟

قالتها ، وهوت على فكه بمسدسها ، بكل ما تملك من قوة ، وكانت الضربة من العنف ، حتى أنه ارتطم بالحائط ، وعندما ارتدّ عنه ، استقبلته لطمة مماثلة من (أرنولد) ، وهو يقول :

ـ هل يروق لك هذا ؟

مسح (كوهين) خيط الدم ، الذى سال من شفته المقطوعة ، وقال فى حدة :

ـ أنتما تنتهكان اتفاق التعاون ، بين مخابراتنا ومخابراتكم .

قال (أرنولد) ، فى غضب :

ـ نحن فعلنا هذا ؟!.. ماذا تسمى قتلكم لزميلنا (بروس) إذن ؟

لم يجب (كوهين) ، وهو يمسح الدماء مرة أخرى ، فقالت (ليزلى) فى صرامة :

ـ لماذا لا ندخر الوقت والجهد ، وتخبرنا ما لديك مباشرة ؟

نظر إليها (كوهين) فى ازدراء ، وقال :

ـ اذهبى إلى الجحيم .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ـ لست أنا من سيذهب إليه يا صديقى .

التقى حاجباه فى توتر ، وهو يسألها :

ـ هل تنويان قتلى ؟

قال (أرنولد) ، فى شماتة :

ـ ماذا تقترح ؟

بدا توتر شديد على وجه (كوهين) ، عندما عرف مصيره ، وهتف فى حدة غاضبة :

ـ لا يمكنكما الإفلات بفعلتكما قط .. دولتى ستحتج رسميًا .

قال (أرنولد) ، فى صرامة :

ـ دعها تحتج .. لقد سئمنا تلك الأساليب المدللة ، التى تتعامل بها دولتكم معنا .. دعها تذهب إلى الجحيم ، ولن يهتم شخص واحد بها .

صاح به (كوهين) :

ـ هذا ما تتخيله ، ولكنك تنسى أننا نحكم اقتصاد الـ ...

قاطعته (ليزلى) بإشارة مباغتة ، وهى تقول فى صرامة :

ـ اصمت .

ابتلع لسانه على الفور ، فى حين أرهفت (ليزلى) سمعها فى اهتمام ، فهمس (أرنولد) ، يسألها :

ـ ماذا هناك ؟

أجابته هامسة ، وهى تجذب إبرة مسدسها :

ـ هناك أقدام أنثوية تقترب .. أعتقد أنها (راشيل) .

بدا التوتر على وجه (كوهين) ، وهو يستمع إلى وقع أقدام (راشيل) ، فى حين صوّبت (ليزلى) مسدسها إلى الباب ، وهى تهمس فى سخرية :

ـ كم سيروق لى رؤية علامات الدهشة على وجهك يا عزيزتى (راشيل) ، قبل أن تخترق رصاصاتى جسدك .

سمع الجميع صوت مفتاح (راشيل) يدور بالباب ، و ...

وفجأة ، انقضّ (كوهين) على (أرنولد) ، صارخًا :

ـ احترسى يا (راشيل) .

وهنا ضغطت (ليزلى) زناد مسدسها ..

وبدأت المعركة .

* * *

١٣ ـ عصر المـرأة ..

بدا (كوستا) شديد الانفعال ، وهو يجلس إلى جانب (موستاش) فى سيارته الكبيرة ، ويقول ملوّحًا بكفيه :

ـ وهكذا خسر ذلك الغبى مليون دولار .. هل يمكنك أن تصدّق هذا ؟

أجابه (موستاش) ، فى خشونة :

ـ يمكننى تصديق كل شىء فى هذا العالم .

قال (كوستا) فى حماس ، و (موستاش) يقود السيارة عبر شوارع (أثينا) :

ـ لقد أخطأ التعامل مع الموقف ، ولهذا خسر .

سأله (موستاش) :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله نحن ؟

أجابه (كوستا) :

ـ سنتعامل مع الأمر بشكل مختلف تمامًا ، فلن نضيع وقتنا فى التفاوض مع جميع الأطراف بشكل ساذج ، وإنما سنتجه إلى الهدف مباشرة .. إلى الإسرائيليين .. سنعلنهم أن وثائقهم معنا ، ونطلب مليون دولار ثمنًا لها ، وعندئذ ستنخفض المخاطرة إلى ما يقرب من الصفر .

سأله (موستاش) ، فى حيرة :

ـ وأية وثائق تلك التى سنعطيهم إياها .. ألم تقل : إن الرجل قد خسر وثائقه أيضًا .

هزّ (كوستا) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حماس :

ـ كانت نسخة منها فحسب ، فذلك الخبيث يحتفظ بالوثائق الأصلية ، ولكنه يرفض إخبارى مخبئها .

قال (موستاش) ، وهو ينحرف بالسيارة :

ـ كيف سنجدها إذن ؟

صاح فيه (كوستا) ، فى حدة :

ـ رويدك يا رجل .. عامل سيارتى برفق .

غمغم (موستاش) مرتبكًا ، وهو يخفض سرعة السيارة :

ـ معذرة يا (كوستا) .. معذرة .

مطّ (كوستا) شفتيه ، وقال غاضبًا :

ـ وفيم ستفيدنى اعتذاراتك ، عندما تتلف السيارة ؟!

ثم التقط نفسًا عميقًا ، أفرغ معه غضبه ، واستعاد به لهفته ، وهو يستطرد :

ـ هل تعلم .. أنا واثق من أن ذلك الخبيث يخفى الوثائق فى شقته ، ولهذا سنذهب إليه ، ونفتش كل شبر فيها ، حتى نعثر عليها ، وعندئذ لن نكون بحاجة إليه ، وسنمتلك كل أوراق اللعبة .

قال (موستاش) ، فى حماس :

ـ المفروض إذن أن نتخلى عنه هذا .

قهقه (كوستا) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ يا لك من رجل !.. وهل تصوّرت أننى سأقول له بكل سذاجة : معذرة يا عزيزى (بابيوس) .. سنذهب لتفتيش شقتك ، للبحث عن المستندات ؟! .. كلا بالطبع .. لقد تركته نائمًا فى حجرتى ، وهرعت معك إلى هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهتف :

- ربَّاه !.. إنه هو .

سأله (موستاش) ، فى سرعة :

- من هو ؟

أشار (كوستا) إلى نهاية الطريق ، بالقرب من شقة (بابيوس) ، وهو يجيب فى انفعال :

- ذلك الرجل ، الذى أوسعنا ضربًا .. إنه يغادر سيارته هناك .

كان (أدهم) قد أوقف سيارته على مقربة من شقة (بابيوس) ، وغادرها متجهًا إلى المنزل ، دون أن ينتبه إلى (كوستا) و (موستاش) ، فهتف الأخير فى غضب :

- هذا صحيح .. إنه هو .

ثم زمجر مستطردًا فى شراسة :

- لن يفلت منى هذه المرة .

أمسك (كوستا) يده ، وهو يقول :

- دعنا نفعلها بطريقة مختلفة يا رجل .

سأله (موستاش) ، وجسده ينتفض انفعالاً :

- كيف ؟.. أخبرنى كيف ؟

أجابه (كوستا) ، فى انفعال مماثل :

- سنقترب منه بشكل عادى ، دون أن ينتبه إلينا ، ثم ننحرف نحوه بغتة ، وتضغط أنت دوَّاسة الوقود بكل قوتك ، وتقفز فوق الأفريز ، وتسحقه بإطارات السيارة .

هتف (موستاش) ، وهو يتجه نحو (أدهم) مباشرة :

- فكرة رائعة .. فكرة رائعة .

ولم ينتبه (أدهم) إلى ما يحدث خلفه بالفعل ، فقد انشغل عقله تمامًا بالتفكير فى أمر (بابيوس) ، واحتمالات عثوره عليه فى شقته ..

ومن خلفه ، انقضت عليه سيارة (كوستا) ، الذى صرخ :

- اسحقه يا (موستاش) .. اسحقه .

ومع صيحة (كوستا) ، انتبه (أدهم) للموقف ، واستدار بسرعة مدهشة ، ولكن السيارة كانت تنقضّ عليه مباشرة ، و ...

وفجأة ، ظهرت فتاة متوسطة الطول ، ذات شعر أسود فاحم طويل ، ومنظار داكن أنيق ، وصرخت :

- احترس يا (أدهم) .

ثم وثبت فوق مقدمة إحدى السيارات ، وانتزعت من حقيبتها مسدسًا ، أطلقت منه رصاصتين نحو سيارة (كوستا) ، الذى انحنى بسرعة ، صارخًا :

- ابتعد يا (موستاش) .. ابتعد من هنا .

كان (أدهم) قد قفز جانبًا ، متفاديًا السيارة ، فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها ذات الشعر الأسود رصاصتيها ، فانحرف (موستاش) بالسيارة مذعورًا ، واخترق بها نهر الطريق ، متجاوزًا كل قواعد القيادة السليمة ، واستدار بها إلى الطريق العكسى ، وانطلق محاولاً الفرار ، والسيارات المحيطة به تتوقف مرغمة ، وإطاراتها تصرخ فى ألم ، فوق أسفلت الطريق ، فى حين صوَّبت إليه ذات الشعر الأسود مسدسها مرة أخرى ، فصاح بها (أدهم) :

- كفى .

أدارت عينيها إليه ، من خلف المنظار الداكن ، ثم قفزت نحوه ، وهى تعيد مسدسها إلى غمده ، هاتفة فى لهجة أقرب إلى الجذل :

ـ لقد وصلت فى الوقت المناسب .. أليس كذلك ؟

بدا الغضب على وجه (أدهم) ، وقال وهو يجذبها من يدها :

ـ هيّا نبتعد عن هنا ، قبل أن يصل رجال الشرطة .

واندفع معها إلى طريق جانبى ضيق ، ومنه إلى شارع خلفى ، لم يكد يصل إليه ، حتى توقّف ، ليقول لها فى حدة :

ـ لماذا بقيت هنا ؟

ضحكت (هويدا) ، وهى تقول :

ـ هل تتصوّر أنه من الممكن أن أضيع فرصة كهذه ؟.. مستحيل !

قال (أدهم) ، فى غضب :

ـ ولكنك ستواجهين خطرًا داهمًا هنا .. الإسرائيليون يبحثون عنى ، وسيجدون فيك وسيلة للتوصّل إلىّ .

لوّحت بكفيها ، قائلة :

ـ ولكننى لست هنا .. الممثلة (هيدى كامل) سافرت مع طاقم التصوير إلى (باريس) .. هذا ما أعلنته الصحف ، وما سيؤكّده زملائى الممثلون والمصوّرون ، وأنا كما ترى ، متنكّرة فى هيئة مختلفة ، ولن يتعرّفنى أحد .

قال ، فى صرامة :

ـ نعم .. وخاصة بعد أن أطلقت النار علانية فى الشارع .. هل تتصوّرين أنه جزء من أحد أفلامك ؟.. لقد أفسدت عملى تمامًا بتصرّفك هذا .

قالت فى دهشة .

ـ ولكننى كنت مضطرة للتدخل .. إننى أتتبعك منذ فترة ، دون أن أتدخّل فى عملك ، ولكن هذا الرجل كاد يقتلك بالفعل .

قال فى حدة :

ـ كانت هناك ألف وسيلة لتفادى هذا ، دون إطلاق النار فى الشارع .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ وماذا فى هذا ؟.. لقد ابتعدنا عن المنطقة ، ولن يعثروا علينا قط .

قال محنقًا :

ـ ولكننى كنت فى طريقى لتفتيش شقة بعينها فى المنطقة ، ولن يمكننى هذا الآن ، بعد أن تملأ الشرطة المكان ، وتبدأ عملية البحث عنّا بالتحديد .

ضحكت ، قائلة :

ـ لا تقنعنى بأن هذا يمكن أن يعترض طريقك .. إننى أستطيع إبدال ملامحى تمامًا بشعر أحمر مستعار قصير ، مع التخلّى عن المنظار وتغيير ثوبى فحسب .. وهذا لا يقارن ببراعتك المذهلة فى هذا المجال .. أليس كذلك ؟.. إنك تستطيع إبدال هيئتك بمهارة لا يعادلك فيها بشر ، ويمكنك أن تدخل الشقة فى هيئة صاحبها نفسه .

هدأت ثائرته قليلًا ، وابتسم وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ولكن المشكلة أننى لم ألتق بصاحب الشقة قط ، وكل ما أعرفه عن شخصيته وملامحه مجرّد رسم صنعه الكمبيوتر .

وبدت نظرة حماسية فى عينيه ، قبل أن يستطرد :
ـ ولكن خطتك تصلح للتنفيذ بالفعل ، مع تعديل بسيط .
حاولت أن تستشف سن ملامحه ما يعتزمه ، ولكن وجهه لم يكن يحمل سوى نظرة عينيه المتألقة ، وابتسامته التى تحمل الكثير من الثقة ..
ومن الغموض ..

★ ★ ★

تراجعت (راشيل) بسرعة مدهشة ، عندما سمعت صرخة (كوهين) التحذيرية ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات (ليزلى) ، واخترقت الباب ، فانتزعت (راشيل) مسدسها ، وضربت الباب بقدمها ، ولكن (ليزلى) أطلقت رصاصتين أخريين من مسدسها ، وهى تهتف :
ـ أخيرًا التقينا فى ساحة القتال يا (راشيل جولدمان) .
ارتفع حاجبا (راشيل) فى دهشة ، عندما ميَّزت صوت (ليزلى) ، وساورها قلق عارم ، وهى تسترجع تلك الفترة ، التى تلقت فيها تدريباتها مع (ليزلى) ، فى مدرسة المخابرات الأمريكية .
كانت متفوِّقة على معظم أقرانها ، ولكنها لم تنجح قط فى هزيمة (ليزلى) ، التى اعتبرها الجميع موهبة فذة فى عالم المخابرات ..
المجال الوحيد الذى بزَّت فيه (ليزلى) ، كان القوة الجسدية ..
ولهذا ركَّزت عليها كل جهودها ..
ونجحت فى هذا ..

نجحت حتى أن عضلاتها البارزة تكاد تتفوَّق على عضلات بعض الرجال الأقوياء ..
ولكنها الآن تشعر برغبة فى هزيمة (ليزلى فان هام) ..
رغبة عارمة ..
وفى حدَّة ، أطلقت (راشيل) رصاصات مسدسها ، ولكن (ليزلى) أطلقت ضحكة ساخرة ، وهتفت :
ـ أخطأت يا عزيزتى .. كنت تخطئين الأهداف المتحرِّكة دائمًا .
ثم ضغطت زناد مسدسها ، وتركت رصاصاته تنطلق على نحو متصل ، وهى تندفع نحو الباب فى حركة انتحارية ، مستطردة :
ـ على عكسى تمامًا .
أدركت (راشيل) أن (ليزلى) ستظفر بها حتمًا ، لو أنها انتظرتها ، فانطلقت تعدو نحو السلم ، وقفزت إليه فى نفس اللحظة ، التى بلغت فيها (ليزلى) الباب ، وأطلقت رصاصاتها نحوها ، ولكن كل الرصاصات أصابت الجدار ، فى حين قفزت (راشيل) درجات السلم بأقصى سرعتها ، محاولة بلوغ الشارع ، قبل أن تصل إليها (ليزلى) ..
وفى الوقت ذاته ، كان (كوهين) يشتبك فى قتال يدوى عنيف مع (أرنولد) ، الذى هتف وهو يقاومه ، ويحاول الاحتفاظ بمسدسه :
ـ أعلم أنكم تتلقون تدريبات شاقة يا رجل (الموساد) .
ولكمه فى فكه ، مستطردًا :
ـ ولكننا نتلقَّى تدريبات أفضل .



فانطلقت رصاصاته تخترق جسد (كوهين) ، وتدفعه إلى الخلف فى عنف ، وهو يطلق صرخة ألم رهيبة ..

احتمل (كوهين) الضربة ، وأمسك معصم (أرنولد) فى قوة ، محاولًا انتزاع مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

ـ تدريباتكم أكثر أناقة ولا شك ، ولكن تدريباتنا تمنحنا قوة أكثر .

ركله (أرنولد) فى معدته ، وهو يقول :

ـ قوة بلا عقل .

وثب (كوهين) ليركله بدوره ، صائحًا :

ـ هل تظن هذا ؟

لكن (أرنولد) أمسك ساقه بحركة بارعة ، ودار جسده حول نفسه فى خفة وسرعة ، ففقد (كوهين) توازنه ، وقفز جسده فى الهواء ، على الرغم منه ، قبل أن يسقط على ظهره فى عنف ..

وتراجع (أرنولد) فى سرعة ، وهو يصوب إليه مسدسه ، ويقول فى غضب :

ـ أرأيت يا رجل (الموساد) ؟.. إننا نتفوق دائمًا .

أطلق (كوهين) صرخة غاضبة ، وهو يقفز واقفًا على قدميه ، وينقضّ على (أرنولد) ، صارخًا :

ـ لم تُحسم المعركة بعد أيها الأمريكى .

ضغط (أرنولد) زناد مسدسه فى غضب ، فانطلقت رصاصاته تخترق جسد (كوهين) ، وتدفعه إلى الخلف فى عنف ، وهو يطلق صرخة ألم رهيبة ، حتى ارتطم جسده بالنافذة ، فتحطم زجاجها ، وهوى جسده منها ، وصرخته تمتد متصلة ، حتى ارتطم بالأرض ، فى عنف ..

وهنا نفخ (أرنولد) الدخان المتصاعد من فوهة مسدسه ، وهو يقول فى صرامة وحزم :

- بل حُسِمَتْ أيها الإسرائيلى .

وفى اللحظة التى ارتطم فيها جسد (كوهين) بالأرض ، وتهشمت جمجمته عليها ، كانت (راشيل) قد بلغت الطريق ، وسط صراخ المارة ، فوثبت تتجاوز سور حديقة صغيرة ، ثم دفعت جسدها خلف تمثال يتوسطها ، فى نفس الوقت الذى وصلت فيه (ليزلى) ، وراحت تدير عينيها فيما حولها ، قبل أن تهتف فى حنق :

- اللعنة !.. أين ذهبت تلك الإسرائيلية الحقيرة ؟

ارتفع صوت سيارات الشرطة ، التى تقترب من المكان ، واندفع (أرنولد) من البناية ، وهتف بـ (ليزلى) :

- هيا بنا .. لا بد أن نبتعد عن هنا ، قبل أن يصل رجال الشرطة .

صاحت به :

- ولكننى لم أظفر بعد بتلك اللعينة .

جذبها من يدها فى حدة ، هاتفًا :

-فيما بعد .. فيما بعد .

وقفز معها داخل سيارته ، ذات اللوحات الدبلوماسية ، وانطلقا بها بعيدًا عن المبنى ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة ، وانعقد حاجبا المفتش اليونانى ، عندما لمح (أرنولد) وسيارته الدبلوماسية ، وهتف فى حنق :

- إنه هو .

راقب السيارة بعينه ، وهى تبتعد مسرعة ، قبل أن يستطرد ساخطًا :

- اللعنة على كل الساسة والسياسة .

وتوقفت سيارات الشرطة أمام المبنى ، حيث التف بعض المارة حول جثة (كوهين) ، فألقت (راشيل) مسدسها إلى جوار قاعدة التمثال ، وانطلقت تعدو نحو المكان ، هاتفة فى صوت يصطنع البكاء :

- زوجى .. زوجى الحبيب .. لقد قتلوه .

وألقت نفسها أرضًا ، وأجهشت بالبكاء ، فى مشهد تمثيلى بارع ، نجح فى إقناع الجميع بمأساتها ، حتى أن المفتش اليونانى وضع يده على كتفها ، وقال مشفقًا :

- تقبلى أسفى يا سيدتى ، وأرجو ألا يضايقك أن أطرح عليك بعض الأسئلة .

بكت فى حرارة أقنعت المفتش ، وهى تهتف :

- وبم تفيد الأسئلة ؟.. لقد قتلوه .. قتلوا عزيزى (كوهين) .

سألها المفتش :

- هل رأيت قتلته ؟

أجابته بسرعة :

- إنهما اثنان .. رجل وامرأة .. أمريكيان .. لقد قتلاه دون سبب .

واصطنعت البكاء الحار مرة ثانية ، حتى وصلت سيارة الإسعاف ، وحملت جثة (كوهين) ، فربت المفتش على كتفها مرة أخرى ، وقال :

- دعينا نلق نظرة على الشقة .

واستغرقت عمليات الفحص والبحث ساعة كاملة ، تظاهرت (راشيل) خلالها بالحزن والانهيار ، حتى انتهى الأمر ، واتجه إليها المفتش مغمغمًا :

- لست أدرى ماذا أقول يا سيدتى ، ولكن الرجل الذى أعتقد أنه قاتل زوجك ، يعمل فى السفارة الأمريكية هنا ، ولديه حصانة دبلوماسية خاصة .

هتفت (راشيل) :

- ماذا تعنى ؟!.. هل يضيع دم زوجى هدرًا ؟

تنهّد فى حنق ، وقال :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيدتى .. صدقينى .. سأبذل قصارى جهدى .

ظلت تفتعل الحزن والبكاء ، حتى غادر رجال الشرطة الشقة ، والمفتش يتمتم :

- سأرسل من يصلح النافذة .

وعندما أغلقت الباب خلفهم ، اختفت معالم الحزن من ملامحها بغتة ، وتمتمت فى غضب :

- فليكن أيتها الأمريكية اللعينة .. لم تنته الحرب بيننا بعد ، وستدفعين الثمن غاليًا فى النهاية .

قالتها ، واتجهت نحو الهاتف ، ولكنها لم تكد تلتقط سمّاعته ، حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فعقدت حاجبيها ، مغمغمة :

- هل أرسل المفتش مصلح النافذة بهذه السرعة :

وعادت ترسم الحزن على وجهها ، وهى تفتح الباب ، إلا أنها

لم تستطع الاحتفاظ بذلك الانفعال الزائف طويلًا ، مع تلك الدهشة التى ملأتها ، وهى تحدق فى الشاب الضئيل ، الذى وقف أمامها مرتبكًا ، وهو يقول :

- معذرة يا سيدتى .. لقد جئت متأخرًا ، ولكن ... ولكن ...

سألته ، فى ضجر :

- ما الذى يمكننى تقديمه لك بالضبط ؟

ارتبك وهو يجيب :

- أنا مترجم ، جئت استجابة للإعلان ، ولكن ..

سألته فى حدة :

- ولكن ماذا ؟.. قل ما لديك بسرعة .

أجابها ، مضطربًا :

- ولكننى لا أجيد الإنجليزية ، بل أستطيع الترجمة من العبرية إلى اليونانية فحسب .

قالت ، فى ضيق :

- لسنا نحتاج إلى شىء كهذا .

وحاولت أن تغلق الباب ، ولكنه هتف بسرعة :

- ولكن عندى الخبرات السابقة الحديثة ، التى تطلبونها .. لقد ترجمت مؤخرًا عددًا من الوثائق الإسرائيلية إلى اليونانية .

برقت عيناها ، وهى تحدق فى وجهه ، هاتفة :

- وثائق إسرائيلية .

ازدرد لعابه ، قبل أن يقول :

- نعم يا سيدتى .. لقد أحضرها لى سائق سيارة أجرة ، وكانت عبارة عن صور غير واضحة جيدًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ..

قاطعته ، بابتسامة كبيرة :

- أنت الشخص الذى أبحث عنه بالضبط .

تهلّلت أساريره ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

أفسحت له الطّريق ، قائلة :

- تفضّل .. تفضّل يا رجل .. سيكون لنا حديث طويل معًا ..

اتسعت ابتسامة السعادة على شفتيه ، وهو يدلف إلى الشقة ، دون أن يدرك أنه ألقى بنفسه بين أسنان التمساح بمصادفة عجيبة .. وقاتلة .

* * *



١٤ - المترجم ..

عقد مفتش الشرطة اليونانى حاجبيه فى غضب ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يرفع ذراعيه ، ويلوّح بهما فى حنق ، هاتفًا :

- ماذا أصابنا ؟!.. أى عبث يعبثونه ببلادنا ؟.. كل شىء كان يسير على ما يرام ، وفجأة ، تتحوّل (أثينا) إلى ساحة قتال .. الكل يطلقون النار فى شوارعها ، والقتلى يتساقطون فى كل مكان ، كما لو أن الحكومة قد أصدرت قرارًا بإلغاء نظام الشرطة ، أو أن أحدًا لم يعد يبالى بوجودنا .

قال أحد رجال الشرطة ، محاولاً تهدئته :

- الشهود يقولون : إن سيارة طائشة حاولت صدم شخص ما عمدًا ، وفجأة ظهرت فتاة رهيبة ، ذات شعر أسود طويل ، ومنظار داكن ، وترتدى سترة جلدية ، وقفزت فوق إحدى السيارات ، وراحت تطلق النار على السيارة الجانية ، ثم انطلقت تعدو هاربة مع ذلك الشخص ، الذى حاولت السيّارة صدمه .

هتف المفتش ، فى حنق :

- عظيم .. تروى الأمر كما لو كان حادثة مرور بسيطة .

قال رجل الشرطة ، فى حيرة :

- وماذا يمكننا أن نفعل يا سيّدى ؟.. لقد حدث الأمر وانتهى ، قبل أن نصل إلى هنا .

صاح المفتش :
ـ وهذا ما يحنقنى .. كل شىء يحدث وينتهى ، قبل أن نصل نحن .. نفس الأسلوب الساخر ، الذى تستخدمه السينما لوصف رجال الشرطة ، فى أفلام المغامرات السخيفة .. الشرطة المسكينة ، التى لا حول لها ولا قوة ، والتى لا تصل إلا بعد أن ينهى البطل الموقف .. أليس كذلك ؟
حاول رجل الشرطة أن يخفى ابتسامته ، وهو يقول :
ـ ولكن لا يوجد بطل هنا يا سيِّدى .
التفت إليه مفتش الشرْطة فى حنق ، وهو يقول :
ـ ماذا تقول ؟.. ماذا تقول أيها الشرطى ؟
انفرجت شفتا الشرطى ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما دوى صوت رصاصات بغتة ، ثم اندفعت فتاة كستنائية الشعر من شارع جانبى ، وهى تصرخ :
ـ النجدة .. النجدة .. إنه يحاول قتلى .
انتزع رجال الشرطة مسدساتهم بسرعة ، واندفع المفتش نحو الفتاة ، وصاح بها :
ـ من هو ؟.. من الذى يحاول قتلك ؟
صرخت فى ارتياع ، وهى تشير إلى الشارع الجانبى :
ـ القاتل .. إنه يطاردنى .. انقذونى .
ساد الهرج والمرج فى الطريق ، واندفع رجال الشرطة بمسدساتهم نحو ذلك الشارع الجانبى ، فى حين قال المفتش للفتاة ، فى حسم :
ـ انتظرى هنا ، وحاولى أن تهدئى يا سيِّدتى ، لقد تولينا الأمر ، وكل شىء على ما يرام ، و ...

وبتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى وجه الفتاة ، قبل أن يهتف :
ـ ألا أعرفك ؟!
رفعت (هويدا) عينيها إليه ، وردَّدت فى خفوت :
ـ تعرفنى .. بالطبع يا رجل .. كل شخص فى (أوروبا) يعرف من أنا .
هتف ، فى دهشة :
ـ بالتأكيد .. من يجهل (هيدى كامل) .
ابتسمت (هويدا) ، وهى تقول :
ـ نعم .. من يجهلها .
قالتها ، وعيناها تتطلعان من خلفه إلى (أدهم) ، الذى حمل معطفه فى هدوء ، واتجه نحو البناية ، التى يقيم فيها (بابيوس) ، مستغلًا انشغال الجميع بما فعلته هى ..
وفى خطوات سريعة ، وقفزات مرنة رشيقة ، صعد (أدهم) فى سلم البناية ، حتى بلغ شقة (بابيوس) ، فدقّ بابها ، وانتظر بعض الوقت ، حتى تأكد من أن الشقة خالية ، ثم أخرج من جيبه أداة بسيطة ، دفعها فى ثقب المفتاح ، وأدارها فى مهارة وسرعة ، حتى انفتح الباب ، فدفعه فى هدوء ، و ...
« ماذا تفعل هنا ؟.. »
انطلق السؤال من خلفه ، بصوت أنثوى عصبى ، ولكنه التفت إلى صاحبته فى هدوء وهو يبتسم ، قائلًا :
ـ كما ترين يا سيِّدتى .. أستعد لدخول الشقة .

كانت امرأة فى أوائل الخمسينات من عمرها ، بدينة قصيرة ، ترمقه بنظرة متشككة قاسية ، وهى تقول :

ـ وبأى حق تدخل شقة (خريستو) ؟

ضحك ، قائلًا :

ـ بحق الأخوَة يا سيدتى .. أنا شقيقه .

تبدلت ملامحها فجأة ، وهى تهتف :

ـ آه .. أنت (بونيستو) إذن ؟

لم يكن قد سمع الاسم من قبل ، ولكنه أجاب فى هدوء يبعث الثقة فى النفوس :

ـ نعم .. أنا (بونيستو بابيوس) .. شقيق (خريستو) .

صافحته فى حرارة ، وهى تقول :

ـ مرحبًا بك يا (بونيستو) .. (خريستو) يتحدث عنك كثيرًا ، وعن رحلاتك البحرية التى لا تنتهى ، من (الإسكندرية) إلى (اسطنبول) ، إلى (تل أبيب) .. لقد أخبرنى أنك لا تعود إلى الوطن قط تقريبًا .

التقط (أدهم) اسم (تل أبيب) ، وبدأ عقله يعمل فى سرعة ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أنه أخبرك هذا ، بعد رحلتى الأخيرة .

أجابته ، فى سعادة :

ـ بالضبط .. بعد عودتك من (تل أبيب) .. عند ما أعطيته تلك الحقيبة .. هل تذكرها .

ابتسم ، وهو يجيب :

ـ بالطبع .. لقد حدث هذا منذ أيام قليلة .

هتفت :

ـ بالضبط .. منذ أقل من أسبوع واحد ، و ...

وبترت عبارتها بغتة ، وهى ترمقه بنظرة عجيبة ، قبل أن تقول :

ـ ولكن مهلًا .. (خريستو) قال : إنك ستذهب مباشرة إلى (اسطنبول) .. كيف عدت بهذه السرعة ؟

أجابها بسرعة ، وهو يفتعل الأسف :

ـ الباخرة أصيبت بالعطب ، واضطررنا للعودة .

أقنعها الرد المباشر ، وتلك اللهجة التى أضفى عليها (أدهم) نبرة صادقة بسيطة ، فعادت تبتسم ، قائلة :

ـ آه .. هذا يحدث كثيرًا .

هز كتفيه ، قائلًا :

ـ كثيرًا جدًا يا سيدتى .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ والآن معذرة ، فأنا أشعر بالإرهاق ، وأحتاج إلى بعض الراحة .

قالت ، فى سرعة :

ـ بالطبع يا (بونيستو) .. بالطبع .. ولو احتجت إلى أى شىء ، فأنا رهن إشارتك .

منحها ابتسامة أخرى ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا سيدتى .. أشكرك كثيرًا .

ودلف إلى شقة (بابيوس) فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، وضحك قائلًا :

ـ يبدو أن كل مكان فى العالم يحوى جارة كهذه .

فوجئ بصوت يقول فى شىء من الشراسة :

ـ بكل تأكيد .

التفت (أدهم) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على (كوستا) بحجمه الضخم ، وإلى جواره (موستاش) ، يصوب إليه مسدسه ، وبدا من الواضح أنهما قاما بتفتيش المكان كله ، فقد قلبوا الأثاث ، وبعثروا كل شىء على نحو عنيف .

وفى هدوء ، عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية :

ـ رائع .. يبدو أن (كوستا) البدين قد نبت له عقل ، واستطاع أن يتخذ خطوة مدروسة .

أجابه (كوستا) ، فى شماتة :

ـ (كوستا) البدين له عقل أكبر من عقولكم جميعًا أيها المتعجرفون ، عقل جعله يستغل الاضطراب ، الذى أحدثته زميلتك فى الشارع ، ليعود إلى هنا مع (موستاش) ، ويفتش كل ركن فى الشقة ، قبل أن تصل أنت إليها .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وقال فى لهجة استفزازية :

ـ ليس المهم أن تبحث بسرعة يا رجل .. المهم أن تعلم ما الذى تبحث عنه .

أجابه (كوستا) ، فى حدة :

ـ لا تتصوَّر أنك أكثر رجال العالم ذكاءً يا هذا .. أنا أعلم بالطبع ما الذى أبحث عنه .

ثم مال نحوه ، مستطردًا ، فى تفاخر :

ـ الوثائق .. نحن نبحث عن الوثائق الإسرائيلية يا رجل .

كان هذا بالضبط ما يرغب (أدهم) فى سماعه ، وما استفزَّ (كوستا) ليلفظ به ، لذا فقد اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ هذا يثبت أنك عبقرى بالفعل يا (كوستا) .. عبقرى حقيقى .

انتفخت أوداج (كوستا) فى زهو ، ولكن (أدهم) أضاف بسرعة :

ـ بالنسبة للخنازير .

احتقن وجه (كوستا) ، وهو يهتف غاضبًا :

ـ ماذا تقول ؟

وأطلق (موستاش) زمجرة شرسة ، وهو يتحسَّس موضع إصابة شاربه ، هاتفًا :

ـ هل أقتله يا (كوستا) ؟.. هل أقتله ؟

قال (أدهم) ، ساخرًا :

ـ هيَّا .. مُرْه بقتلى ، أيها الخنزير العبقرى .

وهنا لم تحتمل أعصاب (كوستا) ، فصرخ فى غضب :

ـ نعم .. اقتله .. اقتله يا (موستاش) .

ولم تكن سبَّابة (موستاش) تنتظر أكثر من هذا الأمر ، فاعتصرت زناد المسدس على الفور ..

وانطلقت الرصاصات ..

★ ★ ★

اندفع (ناحوم) فى توتر شديد داخل المنزل الآمن ، وهو يهتف بالعبرية :

ـ ما الذى فعله هؤلاء الأوغاد بـ (كوهين) ؟

وقع بصره بغتة على (راشيل) ، التى ترمقه بنظرة صارمة ،

وعلى الشخص النحيل ، الذى يجلس أمامها ، والذى انتفض فى هلع ، عندما رآه يقتحم المكان فى هذا العنف ، فقال فى حدة :

- من هذا ؟

أجابته (راشيل) ، فى صرامة آمرة :

- ادخل ، وأغلق الباب خلفك يا (ناحوم) .

كانت أعصابه ثائرة للغاية ، منذ استعاد وعيه ، وعلم بمصرع (كوهين) ، إلا أنه تماسك فى صعوبة ، وأغلق الباب خلفه ، وتقدم منها بنظرة متسائلة ، فأشارت إلى الرجل ، وهى تبتسم ابتسامة ذات مغزى ، وتقول :

- إنه المترجم الذى نبحث عنه .

هتف (ناحوم) ، فى لهفة :

- حقًا ؟!

أجابه الرجل ، مرتبكًا :

- لست أميل إلى الزهو يا سيدى ، ولكننى بالفعل أجيد الترجمة ، من العبرية إلى اليونانية ، و ...

قاطعه (ناحوم) فى دهشة ، مستنكرًا :

- إلى اليونانية ؟!

أسرعت (راشيل) ، تقول :

- ولكن لديه خبرات مدهشة ، فقد ترجم منذ عدة أيام بعض الوثائق الإسرائيلية ، من العبرية إلى اليونانية ، لحساب سائق سيارة أجرة ، يدعى (بابيوس) .

قال (ناحوم) ، بسرعة :

- (خريستو بابيوس) .. المقيم فى السادس عشر من شارع (مينرفا) ، فى الشقة رقم أربعة ، ويمتلك سيارة رقم لوحاتها (٢٠٠٢٦٧) .

ارتفع حاجبا المترجم فى دهشة ، وهو يقول :

- بالضبط .. كيف عرفت هذا ؟

أجابته (راشيل) :

- إننا نعرف الكثير ، ولكننا نحتاج إلى خبراتك .

غمغم ، مبهورًا :

- أنا رهن إشارتك يا سيدتى .

منحته ابتسامة أنيقة ، وهى تقول :

- لا يمكنك أن تتصوَّر كم يمكنك أن تفيدنا .

غرق لحظات فى عينيها الجميلتين ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

- كلَّا .. لا يمكننى يا سيدتى .

مالت نحوه كثيرًا ، حتى تسلَّل عطرها إلى أنفه ، وهى تهمس :

- قل لى يا عزيزى .. هل تحتفظ بمسودات لعملك ؟

همس مبهورًا :

- أحيانًا .

داعبت أنفاسها أذنه ، وهى تسأله :

- هل يمكننى رؤية المكان ، الذى تقوم فيه بعملك .

بح صوته تمامًا ، وهو يقول :

- بالطبع .

تراجعت بغتة ، وهبّت واقفة ، وهى تقول :
ـ هيّا بنا إذن .
ارتبك قائلًا :
ـ الآن يا سيّدى .
ابتسمت مرة أخرى فى وجهه ، وهى تقول :
ـ نعم .. الآن .
نهض قائلًا :
ـ أنا رهن إشارتك يا سيّدتى .
واستقل سيارة (الموساد) معهما ، وهو يتطلّع إليها مبهورًا مأخوذًا ، وراحت هى تداعبه طوال الوقت ، وتبتسم له كثيرًا ، حتى بلغوا منزله ، فقال فى لهفة :
ـ عندما ترين مكتبى يا سيّدتى ، ستتأكّدين من أننى الرجل المناسب ، فمكتبتى تكتظ بعشرات الكتب اليونانية والعبرية .. لقد درست التاريخ العبرى كله .. منذ أيام (موسى) ، وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م .
عقدت حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول :
ـ ولماذا حرب أكتوبر بالذات ؟
ارتبك وهو يقول :
ـ تصوّرت أنها نقطة تحوّل حاسمة ، فى تاريخ (إسرائيل) .
مطّت شفتيها غاضبة ، ثم غادرت معه السيارة ، وهى تقول لـ (ناحوم) بالفرنسية .
ـ انتظر هنا ، وراقب الطريق جيدًا .

ثم وضعت يدها على كتف المترجم ، مستطردة بابتسامة واسعة :
ـ والآن دعنا نشاهد مكتبك .
صعد معها إلى شقته ، وجسده كله يرتجف لملامساتها ، حتى أنه استغرق بعض الوقت ، ليضع المفتاح فى ثقب الباب ، قبل أن يفتح الباب ، ويشير إليها ، قائلًا :
ـ تفضّلى يا سيّدتى .. تفضّلى .
دخلت (راشيل) شقته ، وهى تدير عينيها فى المكان فى اهتمام :
كانت الفوضى تسود حجرة المكتب إلى حد كبير ..
أوراق متناثرة هنا وهناك ..
عشرات الكتب ملقاة على الأريكة وفوق المقاعد ..
آلة كاتبة عتيقة ، تحتل مكانًا بارزًا ، وتحيط بها أوراق متكوّرة ، لم يحاول صاحبها حتى أن يلقيها فى سلة المهملات ..
وفى ارتباك ، قال المترجم ، وهو يرفع بعض الكتب عن أحد المقاعد ، ليمنحها مكانًا للجلوس ، وسط كل هذه الفوضى :
ـ إننى أعمل طوال الوقت ، ولست متزوجًا .. أنت تفهمين بالتأكيد .
غمغمت :
ـ بالتأكيد .
ثم سألته ، فى اهتمام :
ـ أين مسودات الوثائق الإسرائيلية ؟
أجابها فى ارتباك :
ـ فى مكان ما هنا .. لست أدرى أين وضعتها بالضبط ، ولكننى سأجدها حتمًا .

راقبته فى صمت ، وهو يبعثر الكتب والأوراق ، بحثًا عن المسودات ، ثم سألته فى خفوت :

ـ ألا تتخلص من مسوداتك عادة ؟

ابتسم مغمغمًا :

ـ إذا ما تذكّرت هذا ؟

انعقد حاجباها ، وشبكت أصابع كفيها أمام وجهها ، وهى تراقب تحركاته المضطربة غير المنتظمة ، وخاصة عندما قلب محتويات سلة المهملات على الأرض ، وراح يبحث بينها فى اهتمام ..

ثم نهضت (راشيل) ..

نهضت وخلعت سترتها الجلدية ، وبدت عضلاتها المفتولة بارزة واضحة ، على نحو يتنافى مع جمال وجهها ، وأطلت من عينيها نظرة وحشية عجيبة ، وهى تقترب فى بطء من المترجم ، الذى أولاها ظهره ، وراح يبحث عن المسودات ، وهو يقول فى حيرة :

ـ كانت هنا .. لقد رأيتها أمس أو أوّل أمس .. تُرى أين ذهبت ؟.. إنها أفضل ما ترجمته ، فى السنوات الأربع الأخيرة .. هل تعلمين يا سيدتى .. لقد شعرت بسعادة جمة ، وأنا أفعل هذا ، على الرغم من أن المعلومات التى كانت تحويها هذه الوثائق ، ـنت تدعو للفزع .. حديث عن التطوّر النووى ، والـ ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أحاطت ذراعها بعنقه ، وشعر بعضلاتها القوية تعتصره ، فهتف فى ارتياع :

ـ سيدى .. ماذا تـ ...



بتر عبارته بغتة ، عندما أحاطت ذراعها بعنقه ، وشعر بعضلاتها القوية تعتصره ..

اختنقت الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه ذعرًا وألمًا ، وراح يضرب بذراعيه وقدميه ، محاولًا الدفاع عن حياته ، ولكن (راشيل) كانت تعتصر عنقه بكل قوتها ، وعيناها تحملان تعبيرًا وحشيًّا مخيفًا ..

تعبير أشبه بما تحمله عينا لبوءة مفترسة ، وهى تلتهم فريستها الدسمة ، بعد جوع طويل ..

وجحظت عينا المترجم فى شدة ، وتدلّى لسانه خارج حلقه فى مشهد مخيف ، ومقاومته تتلاشى وتنهار ، و ...

وانبعثت قرقعة خفيفة فى المكان ، ثم تهاوى الرجل جثة هامدة ..

وعلى الرغم من ثقتها فى مصرعه ، واصلت (راشيل) اعتصار عنقه فى قسوة رهيبة ، قبل أن تتركه يسقط أرضًا .

ولثوان ، ظلّت عيناها تحملان ذلك التعبير الوحشى ، قبل أن تشعل قدّاحتها ، وتغمغم :

ـ أرأيت أيها المترجم ؟ لقد أفدتنا كثيرًا .

وأشعلت النار فى بعض الأوراق ، وتركتها تتأجّج قليلًا ، ثم غادرت المكان كله ، واستقلّت السيارة مع (ناحوم) ، وهى تتمتم :

ـ هيّا بنا .. لقد انتهينا من هذا أيضًا .

وعندما انطلقت بهما السيارة ، كانت النيران تشتعل فى المكان كله ، معلنة احتراق طرف آخر من أطراف الحلقة ..

حلقة الموت .

★ ★ ★

١٥ ـ مفتاح السر ..

« هذا أمر غير محتمل .. »

صاح مندوب (الموساد) بهذه العبارة فى حنق ، أمام مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، الذى تراجع بمقعده ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله فى برود :

ـ ما هو الأمر غير المحتمل ؟

أجابه المندوب ، فى حدة :

ـ ذلك الذى يحدث فى (أثينا) .. رجالكم يقتلون رجالنا هناك ، ويطلقون النار فى كل مكان .. ماذا أصابكم ؟.. المفروض أن نتعاون معًا ، لا أن نتقاتل على هذا النحو ، وبمنتهى العلانية .

بدت ابتسامة باهتة على شفتى مدير المخابرات الأمريكى ، وهو يرفع عينيه فى دهشة مصطنعة ، ويقول :

ـ رجالنا يتقاتلون فى (أثينا) ؟!.. عجبًا !.. لماذا لم يبلغنى الرجال بهذا ؟.. كل ما أعلمه هو أن مجهولين أطلقوا النار على أحد رجالنا ، فى محطة قطار (أثينا) ، وقتلوه بأسلوب خسيس للغاية .

وضغط حروف كلمة (مجهولين) عمدًا ، ليضفى عليها المعنى الذى يقصده ، والتقط المندوب الإسرائيلى المغزى ، واستوعبه جيدًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال فى توتر :

ـ لا شأن لنا بالمجهولين ، الذين يطلقون النار على رجالكم .. إننى أتحدّث عن رجالك ، الذين يقتلون رجالنا .

هزّ المدير كتفيه ، وقال :

ـ ومن أدراك أن رجالنا يفعلون هذا ؟.. ربما كان المجهولون أنفسهم ، هم الذين يسعون لقتل رجالكم ، كما قتلوا رجلنا .

انعقد حاجبا المندوب الإسرائيلى فى غضب ، ومال يستند بكفيه إلى مكتب المدير ، وهو يقترب منه بوجهه ، قائلا :

ـ سيّدى .. أرجوك أن تستمع إلىّ جيدا ، وبمنتهى الحكمة والاهتمام ، فما يحدث فى (أثينا) سابقة خطيرة ، لا عهد لنا بها فى عالمنا .. أعترف أن لنا فريقًا هناك ، يسعى لاستعادة بعض وثائقنا ، ولكن رجالك يحاولون منعنا من هذا دون مبرّر .

سأله المدير ، مباشرة :

ـ أية وثائق هذه ؟

عقد المندوب حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وثائق سرية للغاية .

ابتسم المدير فى شىء من السخرية ، وهو يقول :

ـ أليس من المفروض ، طبقًا للاتفاق الموقّع بيننا ، أن نتبادل المعلومات والأسرار ؟

أجابه المندب ، فى عصبية :

ـ هذا لا ينطبق على تلك المعلومات ، التى تندرج تحت عبارة (سرى للغاية) .

قال المدير ، فى صرامة :

ـ بل ينطبق على كل أنواع المعلومات حسبما أذكر .

ثم ضغط أزرار جهاز الكمبيوتر المجاور له ، مستطردا :

ـ ويمكننا أن نراجع العقد ، و ..

قاطعه المندوب الإسرائيلى ، فى توتر :

ـ ربما كان كذلك ، ولكننى لا أستطيع أن أخبرك ما تحويه تلك الوثائق .

سأله بسرعة :

ـ لماذا ؟

التقط المندوب الإسرائيلى نفسًا عميقا ، قبل أن يجيب :

ـ لأننى أنا نفسى أجهل هذا .

أومأ المدير برأسه ، وقال :

ـ سبب منطقى .

ثم عادت تلك الابتسامة إلى شفتيه ، وهو يستطرد :

ـ ولكن من يدرى ؟!.. ربما أمكننا معرفة فحوى تلك الوثائق يوما ما .

أدرك المندوب الإسرائيلى ما يعنيه مدير المخابرات الأمريكى بقوله ، فقال فى ضيق :

ـ سيّدى .. هذا الأسلوب لا يتفق مع ما عهدناه من تعاون ، بين جهازى مخابراتنا .. ولو أننا تجاوزنا ما فعله رجالك ، عندما قتلوا اثنين من رجالنا ، فسنكون قد وضعنا أحد أخطر المبادئ فى عالمنا ، ودققنا المسمار الأوّل فى نعش صداقتنا الطويلة .

قال المدير فى صرامة :

ـ من الواضح أنك تميل إلى الثرثرة يا رجل (الموساد) ، ولكنك لم تمنحنى بعد دليلًا واحدًا ، على أن رجالى فعلوا شيئًا برجالك .

هتف المندوب ، فى حدة :

ـ ولكنكم فعلتم هذا بصورة سافرة يا سيّدى ، فقتل رجلكم

(أرنولد) عميلنا (كوهين) ، فى هجوم مباشر على منزلنا الآمن ، فى قلب (أثينا) وطاردت (ليزلى) عميلتنا (راشيل) فى الطرقات ، ولولا نجاح (راشيل) فى الاختباء ، ووصول رجال الشرطة ، لقتلتها (ليزلى) فى منتصف الطريق .

رفع المدير حاجبيه ، وهو يفتعل الدهشة ، قائلًا :

- عجبًا !.. ليست لدى أدنى فكرة عن هذا .. دعنا نراجع الأوامر الرسمية .

وضغط أزرار الكمبيوتر بسرعة ، قبل أن يشير إلى شاشته ، مستطردًا :

- انظر .. ألم أقل لك ؟.. لا توجد أية أوامر رسمية ، كما أنه من المفروض ، طبقًا لمعلوماتنا ، أن تكون (ليزلى) الآن فى (باريس) ، وليس فى (أثينا) .

انعقد حاجبا المندوب الإسرائيلى ، وهو يقول :

- شىء طريف يا سيادة المدير ، ولكن نحن أيضًا نفعل هذا أحيانًا ، فليس من الضرورى أن تكون أعمالنا كلها بأوامر رسمية .. بل ولن أبالغ لو قلت إننا مبتكرو الفكرة ، ولكن كل هذا لا يهم .. المهم الآن أن نوقف تلك الحرب الدائرة بين مخابراتينا ، حتى لا يكون الرابح الوحيد منها هم المصريون .

قال المدير ، فى بطء :

- هل دخل المصريون اللعبة ؟

أجابه المدير ، فى عصبية :

- بالتأكيد ، فوثائقنا السرية تهمهم بأكثر مما تهمكم ، وسيبذلون

قصارى جهدهم للحصول عليها ، ولو انشغلنا نحن بقتال بعضنا البعض ، سيصبحون هم الفائزين فى النهاية .

لوَّح مدير المخابرات بذراعه ، قائلًا :

- هراء .. المصريون لا يمكنهم هزيمتنا معًا .

أجابه المندوب ، فى حزم :

- ينبغى أن تعرف أوَّلًا من الرجل ، الذى إختارته المخابرات المصرية ، ليتولَّى هذه العملية .. إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

توترت أصابع المدير على نحو ملحوظ ، عندما نطق المندوب الإسرائيلى اسم (أدهم) ، وقبض على مسند مقعده فى شدة ، قبل أن يغمغم :

- هذا أمر طبيعى .

ثم عاد يتراجع بمقعده ، مستطردًا :

- وهذا يغيِّر الكثير من الأمور .. الكثير جدًا .

وهنا فقط ، شعر المندوب الإسرائيلى بالارتياح ..

★ ★ ★

أكثر ما يميِّز (أدهم صبرى) ، فى عالم المخابرات ، ليس مهاراته المتعدِّدة ، أو خبراته اللامحدودة ، وإنما هى تلك الموهبة ، التى حباه الله (سبحانه وتعالى) بها ، والتى عمل والده (رحمه الله) على تنميتها وصقلها ، منذ نعومة أظفار (أدهم) ..

انها سرعة استجابته المدهشة ..

ففى الوقت الذى يحتاج فيه الشخص العادى إلى ثانيتين كاملتين ، لتحديد موقفه من مواجهة ما ، واتخاذ رد الفعل المناسب لها ، يختصر عقل (أدهم) زمن هذه العلمية إلى نصف ثانية فحسب ..

وهنا تبرز قيمة الوقت .

ففرق مقداره ثانية ونصف الثانية ، يعدّ بالنسبة لرجل مثل (أدهم صبرى)، فترة زمنية كافية ، ليفعل فيها الكثير ..

والكثير جدًا ..

فعندما بدأ (أدهم) حديثه المستفز مع (كوستا) ، كان يعلم أن هذا الأخير سيفقد أعصابه بسرعة ، وأنه سيأمر (موستاش) المتحفز بإطلاق النار عليه ، لذا فقد ظلّت عيناه تتابعان وترصدان سبّابة (موستاش) طوال الوقت ، وهى متأهبة فوق زناد المسدس ، حتى صرخ (كوستا) يأمره بالقتل ..

وهنا تحرّك (أدهم) ..

تحرّك فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (موستاش) زناد مسدسه ، فانحنى فى سرعة وخفة ، وسمع الرصاصة تعبر فوقه ، وتخترق باب الحجرة ، وهو ينزلق فى مرونة مدهشة ، متجهًا نحو (موستاش) بالضبط ، ثم يقفز واقفًا على قدميه أمامه ، وهو يقول :

ـ أنت أخطأت إصابة هدفك .

ثم وثب يركل المسدس من يده ، مستطردًا :

ـ أما أنا .. فلا .

سقط المسدس من يد (موستاش) ، فأطلق زمجرة مخيفة ، وانقضّ على (أدهم) فى غضب ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (كوستا) ، محاولًا استعادة المسدس ، وهو يهتف :

ـ أمسكه جيدا يا (موستاش) ، وسأستعيد أنا المسدس .

ولكن (أدهم) استقبل (موستاش) بلكمة كالقنبلة فى فكه ، ثم حمله

فى قوة ، وألقاه جانبا ، قبل أن يثب ليركل المسدس ، قبل أن تبلغه يد (كوستا) ، هاتفًا :

ـ ليس بهذه السرعة يا صاح .

شهق (كوستا) ، وتراجع فى رعب ، وهو يهتف :

ـ أنا أعتذر أيها السيّد .. أعتذر .

ولكن فجأة ، قفز (موستاش) نحو (أدهم) من الخلف ، وأحاط وسطه وذراعيه بذراعيه القويتين ، وهو يصرخ :

ـ سأقتله يا (كوستا) .. سأقتله .

وهنا قفز (أدهم) بقدميه ، ودفعهما فى الجدار المواجه له بكل قوته ، مما دفع (موستاش) إلى الخلف فى عنف ، فارتدّت قدما (أدهم) ، لتضربا ساقيه بضربة رهيبة ، جعلته يصرخ ، وأجبرته على تخفيف ضغط ذراعيه ، فانزلق (أدهم) من بينهما ، ودار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، ثم أمسك الجانب السليم من شارب (موستاش) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ من حسن الحظ أنك لم تحلقه بعد .

ثم لكمه فى معدته بكل قوته ، وجذبه من شاربه فى قوة ، جعلته يطلق صرخة ألم رهيبة ، قبل أن يضربه (أدهم) بالجدار ، ثم يكيل له ثلاث لكمات متعاقبة ، فى أنفه وفكه وعنقه ، وبعدها تراجع (أدهم) عدة خطوات إلى الوراء ، وقفز يدور حول نفسه فى براعة مدهشة ، قبل أن يركل وجه (موستاش) بقوة رهيبة ، شهق لها الشاب فى عنف ، ثم دار حول نفسه ، وسقط على وجهه فاقد الوعى .

واتسعت عينا (كوستا) فى ذعر ، ولكنه قفز يلتقط المسدس مرة ثانية وصوّبه إلى (أدهم) ، صائحًا :

ـ سأطلق النار .. أقسم إننى سأفعل .

نفض (أدهم) الغبار عن ثيابه ، وهو يقول :

ـ هيا .. افعل .. وسيدهشنى هذا بالفعل ، فلم أر من قبل خنزيرًا يطلق النار .

صاح (كوستا) فى ذعر ، و (أدهم) يقترب منه :

ـ ولكننى سأفعل .. أقسم لك .

ارتفع فى هذه اللحظة صوت طرقات قوية ، على باب الشقة ، مصحوبًا بصوت مفتش الشرطة ، وهو يهتف :

ـ ماذا يحدث هنا ؟.. افتحوا الباب فورًا ، وإلا اقتحمنا الباب ، وأطلقنا النار دون إنذار .

صاح (كوستا) :

ـ أرأيت !! الشرطة وصلت ، ولن يمكنك أن تضربنى .

تقدم (أدهم) نحوه أكثر فى هدوء ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!.. وما رأيك لو ضربتك على مؤخرتك أمامهم .

هتف (كوستا) مرتجفًا :

ـ قلت لك : إننى سأطلق النار .. صدقنى .

وفى نفس الوقت هتف مفتش الشرطة من الخارج :

ـ افتح الباب .. هذا آخر إنذار .

ووثب (أدهم) نحو (كوستا) ، الذى ضغط زناد المسدس ، صارخًا :

ـ لا .. لا .

أخطأت رصاصته (أدهم) ، وواصلت طريقها عبر الحجرة ، لتحطم

إناء زهور أنيقًا ، فسقط أرضًا ، وتحطم بشدة ، فى نفس اللحظة التى طوق فيها (أدهم) عنق (كوستا) بذراعه ، قائلاً فى سخرية .

ـ هاأنتذا أطلقت النار أيها الخنزير اليونانى .. بمَ أفادك هذا ؟

ومن الخارج ، صاح المفتش :

ـ إنهم يطلقون النار .. تراجعوا يا رجال .

وصاح (كوستا) ، فى ارتياع :

ـ لا .. لا تضربنى .. أرجوك .. إنهم سيقتحمون المكان حتمًا ، و ..

وفجأة ، بتر (كوستا) عبارته ، وهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أدار (أدهم) عينيه إلى حيث يتطلع (كوستا) ، ووقع بصره على مفتاح له شكل خاص ، ويحمل حلقة طبعت عليها أرقام واضحة ، و (كوستا) يهتف :

ـ آه .. ها هو ذا ما نبحث عنه .. أراهن على أن هذا المفتاح سيقودنا إلى تلك الوثائق .. أراهن ..

قال (أدهم) :

ـ أصدقك أيها الخنزير .

ثم هوى على رأس (كوستا) بضربة عنيفة ، أسقطته فاقد الوعى ، وقفز يلتقط المفتاح ، ويدسه فى جيبه ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت المفتش فى الخارج :

ـ اقتحموا المكان .

وفى نفس اللحظة ، التى اقتحم فيها رجال الشرطة الشقة ، كان (أدهم) يقفز من نافذتها إلى الخارج ، فصاح المفتش :

ـ ها هو ذا .. الحقوا به .

انطلق رجال الشرطة إلى النافذة ، ورأوا (أدهم) يتحرك فى خفة مثيرة للدهشة ، فوق أفريز النافذة ، وهتف أحدهم :

ـ إنه يحاول الفرار .. هل نطلق النار عليه ؟

صاح بهم المفتش :

ـ أوقفوه بأى ثمن .

انطلقت رصاصاتهم نحو (أدهم) ، ولكنه وثب فى اللحظة نفسها ، وتعلق بشرفة الشقة المجاورة ، ثم وثب داخلها ، واختفى داخل الشقة ، فتراجع رجال الشرطة ، صائحين :

ـ إنه يحاول الفرار من الشقة الأخرى .

لم يكد المفتش يسمعهم ، حتى اندفع نحو الشقة المجاورة ، ولكنه لم يكد يبلغها ، حتى انفتح بابها فى عنف ، فارتطم بوجهه فى قوة ، وأسقطه على الأرض بين رجاله ، فى حين اندفع (أدهم) خارج الشقة ، واندفع نحو السلم ، قبل أن يطلق أحد الرجال رصاصة واحدة ، فصاح المفتش :

ـ إنه يصعد إلى السطح .. الحقوا به .

ولم يتوقف (أدهم) لحظة واحدة ، على الرغم من الرصاصات المنهمرة عليه كالمطر ، والتى صدت درجات السلم معظمها ، حتى بلغ السطح ، وتوقف لحظة أمام بابه المغلق بقفل كبير ، وصوت المفتش يبلغه من أسفل ، وهو يهتف فى حدة :

ـ ماذا أصابكم ؟.. إنه مجرد رجل واحد .

وهنا تراجع (أدهم) خطوتين ، ثم ضرب الباب بقدمه ، بكل ما استطاع من قوة ، فحطم رتاجه ، وأسقط قفله ، واندفع إلى السطح ..

كان السطح خاليا تماما ، ولا يوجد مكان واحد فيه يصلح للاختباء ، وكان له حاجز قصير عند أطرافه ، أسرع إليه (أدهم) ، وتطلع إلى المبنى المجاور ، الذى يفصله عن هذا المبنى طريق جانبى صغير ، لا يزيد عرضه على أربعة أمتار ، ثم غمغم ساخرًا :

ـ يبدو أن القدر يصر على أن تكون حياتك شاقة دائما يا (أدهم) .

كان وقع أقدام رجال الشرطة يقترب فى سرعة ، ولكنه ظل محتفظًا بهدوئه ، وهو يتراجع فى سرعة ، ويقيس المسافة ببصره جيدًا ، ثم ينطلق نحو الحاجز بأقصى سرعته ..

ووصل رجال الشرطة إلى السطح ، وهتف أحدهم فى صرامة :

ـ توقف يا رجل ، وإلا ...

ولم يستطع الرجل إتمام عبارته ، وهو يحدق فى ذهول ، فى (أدهم صبرى) ، الذى بلغ الحاجز ، ووثب وثبة مدهشة ، فاقت كل ما رآه الشرطى فى حياته ، حتى فى حلقة السيرك ، ليعبر الأمتار الأربعة ، ويهبط عند السطح المجاور ، ثم يواصل عدوه دون توقف ..

وعندما وصل المفتش إلى السطح ، وهو يلهث فى شدة ، لم يكن الذهول قد فارق الشرطى بعد ، فصاح به :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟.. لماذا لم تطلق النار ؟

أجابه الشرطى ، مبهورًا :

ـ هل رأيت ما فعله يا سيدى ؟.. هل رأيت هذا ؟

حدّق المفتش فى السطح المجاور ، الذى بدا له خاليًا تمامًا ، ثم هتف محنقًا :

ـ أيها الأغبياء !.. سيهبط من البناية المجاورة .

وانطلق يعدو مع رجاله ، فى محاولة للحاق بـ (أدهم) ..

ولكن هيهات ..

لقد بلغ (أدهم) الشارع فى دقيقة واحدة ، واستعدّ ليعدو مبتعدًا ، عندما توقفت أمامه سيارة صغيرة ، وهتفت الفتاة حمراء الشعر ، التى تجلس أمام عجلة قيادتها :

ـ أسرع يا (أدهم) .. أسرع .

وثب داخل السيارة دون مناقشة ، فانطلقت على الفور ، وهتفت (هويدا) فى جذل :

ـ كنت أعلم أنك ستفعلها .. لقد أثرت جنون رجال الشرطة كالمعتاد .

استرخى فى مقعده ، وهو يلتقط أنفاسه ، وسألها :

ـ هل تحملين حقيبة من الشعر المستعار ؟

ضحكت ، قائلة :

ـ هذا أفضل ما فى المرأة .. إنها تستطيع تغيير شكلها فى سهولة .

تمتم ، وهو يسبل عينيه :

ـ هذا صحيح .

كان يشعر بآلام شديدة فى عنقه وذراعه ، وشعرت هى بما يعانيه ، على الرغم من أن ملامحه لم تشفّ عن هذا ، فسألته :

ـ إلى أين تريد منى أن أذهب بك ؟

تنهّد ، قائلًا :

ـ إلى أقرب محل لاستئجار السيارات .

هتفت ، فى غضب :

ـ أما تزال مصرًا على كتمان ما تفعله عنى ؟

ابتسم ، متمتمًا :

ـ أنت تعرفين القواعد .

عقدت حاجبيها فى حنق ، وهى تقول :

ـ فليكن ، ولكنك لن تستطيع منعى من اقتحام الأمر وقتما أشاء .

اكتفى بابتسامة خفيفة ، دون أن يعلّق على عبارتها ، فقد كان يحتاج فعلًا إلى الراحة ..

يحتاج إليها بشدة ..

★ ★ ★

كادت أسنان (راشيل) تتحطم ، وهى تقبض فكيها على بعضهما فى حنق ، هاتفة :

ـ ماذا أصابنا هذه المرة ؟!.. إننا ننتقل من فشل إلى فشل .. لماذا تفسد كل الأمور ؟

أجابها (ناحوم) ، فى ضيق :

ـ أعتقد أنك تبالغين كثيرًا يا (راشيل) .. لقد حققنا نجاحات عديدة ، وتخلّصنا من مترجم الوثائق ، ومن الرجل الذى طبع صورها ، وهذا نجاح كبير .

قالت ، فى حدة :

ـ ولكن حامل الوثائق نفسه ما زال مطلق السراح ، والوثائق فى حوزته مع (الميكروفيلم) ، و (أدهم صبرى) يسبقنا إليه دائمًا بخطوة .. هل رأيت كيف وصل إلى عنوانه ، وفتش شقته جيدًا .. ماذا لو أنه حصل على نسخة من الوثائق ؟!

قال ، فى حسم :

ـ يمكننا التأكد من هذا .

سألته ، فى دهشة :

ـ كيف ؟

أجابها ، فى لهجة حازمة واثقة :

ـ رجال الشرطة عثروا على رجلين فاقدى الوعى ، فى شقة (بابيوس) ، بعد فرار (أدهم) منها ، أحدهما هو (كوستا زافيروس) ، صاحب بار البجعة البيضاء ، والثانى حارسه الخاص (موستاش) ، وتم استجوابهما ، ولكنهما ادعيا أنهما سمعا جلبة فى الشقة ، وعندما طرقا بابها لاستطلاع الأمر ، هاجمهما (أدهم) ، وأفقدهما وعيهما .

سألته ، حائرة :

ـ وكيف علمت هذا ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ رشوت أحد رجال الشرطة ، فمنحنى صورة من أوراق التحقيق .

مالت نحوه ، تسأله فى اهتمام :

ـ وأين (كوستا) و (موستاش) الآن ؟

أجابها ، وقد بدأ يشعر بالفخر لما فعله :

ـ أفرجت عنهما الشرطة بضمان محل عملهما ، وسيعودان إلى البار حتمًا .

هبّت من مكانها ، قائلة :

ـ عظيم .. دعنا نذهب إليهما على الفور إذن .

سألها ، بسرعة :

ـ وماذا عن الأمريكيين ؟

قالت ، فى قلق :

ـ ماذا عنهم ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ إنهم يطاردوننا فى كل مكان ، ويعوقون عملنا .. لا يمكننى أن أتحرّك بحرية فى وجودهم :

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ أنت على حق .. إنهم أوغاد .. لقد قتلوا (بترو) و (كوهين) ، وتلك اللعينة (ليزلى) تسعى للتخلّص منى .

سألها :

ـ ماذا نفعل معهم إذن ؟

صمتت لحظات مفكّرة ، ثم التفتت إليه ، قائلة :

ـ ماذا تفعل عادة ، عندما يهدّد أحدهم أمنك ؟

أجاب ، بسرعة :

ـ أتخلّص منه .

ثم أضاف ، فى قلق :

ـ ولكنهما من الأمريكيين ، والمفروض أن يتمّ التعاون بيننا

وبينهم ، لا أن نتقاتل .. كيف نبرّر هذا أمام الرؤساء ؟

رفعت حاجبها فى خبث ، وخفضته قائلة :

ـ الأوامر صريحة . بشأن كل من يطلع على الوثائق .

قال فى دهشة :

ـ ولكنهما لم يطلعا عليها .

قالت ، فى خبث أكثر :

ـ عليهما عبء إثبات هذا .

تطلّع إليها لحظة ، فى حيرة وتساؤل ، قبل أن يهتف :

ـ آه .. فهمت يا (راشيل) .. يا لك من عبقرية !.. سيسعدنى هذا للغاية .

أجابته ، مبتسمة :

ـ وأنا أيضًا يا عزيزى (ناحوم) .. ولكننا لن نضيع وقتنا فى هذا الآن ، بل سنتجه مباشرة إلى بار البجعة البيضاء ، وبعد أن نتم مهمتنا هناك ، سنجد الوقت للقاء الأصدقاء الأمريكيين .

وأخرجت مسدسها . لتجذب مشطه ، وتتركه يرتدّ فى قوة ، قبل أن تستطرد :

ـ وعندها ستحين ساعة اللهو ..

قالتها ، وفمها يحمل ابتسامة كبيرة ..

ابتسامة جذل ..

ووحشية .

★ ★ ★

١٦ ـ أصدقاء الشرّ ..

أغلق (أدهم) عينيه فى إرهاق كبير ، وهو يرقد على الأريكة الوثيرة ، فى ردهة المنزل الآمن ، وراح عقله يسترجع الأحداث كلها فى بطء ، ويحاول التركيز على بعض النقاط ، ولكن ذهنه المكدود كان يرفض هذا فى إصرار ، ويلحّ عليه ليحظى بقدر من النوم ، ولكنه لم يكد يسبل جفنيه ، ويحاول الاستسلام للنعاس ، حتى سمع صوت المفتاح يدور فى الباب ، فقفز فى سرعة ، واستلّ مسدسه فى تحفّز ، إلا أنه لم يلبث أن أعاده إلى موضعه ، وهو يقول :

ـ أهلًا يا (مجدى) .. ماذا فعلت اليوم ؟

أجابه (مجدى) ، فى صوت يحمل رنة ضيق واضحة :

ـ عثرت على المترجم .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ لماذا تبدو حزينًا إذن ؟

ناوله (مجدى) الجريدة المسائية ، وهو يقول :

ـ لأننى عثرت عليه من هذا الخبر .

التقط (أدهم) الجريدة ، وقرأ الخبر الذى يشير إليه (مجدى) ، والذى يتحدث عن مصرع مترجم شاب ، فى حريق غامض بمنزله ، ثم تأتى التفاصيل لتشير إلى أن ذلك المترجم الشاب تخصّص فى الترجمة من العبرية إلى اليونانية ، ثم يصف الحريق ، وبراعة رجال الإطفاء فى التعامل معه .. إلى نهاية الخبر ..



حتى سمع صوت المفتاح يدور فى الباب ، فقفز فى سرعة ، واستلّ مسدسه فى تحفّز ، إلا أنه لم يلبث أن أعاده إلى موضعه ..

وفى مرارة ، طوى (أدهم) الجريدة ، وقال :

ـ يا للخسارة : .. لقد توصّل إليه الإسرائيليون قبلنا .

تمتم (مجدى) :

ـ هذا من سوء حظه .

وألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أن الإسرائيليين يعتزمون محو كل ما يتعلّق بوثائقهم من الوجود .

أجابه (أدهم) ، وهو يسبل جفنيه فى إرهاق :

ـ بالتأكيد ، فإقدامهم على قتل أحد رجال المخابرات الأمريكية ، ليس بالعمل التقليدى أو البسيط ، بل هو إجراء يشف عن مدى أهمية وخطورة تلك الوثائق . بالنسبة لهم .

سأله (مجدى) :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع الحصول على تلك الوثائق ؟

ابتسم (أدهم) ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ لماذا نحن هنا إذن ؟

وصمت لحظة ، وهو يسترخى تمامًا فى مكانه ، حتى أن (مجدى) تصوّر أنه استغرق فى النوم بالفعل ، ولكنه سمعه يتابع :

ـ ولكن المهم ألا يدرك الإسرائيليون أننا حصلنا على وثائقهم .

قال (مجدى) ، فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (أدهم) ، فى إرهاق واضح :

ـ حتى تظل لها نفس الأهمية بالنسبة لهم ، ويتصوّرون أن أحدًا لم ينجح فى كشف سرهم ، فهذا يمنح الوثائق أهمية أكبر .

غمغم (مَجدى) :

ـ فهمت .

ثم تردّد لحظة ، قبل أن يسأله :

ـ ولكن ماذا عنك يا سيادة العقيد ؟.. هل كان يومك مثمرًا ؟

حاول (أدهم) أن يبتسم ، ولكن ابتسامته تهالكت فوق شفتيه ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد .. لقد عثرت على مفتاح .

سأله (مجدى) :

ـ مفتاح ماذا ؟

ولم يجب (أدهم) هذه المرة ، لأنه غرق ..

غرق فى سبات عميق ..

* * *

جذب (أرنولد) مشط مسدسه ، داخل سيارته الأمريكية ، ذات اللوحات الدبلوماسية ، وهو يقول لزميلته (ليزلى) فى حزم :

ـ لقد حصلت على كل المعلومات اللازمة ، فالشخص الذى يسعى الإسرائيليون خلفه يُدعى (خريستو بابيوس) ، وهو أحد سائقى سيارات الأجرة ، وأعتقد أنه الشخص نفسه ، الذى تفاوض معنا بشأن الوثائق ، ولكنه اختفى تمامًا منذ ليلة أمس ، وتعرّضت شقته لمحاولة سرقة ، وطارد رجال الشرطة السارق ، ولكنه أفلت منهم ، وترك خلفه رجلين ، أحدهما صاحب بار ، والثانى حارسه الخاص .

سألته ، فى برود :

ـ هل حصلت على عنوانهما ؟

أجابها ، فى حزم :

ـ بالطبع .. وهل يمكن أن يفوتنى هذا ؟

قالت ، فى شىء من الاستمتاع :

ـ دعنا ننطلق إلى هناك إذن ، وسنجد حتمًا من يرشدنا إلى مكان أصدقائنا الإسرائيليين ، بعد أن أخلوا منزلهم الآمن ، وانتقلوا إلى آخر .

أدار محرِّك السيارة ، وهو يقول :

ـ نعم .. دعينا نذهب إليهم ، فأنا شديد الشوق لرؤيتهم مرة ثانية .

كان يهمّ بالانطلاق بالسيارة ، عندما ارتفع رنين هاتفها ، فالتقط سمّاعته ، وقال :

ـ (أرنولد ويلز) .. من المتحدّث ؟

واستمع إلى محدثه لحظات ، ثم انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!.. هذا مستحيل !

التفتت إليه (ليزلى) فى قلق ، وسألته :

ـ ماذا هناك ؟

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يستمع إلى محدثه مرة أخرى ، ثم يهتف محنقًا :

ـ ما معنى هذا ؟.. لقد تلقينا أوامر محدودة ، ونعمل على تنفيذها بكل إخلاص .

لم يرق لها تجاهله لسؤالها ، فضغطت زر ميكروفون الهاتف ، وامتلأت السيارة بصوت السفير الأمريكى ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا تجادل يا (أرنولد) .. إنها أوامر صريحة ، من (واشنطن) مباشرة .. العملية الثأرية ألغيت .. واصل مع (ليزلى) البحث عن الوثائق الإسرائيلية ، ومحاولة استعادتها ، ولكن أوقفا تلك الحرب .. لا إطلاق نار بعد الآن .. سنوقف قتل الإسرائيليين ويوقفون قتلنا .. هذه هى الأوامر الجديدة .

هتف (أرنولد) :

ـ اللعنة على كل الأوامر .. لقد قتل الإسرائيليون (بروس) ، ولا بد أن يدفعوا الثمن .

أجابه السفير ، فى صرامة :

ـ وأنت قتلت (بترو) و (كوهين) ، وهذا يكفى .. نفذ الأوامر دون مناقشة .. لا قتل بعد الآن .. دع (راشيل) و (ناحوم) لشئونهما .

صمت (أرنولد) لحظات ، والغضب يملأ كل خلجة من خلجاته ، ثم قال فى صرامة ، وهو يضغط أسنانه ببعضها :

ـ للأسف يا سيادة السفير .. لقد وصلت تلك الأوامر متأخرة .

عقدت (ليزلى) حاجبيها ، وهى تتطلع إليه فى دهشة ، فى حين هتف السفير فى شىء من الذعر :

ـ وصلت متأخرة ؟!.. ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه (أرنولد) :

ـ لقد تخلصنا من (راشيل) و (ناحوم) بالفعل .

صرخ السفير :

ـ ماذا ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (ليزلى) بشدة ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، والسفير يستطرد فى غضب :

ـ كيف نبرر هذا للإسرائيليين ؟.. لماذا تسرعتما إلى هذا الحد ؟

أجابه (أرنولد) ، فى صرامة :

ـ كنا ننفذ الأوامر يا سيادة السفير .

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول السفير فى توتر :

ـ لا مفر من القدر .. ما حدث قد حدث .. سأبلغهم بهذا فى (واشنطن) ، وأترك لهم اتخاذ القرار .

قال (أرنولد) ، قبل أن ينهى الاتصال :

ـ خيرًا تفعل يا سيادة السفير .

هتفت به (ليزلى) ، وهو يعيد السماعة إلى موضعها :

ـ لماذا أخبرته أننا تخلصنا بالفعل من (راشيل) و (ناحوم) ، على الرغم من أننا لم نفعل هذا بعد ؟

قال ، فى حزم :

ـ ألم نفعل حقًا ؟!.. هذا يعنى إذن أنه علينا أن نتخلص منهما بأسرع ما يمكننا ، حتى لا يتهمنا أحد بالكذب .

وانطلق بالسيارة ..

★ ★ ★

احتقن وجه (بابيوس) فى شدة ، وهو ينقل بصره بين (كوستا) و (موستاش) ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ فتشتما شقتى ؟!.. ومن منحكما هذا الحق ؟

قال له (كوستا) ، فى خشونة :

- ومن يحتاج إلى موافقتك ؟.. لقد أفسدت الأمر كله ، وعلىّ أن أسعى لإصلاحه ، حتى نظفر مرة أخرى بالمليون دولار .

هتف (بابيوس) ، وهو يحاول النهوض من فراشه :

- أيها الوغد الحقير .. لست أدرى ماذا أصابنى ، حتى أقصّ عليك الأمر كله ، وأنا الذى وضعت أعقد خطة فى التاريخ .

هوى (موستاش) على فكه بلكمة قوية ، أعادته إلى الفراش ، وهو يقول له فى غلظة :

- لا تتحدث بهذا الأسلوب مع (كوستا) .

صرخت فتاة البار ، وهتفت :

- رويدكما .. الرجل مصاب .

قال (كوستا) ، فى قسوة :

- فليمت ، لو أن هذا يحلو له ، ولكنه لن يمنعنى من الحصول على المال .

مسح (بابيوس) خيط الدم ، الذى سال من طرف شفتيه ، وهو يقول :

- وكيف ستحصل على المال أيها العبقرى ؟

لوّح (كوستا) بيده ، وهو يقول :

- لن أضيع الوقت فى مناورات سخيفة طويلة مثلك ، بل سأضرب على الوتر الحساس مباشرة ، وأتفاوض مع الإسرائيليين .

اعتدل (بابيوس) ، وهو يسأله محنقًا :

- وكيف تتم اتصالك معهم ، دون أن تمتلك الوثائق التى يريدونها ؟

انعقد حاجبا (كوستا) فى شدة ، وهو يقول :

- سأحصل عليها منك .

هتف (بابيوس) :

- هيهات .. إننى أفضّل الموت .

صاح به (كوستا) :

- هناك ما هو أبشع من الموت يا رجل .

ثم أشار إلى (موستاش) ، قائلًا :

- أره ماذا أعنى يا (موستاش) ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هوى (موستاش) على فك (بابيوس) بلكمة قوية ، وصرخت الفتاة فى ارتياع :

- لا .. لا تفعل هذا .

دفعها (كوستا) فى غلظة ، وهو يصيح بها :

- لو أنك لا تحتملين هذا ، فغادرى الحجرة يا ذات القلب الرقيق ، ولكننا سنواصل عملنا ، حتى يخبرنا صديقنا (بابيوس) بالمكان ، الذى أخفى فيه وثائق الإسرائيليين .

صاح (بابيوس) ، على الرغم من لكمات وضربات وركلات (موستاش) ، التى تنهال عليه كالمطر :

- لن تعرف مكانها أبدًا .. أبدًا .

التفت إليه (كوستا) فى حدة ، وصاح :

- هل تراهن ؟

تشبّثت به الفتاة ، هاتفة فى ضراعة :

- لا تعامله بهذه القسوة .. لن يحتمل كل هذا .

دفعها (كوستا) فى غلظة ، وهتف :

ـ حطّم يده يا (موستاش) .

أمسك (موستاش) يد (بابيوس) المصابة فى قوة ، وألصقها بالجدار ، فصرخ هذا الأخير مذعورًا :

ـ لا .. لا تفعل .

ولكن (موستاش) سحق اليد بقدمه فى قسوة رهيبة ، جعلت الفتاة تطلق صرخة فظيعة ، تردّد صداها فى المكان كله ، وامتزجت بصرخة الألم الهائلة ، التى أطلقها (بابيوس) ، قبل أن يهتف :

ـ كفى .. كفى بالله عليكم .

سأله (كوستا) ، فى وحشية :

ـ أين الوثائق ؟!.. أين تحتفظ بها ؟

قال (بابيوس) ، منهارًا :

ـ لن يمكنك الاستفادة منها .. صدقنى .. الأمر ليس بالسهولة التى تتصوّرها .

صاح به (كوستا) :

ـ بل هو ليس بالصعوبة التى تتصوّرها أنت يا رجل .. كل ما يقتضيه الأمر هو أن نبحث عن الإسرائيليين حتى نجدهم ، و ...

قاطعه صوت صارم ، يقول :

ـ لا داعى للتعب يا رجل .. نحن هنا .

انتفض جسد (كوستا) فى ذعر ، وصرخت الفتاة فى فزع ، وهى تلتصق به ، واستدار الجميع يحدقون فى (راشيل) و (ناحوم) ، اللذين وقفا عند باب الحجرة ، يصوبان مسدسيهما إلى الجميع ..

وبعد لحظة من الصمت ، هتف (كوستا) ، بصوت مبحوح :

ـ أأنتما .. أأنتما ؟!..

أجابته (راشيل) ، فى سخرية :

ـ نعم يا رجل .. نحن الإسرائيليون ، الذين تبحث عنهم .. لقد وفرنا عليك الوقت والجهد ، وأتينا إليك مباشرة .

ثم انعقد حاجباها فى صرامة ، مستطردة :

ـ أين الوثائق ؟

أجابها (كوستا) ، وهو يرتجف :

ـ لست أدرى .

ثم أشار إلى (بابيوس) ، مستطردًا :

ـ هذا الرجل وحده يعلم أين هى .

التفتت (راشيل) إلى (بابيوس) ، وسألته :

ـ أنت (بابيوس) .. أليس كذلك ؟

أجابها (كوستا) :

ـ نعم .. إنه هو .. لقد أتى إلى هنا بعد إصا ...

قاطعته صائحة ، فى صرامة :

ـ اخرس أيها الغبى الحقير .

زمجر (موستاش) ، قائلًا :

ـ لا أحد يتحدث مع (كوستا) بهذا الأسلوب .

قال (ناحوم) ، فى صرامة :

ـ حقًا ؟!

ثم ضغط زناد مسدسه ، وانتفضت فتاة البار ، وهى تصرخ

فى ارتياع ، عندما اخترقت الرصاصة جمجمة (موستاش) ، فى منتصف الجبهة تمامًا ، فجحظت عيناه فى ذعر ودهشة ، وترنّح جسده لحظة ، ثم هوى جثة هامدة ، إلى جوار فراش (بابيوس) ، الذى لوّح بيده فى رعب هائل ، صارخًا :

- لا .. لا .

سألته (راشيل) ، فى صرامة :

- أين الوثائق يا (بابيوس) ؟

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وتمتم مرتبكًا :

- سيدتى .. أنا لم أقصد شيئًا .. الوثائق رهن إشارتك ، وسأخفض المبلغ المطلوب إلى ..

انطلقت من مسدسها رصاصة صامتة ، اخترقت ساقه اليسرى ، فأطلق صرخة ألم قوية ، وهى تتابع فى برود :

- يبدو أنك لم تحسن فهمنا جيدًا يا (بابيوس) .. إننا إسرائيليون .. وهذا يعنى أننا يهود بالطبع .. هل رأيت فى حياتك كلها يهوديًا واحدًا ، يمكنه أن يدفع قرشًا ، فى شىء يمكنه الحصول عليه مجانًا ؟!

هتف (بابيوس) فى ألم ، ودماؤه تنزف فى غزارة :

- ولكننى فعلت كل هذا من أجل الـ ...

أخرسته رصاصة أخرى من مسدسها ، اخترقت ركبته اليمنى ، فصرخ مع فتاة البار صرخة مزدوجة رهيبة ، و (راشيل) تقول :

- صبرى ينفد بسرعة يا (بابيوس) ، وأنت تستهلك الكثير من الرصاصات .. قل لى : ما الهدف الذى تفضله لى ، فى المرة القادمة .. كتفك الأيسر ، أم مرفقك الأيمن ؟

صاح (بابيوس) ، فى انهيار :

- لا يا سيدتى .. لا .. خذى الوثائق .. خذى كل شىء وانصرفى .. أرجوك .

ورفع قميصه فى سرعة ، فبدا أسفله جراب من الجلد ملتصق ببطنه ، انتزعه فى عصبية ، وألقاه إليها ، قائلًا :

- هنا تجدين كل الوثائق .. كل ورقة منها .. وأقسم لك إنها كلها هنا .. كلها .

هتف (كوستا) ذاهلًا :

- هل كانت هنا طوال الوقت ؟

أما (راشيل) ، فقد التقطت الغلاف الجلدى ، وراحت تفحص الصور الأصلية للوثائق ، وهى تسأل (بابيوس) ؟

- ألا توجد نسخ أخرى ؟

هتف (بابيوس) ، فى ألم مذعور :

- مطلقًا .. أقسم لك .. لم أصنع منها سوى نسخة واحدة ، وهى تلك التى أعطيتها للأمريكيين .

ابتسم (ناحوم) ، وهو يقول :

- عظيم .. فى هذه الحالة .

ودون أن يهتمّ بإكمال عبارته ، ضغط زناد مسدسه ، فانطلقت رصاصته تخترق عين (بابيوس) اليسرى ، وتغوص فى مخه ، ثم تعبر جمجمته من الخلف ، مع قنبلة من الدم ، انفجرت فى الجدار المقابل ، قبل أن يهوى (بابيوس) جثة هامدة ..

وصرخت فتاة البار فى رعب هائل ، وامتزجت صرختها بصرخة (راشيل) ، الغاضبة :

ـ ماذا فعلت أيها الغبى ؟

بدت الحيرة على وجه (ناحوم) ، وهو يقول :

ـ نفّذت الأوامر يا (راشيل) .. لقد حصلنا على الصور الأصلية للوثائق ، والرجل أقسم إنه لا توجد أية نسخ أخرى منها ، ألا تحتم الأوامر التخلّص منه بعد هذا .

صاحت فى جنون :

ـ و (الميكروفيلم) أيها الغبى .. إننا لم نحصل على (الميكروفيلم) بعد .

دار الحديث بينهما بالعبرية ، فلم يفهم منه (كوستا) وفتاته حرفًا واحدًا ، إلا أن شحوب وجه (ناحوم) أوحى لهما بحدوث خطأ ما ، وخاصة مع غضب (راشيل) الهادر ، فازدرد (كوستا) لعابه ، وتمتم :

ـ أظنكما لا تحتاجان إلينا الآن .

أخرجت (راشيل) قدّاحتها ، وأشعلت النار فى الصور الأصلية للوثائق ، وهى تقول فى حدة :

ـ لا أحد يحتاج إليكما .. هذا صحيح .

ثم التفتت إلى زميلها ، مستطردة :

ـ اقتلهما يا (ناحوم) .

أدار (ناحوم) فوهة مسدسه إليهما بسرعة ، وهو يقول :

ـ على الرحب والسعة .

أطلقت الفتاة صرخة مذعورة ، والتصقت بـ (كوستا) فى شدة ، حتى كادت تتلاشى فى جسده البدين ، فى حين لوّح هو بذراعيه فى ارتياع ، هاتفًا :

ـ مهلًا أيها السيدان .. يمكننى أن أفيدكما .

قالت (راشيل) فى لا مبالاة ، وهى تراقب النيران ، التى تلتهم صور الوثائق فى سرعة :

ـ أشك فى هذا .

ولكنه صاح :

ـ (بابيوس) كان يخفى شيئًا آخر .

عقدت حاجبيها ، والتفتت إليه ، وهى تشير لـ (ناحوم) بعدم إطلاق النار ، وسألته :

ـ لماذا تقول هذا ؟

أجابها متوترًا :

ـ بسبب المفتاح .. المفتاح الذى عثر عليه الرجل الآخر ، الذى هاجمنا فى شقة (بابيوس) .

جذب الأمر انتباهها فى شدة ، فعادت تسأله :

ـ أى مفتاح ؟.. ومتى حصل عليه ذلك الرجل ؟

ازدرد لعابه فى صعوبة ، فى محاولة لترطيب حلقه الجاف ، قبل أن يجيب :

ـ عندما كنا نتشاجر فى شقة (بابيوس) ، حاولت إطلاق النار عليه ، ولكن الرصاصة أخطأته ، وأصابت إناء زهور ، فتحطّم ، وسقط أرضًا ، وقفز منه ذلك المفتاح ؟

سألته ، فى توتر :

ـ وكيف يبدو هذا المفتاح ؟.. ما شكله بالضبط ؟

راح يلوّح بكفيه ، وهو يجيب فى انفعال :

ـ مفتاح صغير ، فى نهايته حلقة معدنية ، عليها رقم ما .

سألته ، فى لهفة :

ـ وما هذا الرقم ؟.. هل تذكره ؟

هزّ رأسه نفيًا فى توتر ، وأجاب :

ـ كلا .. لست أذكره .. إننى لم ألق سوى نظرة واحدة عليه ، ولم تكن كافية حتى لألمح الأرقام .

سألته ، فى صرامة :

ـ وما شكل الحلقة ؟

أجابها بسرعة :

ـ حلقة مستديرة تمامًا ، لها لون أصفر ، والأرقام فوقها باللون الأخضر .. إنها تبدو كما لو كانت شعارًا لأحد البنوك أو الفنادق .

عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ إذن فقد عثر (أدهم) على مفتاح ما .. أراهن على أنه مفتاح خزانة خاصة ، يحتفظ فيها (بابيوس) بذلك (الميكروفيلم) ، ولكن أين هى ؟.. أين ؟

سألها (ناحوم) ، فى قلق :

ـ ماذا عن هذين ؟.. هل نبقى عليهما ؟

رفعت عينيها فى بطء ، وتطلّعت إلى (كوستا) وفتاته لحظة ، ثم أجابت فى برود :

ـ كلّا .

صرخت الفتاة ، فى ارتياع :

ـ لا .. لا .. أنا لم أفعل شيئًا .

ولكن (ناحوم) صوّب إليهما مسدسه ، وقال فى لهجة أقرب إلى الجذل :

ـ الوداع .

ودوت رصاصات قاتلة فى المكان ..

وانتفض جسد (كوستا) فى قوة ، مع صرخة الفتاة ، قبل أن تتسع عيون الجميع فى دهشة ..

لقد انطلقت الرصاصات القاتلة ، وأصابت هدفها مباشرة ..

ولكن هذا الهدف لم يكن (كوستا) أو فتاته ..

بل كان (ناحوم) ..

(ناحوم) ، الذى اتسعت عيناه فى ألم ودهشة ، ثم ترنّح ، وهوى جثة هامدة ، عند قدمى (راشيل) ، التى استدارت بمسدسها فى سرعة ، ولكنها تجمّدت مكانها ، عندما رأت أمامها فوهتين مصوّبتين إليها ، وخلفهما آخر وجهين تتمنى رؤيتهما فى هذه اللحظة ..

(أرنولد) و (ليزلى) ..

* * *



١٧ ـ الذكاء والقوة ..

كان (أدهم) غارقًا فى نوم عميق ، عندما هبّ فجأة جالسًا على الأريكة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه !.. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

سأله (مجدى) ، فى قلق :

ـ ماذا حدث يا سيادة العقيد ؟

أجابه (أدهم) ، فى توتر :

ـ قل لى : لماذا يذهب (كوستا) و (موستاش) إلى شقة (بابيوس) ؟

قال (مجدى) ، فى دهشة :

ـ وهل فعلا ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ نعم .. فعلا .. والسؤال هو لماذا فعلا ؟

أجابه (مجدى) ، فى اهتمام :

ـ للبحث عن الوثائق .

مال (أدهم) إلى الأمام ، وهو يسأله :

ـ وكيف يعلم (كوستا) بأمر الوثائق ، ما دام (بابيوس) يحتفظ بهذا سرًا ، إلى الحد الذى يستخدم فيه وسيطًا للتعامل مع (كوستا) ، على الرغم من معرفتهما لبعضهما ؟!.. هناك سر يكمن خلف

هذا الأمر ، ولو أننا حللنا الموقف ، فسنجد أنه من العجيب أن يقدم (كوستا) على مثل هذا التصرّف بشكل طبيعى .

قال (مجدى) :

ـ ربما أخبره (بابيوس) بأمر الوثائق .

قال (أدهم) ، فى اهتمام :

ـ هذا مؤكّد ، ولكن لماذا لم يخبره بمكانها أيضًا ؟

حاول (مجدى) أن يجد تفسيرًا ، إلا أنه لم ينجح فى هذا ، فقال :

ـ لست أدرى .

نهض (أدهم) ، والتقط سترته ، وهو يقول :

ـ هناك تفسير واحد ، وهو أن (كوستا) أجبر (بابيوس) بوسيلة ما على الإفصاح له بأمر الوثائق ، ولكن (بابيوس) رفض إطلاعه على مكانها ، حتى يحتفظ بالورقة الرابحة فى يده ، فما كان من (كوستا) إلا أن اقتحم شقة (بابيوس) ، وفتشها للبحث عن الوثائق .

ثم ارتدى السترة ، مستطردًا فى حزم :

ـ وهذا يحمل بدوره تفسيرًا واحدًا .. أن (كوستا) يحتفظ بـ (بابيوس) فى مكان ما .

نهض (مجدى) واقفًا ، وهو يقول :

ـ تفسير منطقى للغاية ، ولكن كيف نتأكّد من صحته ؟

أجابه (أدهم) :

ـ هناك وسيلة واحدة لهذا .

وقبل أن يسأله (مجدى) عنها ، استطرد بسرعة :

ـ زيارة قصيرة لخنزير (أثينا) (كوستا زافيروس) .

سأله (مجدى) ، وهو يلتقط سترته بدوره :

ـ هل نذهب معًا ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يريه المفتاح :

ـ كلا .. سأذهب وحدى ، ولكننى سأسند إليك مهمة أخرى .. أريد منك أن تقوم بزيارة كل مكان فى (أثينا) ، يمكنه تأجير خزانة خاصة .. البنوك ، والوكالات الخاصة ، وحتى الفنادق ، وابحث عن جهة تشبه مفاتيح خزائنها هذا المفتاح : هل يمكنك هذا ؟

قال (مجدى) ، فى حماس :

ـ بالتأكيد .

قال (أدهم) ، وهو يفتح الباب :

ـ عظيم .. سنلتقى هنا فى المساء ، عندما يتم كل منا عمله ..

وابتسم مستطردًا :

ـ هذا لو بقينا على قيد الحياة .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (راشيل) فى شدة ، وهى تحدّق فى وجهى (أرنولد) و (ليزلى) ، فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة متشفية على شفتى تلك الأخيرة ، وهى تقول :

ـ مفاجأة يا عزيزتى (راشيل) .. أليس كذلك ؟

خفضت (راشيل) يدها بالمسدس إلى جوارها ، وهى تقول فى غيظ :

ـ يمكننى أن أتوقع أى شىء منك يا (ليزلى) ، فأنت لم تتغيرى كثيرًا ، منذ أيام التدريبات القديمة فى (واشنطن) .

قالت (ليزلى) ، فى سخرية :

ـ كنا صغيرتين حينذاك يا عزيزتى (راشيل) ، ولكن طباعنا لم تتغيّر كثيرًا .. ما زلت أنا أكثر ذكاءً ، وما زلت أنت أكثر قوة .

ثم أضافت ، بلهجة متشفية :

ـ ما رأيك الآن يا عزيزتى (راشيل) .. أيهما أكثر فائدة .. الذكاء أم القوة ؟!

عضت (راشيل) شفتها فى غيظ ، فى حين قال (أرنولد) فى عصبية :

ـ لن نضيع الوقت فى الحديث معها .. هيا .. أطلقى النار عليها ، ولننه هذه العملية السخيفة .

توترت عضلات (راشيل) ، وتحفّزت فى عصبية ، فى حين ابتسمت (ليزلى) ، قائلة فى سخرية :

ـ ولماذا العجلة يا عزيزى (أرنولد) ؟.. دعنا نتمتع قليلًا برؤية عزيزتنا (راشيل) ، وهى ترتجف ذعرًا أمامنا .

قالت (راشيل) ، فى حدة :

ـ إننى أفضّل الموت على الارتجاف أمامك يا (ليزلى) .

هزّت (ليزلى) كتفيها ، وقالت :

ـ فليكن .. ما دمت تختارين الموت ، فلن أبخل عليك به يا عزيزتى .

وصوّبت مسدسها إليها ، قائلة :

ـ الوداع يا عزيزتى (راشيل) .

قالت (راشيل) ، فى عصبية :

ـ ألن تحاولى معرفة مكان الوثائق على الأقل ؟

هتف (أرنولد) :

ـ ستخبريننا بها يا (راشيل) .. أليس كذلك ؟

أجابته (راشيل) ، بابتسامة ماكرة :

ـ بالطبع .. هذا لو ...

ثم صرخت فجأة ، وهى تنظر إلى (كوستا) :

ـ ما الذى تفعله أيها المجنون ؟

وعلى الرغم من سذاجة الخدعة وبساطتها ، إلا أن اللهجة التى صرخت بها (راشيل) ، جعلت (أرنولد) و (ليزلى) يلتفتان فى حركة سريعة إلى (كوستا) وفتاته ، فوثبت (راشيل) بسرعة ، وركلت مسدس (ليزلى) ، صارخة :

ـ أين ذكاؤك أيتها الأمريكية ؟

التفت إليها (أرنولد) ، وصوّب مسدسه نحوها ، صارخًا :

ـ أيتها اللعينة ؟

ولكن (راشيل) أطلقت رصاصات مسدسها نحوه ، صائحة :

ـ اخرس أيها الأمريكى الحقير .

اخترقت رصاصاتها كلها جسده ، وقذفته إلى الخلف فى عنف ، ليسقط جثة هامدة ، فى نفس الوقت الذى أدارت فيه مسدسها نحو (ليزلى) ، صائحة :

ـ دورك أيتها النكبة .

امتقع وجه (ليزلى) فى شدة ، عندما ضغطت (راشيل) زناد مسدسها ، ولكن المسدس لم يطلق رصاصة واحدة إضافية ، وإنما أصدر تكة خفيفة ، تشف عن خلو خزانته من الرصاصات ، فبرقت عينا (ليزلى) ، وهى تقول :

ـ خسرت أيتها الإسرائيلية .

وقفزت تلتقط مسدسها ، فاندفعت (راشيل) تعدو خارج الحجرة ، ولاحقتها رصاصات (ليزلى) ، التى صاحت خلفها :

ـ لن يمكنك الفرار يا (راشيل) .. لقد أغلقنا كل الأبواب ، قبل أن نعلن وجودنا .

قالتها وهى تخرج إلى البار الخالى فى حذر ، وأدارت عينيها فيه ، وهى تقول :

ـ ومن سوء حظك أن (كوستا) الغبى هذا أغلق باره الليلة ، حتى يتفرّغ لانتزاع المعلومات من (بابيوس) .. يا للخسارة يا (راشيل) .. ستنتهى حياتك على يد (ليزلى) ، التى تمقتينها طوال عمرك .

كان البار يبدو صامتًا ساكنًا ، ولكن (ليزلى) كانت واثقة من أن (راشيل) تختبئ فى مكان ما منه ، فتحرّكت داخله فى حذر شديد ، وهى تدير عينيها فيما حولها متوترة ، وهتفت :

ـ (راشيل) .. أين أنت يا زميلتى السابقة ؟

وفجأة ، لمحت حذاء (راشيل) خلف طاولة البار ، فوثبت نحوه ، وصرخت :

ـ وقعت أيتها اللعينة .

ودارت حول البار ، وأطلقت رصاصتين من مسدسها ، و ...

واتسعت عيناها ، فى دهشة ..

لقد وجدت الحذاء وحده ، دون (راشيل) نفسها ..

وقبل أن تستوعب (ليزلى) الخدعة ، انقضت عليها (راشيل) من الخلف ، وأمسكت معصمها ، ولوته فى قسوة ، لتجبرها على التخلى

عن مسدسها ، ثم أحاطت عنقها بذراعها المفتولة العضلات ، صارخة :

- حان دورى أيتها اللعينة .

جحظت عينا (ليزلى) من فرط الألم ، وحاولت أن تضرب (راشيل) بقدميها أو قبضتيها ، إلا أن (راشيل) شبكت أصابع يديها فى قوة ، واستنفرت كل عضلة فى ذراعيها ، لتعتصر عنق (ليزلى) ، قائلة فى قسوة وتشفٍّ :

- هل أدركت الآن فائدة القوة ، أيتها الأمريكية الذكية ؟

ضربت الأمريكية الهواء بذراعيها ، وصدرها يصرخ طالبًا الهواء ، ولكن (راشيل) أمسكت رأسها فى قوة ، وصاحت :

- الوداع أيتها الذكية .. الوداع .

وأدارت رأسها فى عنف ، فصدرت عن عنقها فرقعة مخيفة ، وخرجت من حلقها حشرجة مؤلمة ، ثم تراخى جسدها كله ..

وتألقت عينا (راشيل) فى قسوة ، وهى تواصل اعتصار عنق (ليزلى) لحظات أخرى ، قبل أن تلقى جثتها أرضًا فى ازدراء ، وتبصق عليها فى شراسة ، ثم انحنت تلتقط مسدسها ، واستدارت عائدة إلى حجرة (كوستا) ..

ولكن (كوستا) وفتاته لم يكونا هناك ..

كان الباب الخلفى للبار مفتوحًا ، ولا يوجد أثر لهما ..

وانعقد حاجبا (راشيل) فى قسوة ، وهى تغمغم :

- فليكن أيها اليونانى الحقير .. لن تفلت منى إلى الأبد .

وغادرت البار من الباب الخلفى بدورها ، ورأسها يرسم خطتها الجديدة ..

خطة البحث عن آخر وأهم خيوط اللعبة ..

عن (الميكروفيلم) ..

★ ★ ★

لهث (كوستا) فى شدة ، وهو يعدو بكل قوته ، فى الشوارع القريبة من البار ، وركضت خلفه فتاته ، وهى تهتف به :

- انتظرنى يا (كوستا) .. لا تتركنى وحدى مع هذه السفّاحة .. انتظرنى .

احتقن وجهه ، وهو يهتف بها بدوره :

- لن أنتظر أحدًا .. أسرعى أنت .. ألم ترى ما تفعله بالجميع ؟!.. إنها تقتل بلا شفقة أو رحمة .

كان ينحرف فى شارع جانبى ، عندما توقف بغتة ، وصاح فى ارتياع :

- لا .. لا .. الرحمة .

رفعت الفتاة حاجبيها فى دهشة ، عندما رأته يسقط جاثيًا على ركبتيه ، وأنفاسه تتقطع من فرط التعب والذعر ، وهو يستطرد :

- الرحمة أيها السيِّد الكريم .. لن أحتمل المزيد .. الرحمة .

لحقت به الفتاة ، ووقع بصرها على (أدهم) ، فى معطف المطر ، وهو يقول لـ (كوستا) :

- ماذا أصابك يا رُجل ؟.. ماذا حدث ؟

هتفت الفتاة :

- أنقذنا أيها الوسيم .. تلك المتوحِّشة تريد قتلنا .

سألها (أدهم) :

- أية متوحشة ؟.. ماذا حدث بالضبط ؟

قصّت عليه الفتاة ما حدث فى البار ، منذ بدأ (موستاش) يضرب (بابيوس) ، وحتى مصرع (ليزلى) ، فى حين ظلّ (كوستا) يرتّد ملتاعًا :

ـ لن أحتمل المزيد .. أرجوك .. أرجوك .

حتى صاح به (أدهم) :

ـ كفى يا رجل .. لن يفعل بك أحد شيئًا .

هتف (كوستا) ، فى حرارة :

ـ حقًا ؟!.. ألن تقتلنى أيها السيّد الكريم ؟!.. شكرًا لك .. شكرًا لك .

قال له (أدهم) ، فى صرامة :

ـ انهض يا رجل ، ولا تركع أمام مخلوق مرة ثانية ..

نهض (كوستا) ، مرتّدًا ، والعرق يغمر وجهه البدين ، على الرغم من برودة الجو :

ـ لن أفعل .. أقسم لك .. لن أفعل .

رمقه (أدهم) بنظرة ازدراء ، وهو يقول :

ـ لو أننى طاوعت مشاعرى ، لأطلقت النار عليك مباشرة ، ولكن آدميتى تدفعنى للإبقاء عليك .

هتف (كوستا) بعبارات الشكر مرة أخرى ، فأشار إليه (أدهم) ، مستطردًا :

ـ هيّا .. اذهب ، قبل أن أعدل عن رأيى .

انطلق (كوستا) يعدو مرة أخرى ، وهو يهتف بفتاته :

ـ هيّا بنا .. هيّا بنا .

تردّدت الفتاة لحظة ، ثم قالت :

ـ إلى اللقاء أيها الوسيم .. حاول أن تأتى مرة أخرى .

ثم انطلقت تعدو خلف (كوستا) ، تاركة (أدهم) خلفها ، يعيد دراسة الموقف كله فى ذهنه ثانية ..

إذن فقد أزاح الإسرائيليون الفريق الأمريكى من اللعبة ، ونجحت (راشيل) فى قتل (بابيوس) ، وحرق صور الوثائق الأصلية ..

هكذا يكون الإسرائيليون قد قضوا على كل أثر لوثائقهم ، فيما عدا الأثر الأكبر .. (الميكروفيلم) ..

وفى هدوء ، أخرج (أدهم) المفتاح من جيبه ، وألقى عليه نظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ إذن فقد أصبحت الدليل الوحيد ، الذى يمكن أن يقودنا إلى (الميكروفيلم) .. ولكن تُرى إلى أية جهة تنتمى ؟!

وبقى سؤاله معلقًا فى الهواء طويلًا ..

وبلا جواب ..

★ ★ ★

« مستحيل !!.. »

صرخ مدير المخابرات المركزية الأمريكية بالكلمة ، وهو يكاد يعتصر سمّاعة هاتفه السرى الخاص بأصابعه ، قبل أن يستطرد فى حدة :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!.. أخشى أن تكون أننى قد أصبت بعطب مّا .. أعد على مسامعى ما قلته الآن .

أجابه مندوب المخابرات فى (أثينا) :

ـ ما سمعته صحيح يا سيّدى .. (راشيل جولدمان) قتلت (أرنولد) و (ليزلى) ، فى بار صغير هنا .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، ثم عادا ينعقدان فى غضب ، وهو يقول :

ـ أى قول هذا ؟!.. لقد وصلنى تقرير من السفير عندك ، منذ دقائق معدودة ، يقول فيه : إن (أرنولد) و (ليزلى) قتلا (راشيل) و (ناحوم) بالفعل .

قال الرجل ، فى توتر :

ـ خدعنا (أرنولد) يا سيادة المدير ، وكان يتوقع الظفر بهما ، قبل أن نمنعه من مواصلة العملية الثأرية ، ولكن (راشيل) اللعينة خدعته مع (ليزلى) ، وقتلتهما بلا رحمة .

امتلأت نفس المدير بغضب هادر ، وهو يغمغم :

ـ اللعنة .. اللعنة .

وسمع صوت المندوب ، يسأله عبر أسلاك الهاتف :

ـ ماذا سنفعل يا سيادة المدير ؟

أجابه ، فى حزم :

ـ امنحنى نصف ساعة فحسب ، وسأتصل بك ، وأبلغك أوامرى .

وأنهى الاتصال ، ثم ضغط زر جهاز خاص على مكتبه ، وقال :

ـ ارسل لى المندوب الإسرائيلى على الفور .

ثم عضّ شفتيه فى غضب ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ كان ينبغى أن أصدّق ما قالوه عن هؤلاء الإسرائيليين ، من أنهم لا يقيمون وزنًا قط لأية أعراف أو أخلاقيات ، عندما يتعلق الأمر بمصالحهم الخاصة .

زفر فى توتر عصبى ، وراح يتحرّك فى حجرته فى حنق ، حتى

سمع صوت طرقات على باب حجرته ، فالتفت إلى الباب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ ادخل .

واستقبل المندوب الإسرائيلى بنظرة صارمة ، جعلت هذا الأخير يسأله ، فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيادة المدير ؟

قال المدير :

ـ أنت تعلم طبعًا أننى اقتنعت بحديثك ، حول ضرورة أن ننبذ خلافاتنا ، فى الوقت الحالى على الأقل ، وأن نتعاون لمنع المصريين من التفوق علينا ، وأننى أصدرت أوامرى ، بناء على هذا ، بمنع أية عمليات ثأرية بين فريقينا .. أليس كذلك ؟

أجابه الإسرائيلى ، فى قلق :

ـ بلى يا سيادة المدير .. وكان هذا عطفًا وحكمة منك ، فى مثل هذه الظروف .. ولكن ما العيب فى الموقف ؟

ازدادت نظرة المدير صرامة وغضبًا ، وهو يقول :

ـ العيب هو أنكم رفضتم الالتزام بهذا أيها الإسرائيليون ، وانتهزتم فرصة الهدنة ، التى وافقنا عليها ، وقتلتم اثنين من أفضل عملائنا فى (أوروبا) .

هتف الرجل ، فى دهشة حقيقية :

ـ ماذا ؟!.. عن أى شىء تتحدث يا سيادة المدير ؟

صاح المدير ، فى وجهه :

ـ عميلتكم اللعينة (راشيل جولدمان) قتلت (أرنولد) و (ليزلى) .

تراجع الإسرائيلي مصعوقًا ، وهتف :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن تفعل (راشيل) هذا .

ثم استدرك في سرعة :

ـ إلا إذا .

سأله المدير في حدة :

ـ إلا إذا ماذا ؟

أجابه الإسرائيلي ، في شيء من الحزم :

ـ إلا إذا كان هذا دفاعًا عن النفس .

بدت الفكرة منطقية للغاية ، بالنسبة لمدير المخابرات الأمريكية ، وخاصة وهو يعلم أن عميليه تجاوزا الأوامر ، وسعيا لقتل الإسرائيليين بالفعل ، ولكن أبى أن يعترف بفشلهما في هذا ، وصاح :

ـ محال .. رجالي لا يتجاوزون الأوامر قط .

قال الإسرائيلي ، في حذر :

ـ هذا يحتاج إلى تحقيق عادل يا سيادة المدير .

أجابه المدير ، في صرامة :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ والآن عد إلى مكتبك ، ودعني أدرس الأمر وحدي .

غادر الإسرائيلي المكتب ، والقلق يعصف بنفسه ، في حين جلس المدير على مقعده المفضّل ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وفرد سبّابتيه ، ليداعب إحداهما بالأخرى ، وهو يفكّر في عمق ، قبل أن يغمغم :

ـ فليكن .. لا بد من تلقين الإسرائيليين درسًا قاسيًا ، حتى لا يتكرّر هذا الموقف قط .

ثم نهض إلى هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا قصيرًا ، قبل أن يقول :

ـ اسمعني جيدا يا (شولترز) .. أرسل فرقة إعدام فورًا إلى (أثينا) ، مع كل المعدات والمصروفات اللازمة .. نعم .. سيقومون بعملية اغتيال مباشرة .. كلّا .. ليس رجلًا .. إنه امرأة .. سيعدمون امرأة يهودية تُدعى (راشيل) .

وانعقد حاجباه في صرامة ، وهو يستطرد :

ـ (راشيل جولدمان) ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (راشيل) ، في مزيج من الغضب والدهشة ، وهي تستمع إلى مندوب خاص ، يعمل لحساب (الموساد) في (أثينا) ، ثم هتفت في حنق :

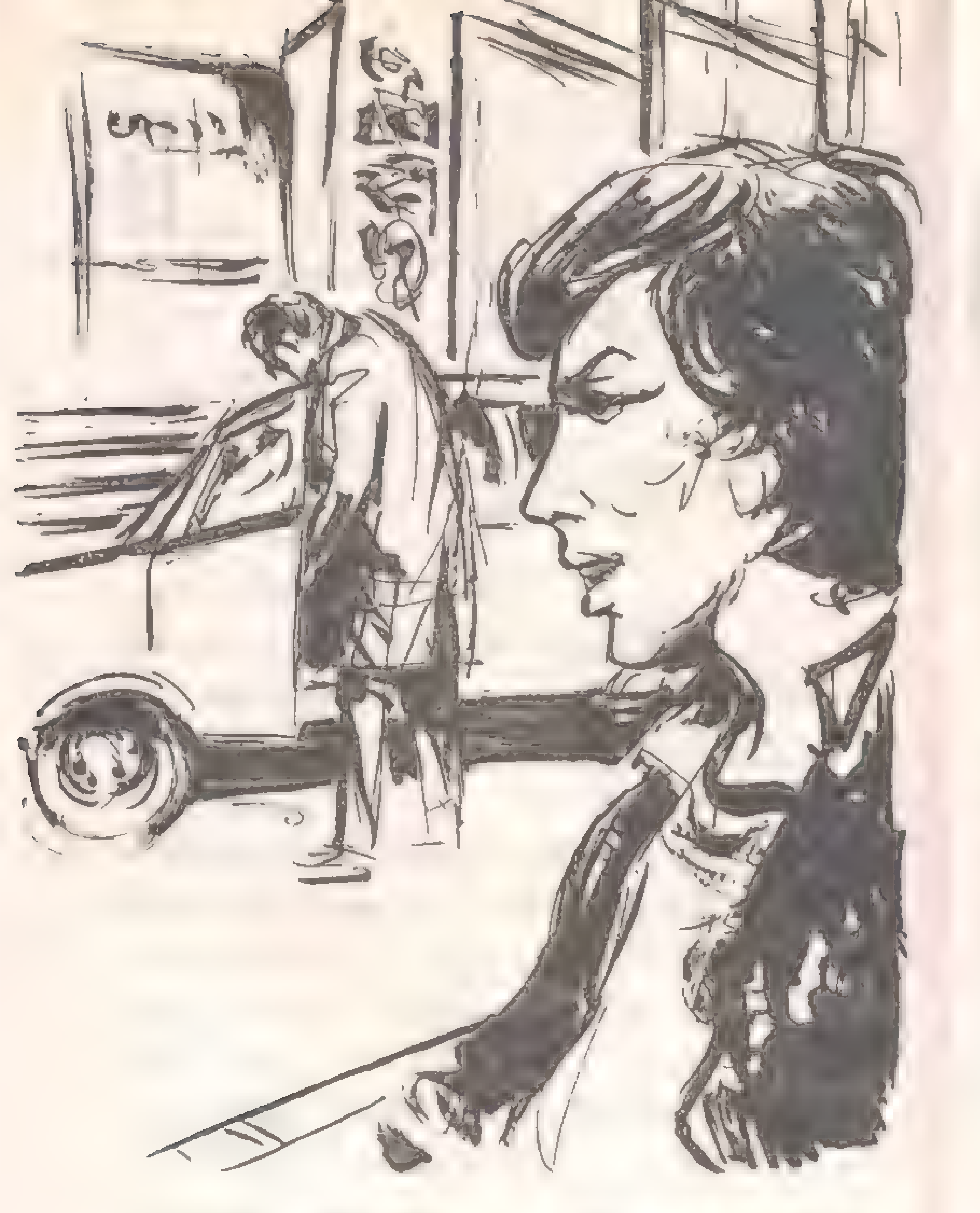
ـ فرقة إعدام للتخلّص مني أنا ؟.. من أبلغك هذه المعلومة ؟

أجابها في اهتمام واضح :

ـ إنها رسالة عاجلة ، وردت بالفاكس من (واشنطن) مباشرة ، ومندوبنا هناك يقول إن فرقة الإعدام غادرت (أمريكا) بالفعل ، في طريقها إلى هنا ، والأوامر تحتم عليك العودة إلى (إسرائيل) ، في أقرب وقت ممكن .

قالت ، في حدة :

ـ ولكن المهمة لم تنته بعد .



حتى وقع بصرها على (مجدى) ، وهو يغادر أحد الفنادق ويستقل سيارته ..

أجابها ، بسرعة :

- الرؤساء يمنحونك فرصة حتى منتصف الليل ، لإنهاء المهمة ، وبعدها سيكون عليك أن تستقلى طائرة الثانية عشرة والنصف إلى (إسرائيل) مباشرة ، وسيتم إرسال فريق آخر لاستكمال العمل .

قالت فى غضب :

- لن يتم أحدهم عملى قط .. هذا يعنى أننى فشلت فى مهمتى .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

- استغلى المهلة إذن .

قالها واستقلّ سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، لا يلوى على شىء ، وتركها خلفه غاضبة محنقة ، وهى تغمغم :

- يا للأوغاد !.. الجميع يتمنون فشلى ، ولكننى لن أمنحهم الفرصة لهذا .. ولكن ماذا أفعل ؟!.. لقد تسرَّع (ناحوم) الحقير ، وقتل (بابيوس) ، قبل أن يخبرنى أين أجد (الميكروفيلم) ، وكل ما لدى مجرَّد وصف للمفتاح ، بلا أرقام محدودة ، أو جهةٍ ينتمى إليها ، ولا يمكننى العثور على (أدهم صبرى) ، الذى استولى على المفتاح الحقيقى .

وضربت قبضتها فى راحتها ، مستطردة :

- آه .. لو أعثر عليه ، أو على أى طرف خيط ، يمكن أن يقودنى إليه الآن .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى وقع بصرها على (مجدى) ، وهو يغادر أحد الفنادق ، ويستقل سيارته ، فهتفت :

- آه .. ها هو ذا طرف الخيط .

قفزت داخل سيارتها ، وانطلقت خلفه فى مهارة ، حتى لا يشعر بتتبعها له ..

كانت واثقة من أنه يقوم بعمل ما ، يرتبط بذلك المفتاح الغامض ، لذا فقد تتبعته فى حنكة ، حتى أوقف سيارته أمام أحد الفنادق ، وغادرها إلى الفندق ، وسأل موظف الاستقبال :

- هل يمكننى استئجار خزانة خاصة هنا ؟

أجابه الموظف ، فى احترام :

- بالطبع يا سيدى .. يمكنك هذا ، لو أنك نزيل بالفندق .

سأله فى اهتمام :

- وماذا لو لم أكن نزيلًا بالفندق ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وقال بلهجة مهذبة :

- لا يمكنك استئجار خزانة خاصة ، إلا إذا كنت نزيلًا بالفندق يا سيدى .

سأله (مجدى) :

- وهل يمكننى تسجيل اسمى هنا ، ودفع نفقات الإقامة كأى نزيل ، ثم أستأجر خزانة خاصة ، دون أن أقيم هنا ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

- ليس من الضرورى أن تقيم هنا يا سيدى .

ابتسم (مجدى) بدوره ، وهو يقول :

- آه .. لقد فهمت .. ولكن هل يمكننى الاطمئنان إلى أمن الخزائن الخاصة أولًا ؟

قال الرجل ، فى حماس :

- بالطبع يا سيدى .. بالطبع .. هل ترغب فى رؤية حجرة الخزائن ؟

هز (مجدى) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل أرغب فى رؤية مفتاح الخزائن .

انحنى الرجل يلتقط أحد المفاتيح ، من درج خاص ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيدى .. هذا حقك .

ألقى (مجدى) نظرة فاحصة على المفتاح ، ولكنه لم يكن يشبه ذلك الذى رآه مع (أدهم) فى الحجم أو فى الشكل ، فسأل الرجل :

- أهذا هو الشكل الوحيد للمفاتيح هنا ؟

أجابه الرجل :

- نعم .. وهو يحمل شعار الفندق .

هز (مجدى) كتفيه ، وقال :

- إنه لا يروق لى .

ثم أعاده للرجل ، الذى أصابته الدهشة ، عندما رآه ينصرف مباشرة ، فغمغم مبهوتًا :

- ماذا أصاب القوم ، فى هذه المدينة المجنونة ؟

أما (مجدى) ، فقد غادر الفندق ، وهو يفكر فى كل المفاتيح ، التى رآها طوال الساعتين السابقتين ..

كانت كلها أنيقة جيدة الصنع ، ولكن واحدًا منها لم يشبه قط ذلك المفتاح ، الذى رآه مع (أدهم) ..

وفجأة ، وقبل أن يفتح باب سيارته ، شعر بفوهة مسدس تلتصق بظهره ، وسمع صوت (راشيل) ، وهى تقول فى صرامة :

- ادخل .

ودفعته داخل السيارة فى غلظة ، ثم ألقت جسدها على المقعد الخلفى ، وألصقت فوهة المسدس بمؤخرة عنقه ، مستطردة :

ـ هيّا .. انطلق من هنا ، فلدى حديث طويل معك .

انطلق بالسيارة فى توتر ، وعقله يسترجع كل ما قرأه فى ملف (راشيل) ، عن ساديتها وعنفها ، وشغفها الدائم بإراقة الدماء وسفكها ، وقال :

ـ إلى أين ؟

أجابه بلهجة تجمع ما بين السخرية والقسوة :

ـ إلى حيث لا يمكن أن يقاطعنا أحد .

وكان هذا يعنى أنها ترتب لأمر غامض ..

أو قاتل .

* * *



١٨ ـ المتوحشة ..

بدا الاهتمام واضحًا على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يستقبل أحد معاونيه فى مكتبه ، وسأله فور دخوله :

ـ هل من جديد ؟

أجابه معاونه :

ـ سيادة العقيد (أدهم صبرى) أرسل برقية من (أثينا) يا سيّدى .

قال المدير :

ـ عظيم ، هل انتهيتم من حل شفرتها ؟

ناوله معاونه مظروفًا مغلقًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيادة المدير ، وها هى ذى .

التقط المدير المظروف ، وفضه بسرعة ، وقرأ برقية (أدهم) فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ الموقف ليس جيدًا على الإطلاق ، فالإسرائيليون نجحوا فى تدمير وثائقهم ، وكل من ارتبط بها تقريبًا ، وانتصروا فى حربهم غير المعلنة مع الأمريكيين ، وقاموا بتصفية الفريق الأمريكى كله ، وهذا يعنى أنهم متفوقون كثيرًا ، حتى هذه اللحظة .

سأله معاونه ، فى دهشة :

ـ ما الذى يفعله سيادة العقيد هناك إذن ؟

أجابه المدير :

- مازال (الميكروفيلم) مفقودًا ، و (أدهم) يسعى للحصول عليه ، ويعتقد أن لديه طرف خيط قوى ، يمكن أن يقوده إليه .

غمغم المعاون :

- أتعشم أن ينجح فى هذا .

مطَّ المدير شفتيه فى قلق ، واتجه إلى خريطة لدولة (اليونان) ، فردها على مكتبه ، وقال :

- من الواضح أن الإسرائيليين يتعاملون بشراسة كبيرة ، فى هذه المرة بالذات ، وهذا يعنى أن تلك الوثائق تمثل بالنسبة لهم خطورة كبيرة ، ومن المؤكد أنهم يعلمون أيضًا أن (الميكروفيلم) ما يزال مفقودًا ، ومعنى هذا أن شراستهم ستتضاعف بشدة ، فى المرحلة القادمة ، حتى يمكنهم استعادته .

قال معاونه :

- هذا صحيح يا سيدى ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم تستغرق تلك المرحلة القادمه ؟.. ومتى تنتهى .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقول :

- بل السؤال الحقيقى هو كيف يا رجل .. كيف تنتهى ؟

قالها ونفسه تحمل قلقًا كبيرًا هذه المرة ..

كبيرًا للغاية ..

★ ★ ★

أوقف (مجدى) سيارته فى تلك المنطقة المنعزلة ، على أطراف (أثينا) ، وسأل (راشيل) فى عصبية :

- والآن ماذا ؟

أجابته فى شراسة :

- والآن ستخبرنى كل ما تعرفه عن ذلك المفتاح .

عقد حاجبيه ، وتوتر فى شدة ، وهو يقول :

- أى مفتاح هذا الذى تتحدثين عنه ؟

أجابته فى صرامة :

- المفتاح الذى تبحث عنه طوال الوقت ، والذى جعلك تتظاهر بالرغبة فى استئجار خزانة ، فى أماكن شتى ، حتى تتوصل إلى معرفة المكان ، الذى ينتمى إليه .

قال فى خشونة :

- فكرة طريفة .. تصلح لفيلم سينمائى من الدرجة الثانية .

قالت فى حدة :

- بل فكرة حقيقية أيها المراوغ .. فكرة جعلتنى أطمئن كثيرًا ، وأستعيد الأمل فى أن نربح اللعبة ؛ فأنا أعلم أن (ادهم) عثر على مفتاح ما فى منزل (بابيوس) ، ولكن بحثك هذا يطمئننى إلى أنه لم يعثر على المكان ، الذى يمكن أن يفتحه هذا المفتاح ، والذى يحوى نسخة (الميكروفيلم) الوحيدة .

ازدرد (مجدى) لعابه ، وهو يقول فى توتر :

- وهل تتوقعين أن أخبرك بأى شىء ؟

ابتسمت فى شراسة ، وهى تقول :

- لقد أخبرونى الكثير عنكم أيها المصريون .. يقولون : إن الواحد منكم يفضل الموت ، عن البوح بأسرار الجهاز .

قال ، وعقله يفكر فى سرعة :

- طريف منك أن تعلمى هذا .

ولكن ذراعها أحاطت بعنقه بغتة ، وهى تقول فى صرامة :
ـ ولكنك لم تجرِّب وسائلى بعد .
أمسك (مجدى) ذراعها فى قوة ، وهى تضغط عنقه ، هاتفة :
ـ فالمشكلة لا تكمن فى الموت ، ولكن فى الوسيلة التى تقود إليه .
كانت ذراعها تؤلمه فى شدة ، ولكنه راح يقاومها فى استماتة ، وهى تستطرد فى شراسة :
ـ هيّا يا رجل المخابرات المصرى .. أخبرنى ما لديك ، وسأقتلك بوسيلة رحيمة .. سأكتفى بإطلاق النار على رأسك ، ولن أخنقك هكذا حتى الموت .
مدَّ (مجدى) ذراعه إلى الأمام ، وعيناه تجحظان من الألم ، وجذب الذراع المسئولة عن حركة مقعده ، ثم دفع قدميه بين الدوَّاسات أمامه ، والدفع بجسده ومقعده إلى الخلف فى عنف ..
وكان هذا الإجراء مناسبًا للغاية ، فقد ارتطم المقعد بـ (راشيل) فى قوة ، ودفعها إلى الخلف فى عنف ، فارتطمت بالاريكة الخلفية ، وتراخت ذراعها حول عنق (مجدى) لحظة ، فدفع هذا الأخير كفيه بين عنقه وذراع (راشيل) ، ثم فردهما فى قوة ، فأزاح الذراع ، وانزلق على مقعده ، قبل أن يقفز خارج السيارة فى خفة .
وصرخت (راشيل) ، وهى تنتزع مسدسها :
ـ لن تفلت منى .
كانت قد جرَّدته من مسدسه ، قبل أن يصلا إلى تلك المنطقة ، فلم يجد أمامه سوى أن يعدو مبتعدًا ، وهى تطلق رصاصات مسدسها

خلفه ، وشعر بالرصاصات تتناثر حول قدميه ، ثم توقَّف إطلاق النار لحظة ، ولكنه لم يتوقَّف عن الجرى ، فقد أدرك على الفور سر توقُّف النيران ..
لقد كانت (راشيل) تصوِّب مسدسها نحوه فى إحكام ..
وفى حسم ، ضغطت زناد المسدس ..
وانطلقت الرصاصة ..
واخترقت كتف (مجدى) ...
وفى ألم ، شهق (مجدى) ، وأمسك كتفه المصابة ، ولكنه لم يتوقَّف عن الجرى ، فصوَّبت (راشيل) مسدسها إليه مرة أخرى ، وغمغمت :
ـ هيّا .. واصل جريك أيها المصرى ، وسيسير كل شىء على ما يرام .
وانطلقت رصاصتها الثانية ، وأصابته فى ساقه اليمنى ، فسقط أرضًا، وتدحرج جسده لحظة ، ثم هبّ واقفًا ، وعاود الجرى ، متجهًا نحو الطريق المضاد ..
وفى هذه المرة ، لم تصوِّب إليه مسدسها ..
لقد وقفت صامتة تمامًا ، تراقبه فى هدوء ، وكأن شيئًا فى الدنيا لم يعد يعنيها ..
حتى المهمة نفسها ..
وكان هذا تصرفًا عجيبًا ، عن امرأة مثل (راشيل جولدمان) ..
عجيبًا للغاية ..

* * *

شعر (أدهم) بالقلق ، وهو يتطلّع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى السابعة والنصف مساءً ، وغمغم وهو يدور فى ردهة المنزل الآمن :

ـ لماذا تأخر (مجدى) ؟.. كان المفروض أن نلتقى هنا فى تمام السابعة ، لنتبادل المعلومات ، ويقدم لى تقريره ، عما أسندته إليه من عمل .

صمت لحظة ، ثم التقط سترته ، وقال فى حزم :

ـ هذا لا يوحى بالخير أبدًا .

كان يتجه إلى باب الشقة ، عندما ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف سمّاعته فى سرعة ، وقال :

ـ جمعية (أصدقاء الهرم الأكبر) .. من المتحدث ؟

أتاه صوت الدكتور (يورغو) ، وهو يقول :

ـ عندى هنا أحد أعضاء الجمعية ، وهو مصاب برصاصتين ، وفقد الكثير من الدماء ، ويطلب رؤية (ن ـ ١) للأهمية .

لم يلق عليه (أدهم) سؤالًا واحدًا ، وإنما أجاب على الفور :

ـ أنا فى طريقى إليك .

ولم يضع لحظة واحدة بعدها ، فقد انطلق بسيارته على الفور ، ولم يتوقّف إلا أمام البناية ، التى يعمل ويقيم فيها الدكتور (يورغو) ، ولم تمض دقائق ، حتى كان يدق باب عيادته ، ففتح الدكتور (يورغو) الباب ، وأشار إليه بالدخول ، قائلًا :

ـ تعال .. إنه فى انتظارك .

اندفع (أدهم) إلى حجرة الإسعافات ، وهتف بـ (مجدى) :

ـ عزيزى (مجدى) .. ماذا حدث ؟

حاول (مجدى) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ تنكار من (راشيل جولدمان) .

وقصّ على (أدهم) كل ما دار بينه وبين (راشيل) ، واستمع إليه (أدهم) فى اهتمام شديد ، ثم غمغم :

ـ إذن فـ (راشيل) تعلم بأمر المفتاح .

أجابه (مجدى) :

ـ نعم يا سيادة العقيد ، ولكنها مثلنا ، تجهل أى مفتاح هذا .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، ونهض من مقعده ، واتجه إلى نافذة الحجرة ، ووقف يتطلّع عبرها بضع دقائق ، وهو يفكّر فى عمق ، فسأله (مجدى) :

ـ فيم تفكّر يا سيادة العقيد ؟

أجابه (أدهم) ، فى خفوت :

ـ فى أمور شتى .

ثم التفت إليه ، يسأله :

ـ هل صوّبت (راشيل) مسدسها نحوك ؟

أومأ (مجدى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. مرتين .

سأله (أدهم) :

ـ وماذا فعلت أنت بعدها ؟.. هل اختبأت خلف جذع شجرة مثلًا ، أو عثرت على سيارة ؟

هزّ (مجدى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. لقد واصلت الجرى ، ولم أعثر على سيارة ، يقبل صاحبها توصيلى ، مع كل إصاباتى ، إلا بعد نصف ساعة كاملة .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ـ هذا أمر طبيعى .

واستدار مرة أخرى يتطلّع عبر النافذة ، قبل أن يهز رأسه ، قائلًا :

ـ فليكن .. سأواصل أنا عملية البحث .

أجابه (مجدى) :

ـ لن تبذل جهدًا كبيرًا يا سيادة العقيد ، فلم يعد فى قائمتى سوى فندق واحد ، وشركتين من شركات الخزائن الخاصة ، لم أبحث فيها بعد .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ لقد أحسنت عملك .. سآخذ القائمة ، وأكمل العمل .

ثم التفت إلى الدكتور (بورغو) ، وقال :

ـ اعتن به جيدًا .

والتقط القائمة ، ثم غادر عيادة (بورغو) ، وهبط ليستقلّ سيارته ، وذهنه يعيد دراسة الموقف كله ..

لماذا أخطأت (راشيل) إصابة (مجدى) ؟!..

كانت المعلومات ، التى استقاها من ملفها بالمخابرات المصرية ، تؤكّد مهارتها المدهشة فى إصابة الهدف ، فكيف فشلت هذه المرة ؟!..

وعلى الرغم من أنه قلب الأمر على كل الوجوه ، إلا أنه لم يكد

يستقر داخل سيارته ، حتى كان ذهنه قد انتخب من كل الاحتمالات تفسيرًا واحدًا لا غير ..

لقد فعلت (راشيل) هذا عمدًا ..

فعلته لتمنح (مجدى) فرصة للفرار ..

ولكن هذا التفسير يطرح سؤالًا آخر بشكل مباشر ..

لماذا ؟!..

لماذا تفعل (راشيل) هذا ؟

لم يكد يطرح السؤال على نفسه ، حتى أتاه الجواب على نحو مباشر وعنيف ، فى شكل فوهة مسدس باردة كالثلج ، التصقت بمؤخرة عنقه بغتة ، مصحوبة بصوت (راشيل) ، وهى تقول فى مزيج عجيب من السخرية والشماتة والتوتر :

ـ أخيرًا التقينا وحدنا يا عزيزى (أدهم) .

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

على الرغم من ذلك الغضب ، الذى ملأ نفس (أدهم) ، وانتشر فى جسده ، وجرى فى عروقه مجرى الدم ، لأن (راشيل) نجحت فى خداعه ، وباغتته داخل سيارته ، إلا أن ملامحه ظلّت هادئة للغاية ، وحملت ابتسامته الكثير من السخرية ، وهو يقول :

ـ كم يسعدنى أن ألتقى بك وحدنا يا عزيزتى (راشيل) ، لكن .. يا للخسارة !.. إننى مرتبط بموعد آخر اليوم .. هل يمكننا أن نؤجّل لقاءنا إلى الغد ؟

قالت ، فى حدة :

ـ لا يوجد غد يا (أدهم) .. ستنتهى العملية الليلة ، وأستعيد (الميكروفيلم) ، وأعود بطائرة منتصف الليل إلى (إسرائيل) .

هتف ساخرًا :

ـ عظيم .. لا تنسى إرسال الخطابات من هناك .

انعقد حاجباها فى غضب رهيب ، ودفعت المسدس فى مؤخرة عنقه أكثر ، وهى تقول فى شراسة :

ـ اخرس أو أطلق النار عليك .

قال متهكمًا :

ـ ولماذا لا تفعلين ؟.. إننى أنتظر بفارغ الصبر .

عضت شفتها السفلى فى حنق ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فاستطرد بلهجة جادة هذه المرة :

ـ دعينى أخبرك أنا لماذا لا تفعلين .. لأنك تخشين أن تقتلينى ، فيضيع منك المفتاح إلى الأبد .. أليس كذلك ؟

سألته ، فى صرامة :

ـ أين المفتاح ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ فى مكان ما .

سألته محتدة :

ـ أى مكان ؟

ابتسم ساخرًا ، وهو يقول :

ـ فى أحراش (كينيا) .. ألديك وقت للذهاب إلى هناك ؟

صرخت ثائرة ، وهى ترفع مسدسها ، لتهوى به على عنقه :

ـ أين المفتاح أيها اللعين ؟

وكان هذا أفضل ما يمكن أن يحلم به (أدهم) ..

أن تبعد فوهة مسدسها عن عنقه ..

وفى سرعة مدهشة ، انثنى وسطه ، ودار النصف العلوى من جسده ، فى مرونة رائعة ، وأمسك معصمها ، وهو يقول :

ـ أخطأت يا عزيزتى (راشيل) .

ثم لوى المعصم فى عنف ، فانفلت المسدس من بين أصابعها ، وسقط على المقعد المجاور لـ (أدهم) ، وهى تصرخ :

ـ لا .

ثم وثبت محاولة التقاط المسدس ، ولكن (أدهم) ضربه بيده فى مهارة ، فألقاه خارج السيارة ، وهو يقول :

ـ العبث بالأسلحة النارية محظور .

وهنا أحاطت عنقه بذراعها القوية ، وهى تهتف فى ثورة :

ـ ومن يحتاج إلى الأسلحة النارية ؟

كانت ذراعها اليسرى تحيط بعنقه ، فى حين تقبض يدها اليمنى على معصم يدها اليسرى ، وتجذبه بكل قوتها ؛ لتعتصر عنق (أدهم) ..

وشعر (أدهم) بقوة ضغطها على عنقه ..

وكانت قوية بالفعل ..

وفى وحشية سادية عجيبة ، برقت عينا (راشيل) ، وراح جسدها يرتجف فى انفعال ، وهى تصرخ :

ـ سأقتلك يا (أدهم) .. سيخلدنى التاريخ ، باعتبارى المرأة التى قضت على أسطورة المخابرات .

قال (أدهم) ، بصوت مختنق :

ـ أعترف أنك قوية يا (راشيل) .

ثم دارت يده خلف ظهره ، وقبض على عنقها ، وهو يستطرد :

ـ ولكن ليس بالقدر الكافى .

اتسعت عيناها فى ذهول ، عندما بدا لها وكأن ونشا ضخما انتزعها من مكانها ، وعبر بها فراغ السيارة ، قبل أن يضرب زجاجها الأمامى بجسدها فى قوة رهيبة ..

وانتزع جسد (راشيل) زجاج السيارة الأمامى فى عنف ، وسقط فوق المقدمة ، وتدحرج ليسقط على الأرض ، وصوت (أدهم) يلاحقه قائلا فى سخرية :

ـ هل فهمت ما أعنيه ؟

قفزت واقفة على قدميها فى غضب ، فى نفس اللحظة التى غادر هو فيها السيارة فى هدوء ، وقال :

ـ هيا يا عزيزتى (راشيل) .. دعينا ننبذ تلك الخلافات السخيفة ، ونتعامل مع الأمر بشكل واقعى .

وثبت نحوه ، لتركله فى صدره ، هاتفة :

ـ أنا أتعامل بشكل واقعى .

تفادى الوثبة بقفزة جانبية ماهرة ، وهو يقول :

ـ أى واقع هذا ؟

حاولت أن تضربه فى عنقه ، صائحة :

ـ واقعى أنا .

تفادى ضربة العنق بسرعة ، ولكنها قفزت فى اللحظة نفسها وركلته فى معدته ، فتراجع لحظة ، ثم هتف ساخرًا :

ـ مرحى يا عزيزتى (راشيل) .. أخيرًا تعلمت وسائل القتال الجيدة .

أجابته وهى تلوّح بقبضتيها ، فى غضب :

ـ إننى أتعلمها منذ نعومة أظفارى يا رجل .

هتف ساخرًا :

ـ ربّاه !.. هل تعنين أنها كانت ناعمة يومًا .

صرخت فى غضب ، وانقضت عليه ، وحاولت أن تركله أو تضربه ، ولكنه قفز جانبًا بحركة سريعة ، وهو يضحك قائلًا :

ـ رويدك يا عزيزتى (راشيل) ، ستنضب طاقتك بسرعة .

قبل أن تكتمل عبارته ، ومع قفزته القوية ، برقت عينا (راشيل) فى شدة ، عندما رأت المفتاح يسقط من جيبه ، ويستقر على الأرض ..

وفى نفس اللحظة ، ارتطمت قدمها بمسدسها ، الذى ألقاه (أدهم) عبر النافذة .

ولم يكن هناك مجال للتفكير ..

لقد انحنت بسرعة ، والتقطت مسدسها ، وصرخت :

ـ خسرت يا (أدهم) ..

وانطلقت رصاصاتها الغاضبة ..

★ ★ ★

١٩ ـ الخـدعة ..

انهمكت فتاة البار فى طلاء أظفارها ، داخل حجرة فندق بسيطة ، وبدا من ملامحها الهادئة اللامبالية ، أنها نسيت كل ما يتعلق بأحداث البار ، من عنف وقتل ، وعلى قيد متر واحد منها ، رقد (كوستا) بجسده الضخم فوق فراش متوسط ، امتلأ به تماما ، وهو يطلق شخيرًا مزعجًا ، لم تعره الفتاة أدنى اهتمام ، وكأنما اعتادته منذ زمن طويل ..

وفجأة ، هبّ (كوستا) من رقاده ، وهتف :

ـ يا للشيطان !

قفزت الفتاة من مكانها مذعورة .. وارتطمت أصابعها بزجاجة الطلاء ، فانسكبت أمامها ، وجعلتها تهتف غاضبة :

ـ انظر ماذا فعلت ؟

لم يبد عليه أدنى اهتمام بما حدث ، وهو يقول لنفسه فى انفعال :

ـ كيف نسيت هذا ؟.. إننى أعرفه .. أعرفه بالتأكيد .

سألته الفتاة فى حنق ، وهى تحاول إنقاذ ما تبقى من الطلاء :

ـ تعرف ماذا ؟

هتف :

ـ المفتاح .. أنا أعرف هذه المفاتيح جيدًا ، فقد كنت أستخدمها قديمًا .

سألته ، فى حيرة :

ـ أية مفاتيح ؟

أجابها وهو يلوّح بكفيه ، فى حماس :

ـ المفاتيح ذات الحلقة الصفراء ، والأرقام الخضراء .. أنا أعرف أين نجد الصناديق ، التى تستخدم مفاتيح كهذه .

بدت أشد حيرة ، وهى تقول :

ـ وبم يفيدنا هذا ؟.. نحن لا نمتلك المفتاح ، ولا نعرف رقمه .

نهض من الفراش ، قائلًا فى لهفة :

ـ ولكن هناك من لا يتردّد فى دفع ثروة ، مقابل معلومة كهذه .

سألته :

ـ مثل من ؟

برقت عيناه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ الإسرائيليون مثلًا .

اتسعت عيناها فى رعب شديد ، وصرخت مذعورة :

ـ ثانية ؟!

هتف وهو يرتدى ملابسه :

ـ ومن غيرهم .. إنها وثائقهم ، ولا أحد يمكنه تقدير قيمتها مثلهم .

صاحت ، فى ارتياع :

ـ بالطبع ، ولهذا لن يتورّعوا عن قتلنا ، بعد الحصول عليها .

قال فى حدة :

ـ لن يفعلوا بالتأكيد .. إننا نقدّم لهم خدمة .

تطلعت إليه غير مصدقة ، قبل أن تهتف :

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟.. هل نسيت ما فعلته تلك المتوحشة فى البار .

لوّح بيده ، وقال :

ـ لن نتحدث مع متوحشات .. سنتفاوض مع المسئولين مباشرة .

قالت فى دهشة :

ـ أى مسئولين ؟

توقف لحظة ، ثم هز كتفيه ، قائلًا :

ـ السفير الإسرائيلى مثلًا .

رمقته بنظرة أكثر دهشة ، وهى ترتد :

ـ السفير الإسرائيلى ؟!.. وهل تعتقد أن السفير الإسرائيلى سيقبل أن يلتقى بك ، فى مثل هذا الوقت ؟!

ابتسم ، قائلًا :

ـ هنا تكمن المهارة ، فالمفروض أن أقنعه بمقابلتى .

هزت رأسها فى قوة ، وهى تقول :

ـ أشعر بالخوف ، من مجرد التفكير فى هذا .

قال ، فى ازدراء :

ـ هذا طابع الجبناء .. أما الشجعان أمثالى ، فلهم أساليب أخرى .

رفعت أحد حاجبيها ، قائلة فى سخرية :

ـ الشجعان أمثالك .

صاح بها فى غضب :

ـ نعم .. الشجعان أمثالى .. سترين ما سيفعله (كوستا زافيروس) .. سأعود إليك بثروة .. انتظرينى ، وسترين .

وغادر الحجرة وجسده يكتظ بشىء آخر ، بخلاف الشحم واللحم .. بالأحلام ..

أحلام الثراء الوردية ..

* * *

لم تكد (راشيل) تصوّب مسدسها نحو (أدهم) ، حتى وثب هذا الأخير إلى الخلف ، وقفز جانبًا ، ليتفادى الرصاصات التى أطلقتها عليه مباشرة ، ثم دار حول جدار قريب ، ليحتمى به من رصاصاتها ، التى أثارت موجة هائلة من الذعر فى المكان ..

ولكنه كان يشعر بالدهشة فى الواقع ، فلماذا تطلق (راشيل) النار عليه مباشرة ، على الرغم من أنها لم تحصل على المفتاح بعد ..

ولكن فجأة ، لمح المفتاح ..

لمحه و (راشيل) تعدو نحوه ، وتختطفه من الأرض ، ثم تواصل إطلاق النار ، وهى تتراجع نحو السيارة ، صارخة :

ـ الوداع يا (أدهم صبرى) .. لقد حصلت على ما أبتغى .

وفى ثانية واحدة ، كانت قد أدارت محرك السيارة ، وانطلقت بها مسرعة ..

ولم يضع (أدهم) ثانية أخرى ..

لقد غادر مكمنه ، وانطلق يعدو خلف السيارة بكل قوته ، ولكن (راشيل) لمحته فى المرآة ، فهتفت ساخرة :

ـ على قدميك .. يا للسخافة !.. ليست لديك فرصة واحدة فى الفوز بسباق كهذا يا (أدهم) .

وانحرفت بسيارتها فى أول شارع جانبى ، وانطلقت فيه ، وهى

تطلق ضحكة ساخرة قوية ، وألقت نظرة أخرى على المرآة ، قبل أن تغمغم :

- اختفى تمامًا .. كان ينبغى أن يدرك استحالة هذا .

ولكن (أدهم) لم يستسلم للموقف ..

كان يعلم جيدًا أن حصول (راشيل) على المفتاح ، يعنى أنه خسر هذه العملية تمامًا ، وعجز عن الحصول على وثائق (الموساد) ..

ولم يكن من السهل عليه أن يقبل هذا ..

وفى سرعة ، ودون أن يتوقف لحظة عن الجرى بكل قوته ، استعاد عقله خريطة (أثينا) ، التى حفظها عن ظهر قلب ، فى أثناء رحلته بالطائرة ، من (القاهرة) إلى هنا ، ورسم شوارعها وطرقاتها الرئيسية والجانبية ، ثم بدأ يضع خطته ..

ولم يعد (أدهم صبرى) هذا الذى يقطع شوارع (أثينا) بهذه السرعة ..

لقد صار مجرد آلة للجرى ، لا يمكنها أن تتوقف قط ، قبل أن تبلغ هدفها ..

ولم يوقفه شىء على الإطلاق ..

كان يتجاوز المارة ، ويقفز فوق الحواجز ، ويعبر إشارات الطريق المغلقة ، ويثب فوق مقدمة سيارة ، أو عربة حلوى ، أو حتى طفل صغير ، لو أن أحدهم اعترض طريقه بغتة ..

أما (راشيل) ، فقد تملكتها نشوة عجيبة ، وهى تنطلق بالسيارة ، بعد أن حصلت على المفتاح ..

كانت عقارب ساعتها تشير إلى التاسعة ، وهذا يعنى أنه ما زالت

أمامها ثلاث ساعات ، لتستعيد (الميكروفيلم) ، وتضع النهاية المناسبة للعملية .

النهاية الظافرة ..

وفى سعادة ، تحسست جيبها ، حيث وضعت المفتاح ، وانحرفت فى شارع آخر ، و ...

وفجأة ، اتسعت عيناها فى ذهول ..

لقد كان هذا (أدهم صبرى) ..

(أدهم) الذى يعدو نحوها بكل قوته ، وكأنه يوشك على الارتطام بها ..

وعلى الرغم من أنها تقود السيارة ، وأنه يجرى على قدميه ، إلا أن ذهولها وذعرها جعلاها تضغط الفرامل بحركة آلية ، فتوقفت السيارة فى عنف ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مزعجًا ، امتزج بشهقات المارة الذاهلة ، عندما وثب (أدهم) بكل قوته ، وعبر فراغ الزجاج الأمامى المكسور للسيارة ، قبل أن يركل (راشيل) فى وجهها ، ويسقط على المقعد المجاور لها ، هاتفًا :

- هل أدهشتك رؤيتى ؟

حاولت أن تقاتله ، وهى تهتف :

- كيف .. كيف فعلت هذا ؟

أجابها ، وهو يمسك معصميها فى قوة :

- طبقت قاعدة رياضية بسيطة ، وهى أن أقرب طريق ، من نقطة إلى أخرى ، هو الخط المستقيم ، ومن المضحك أنك تستطيعين تطبيق هذه القاعدة ، عندما تسيرين على قدميك ، وليس عندما تقودين سيارة ..

صاحت ، محاولة التملص منه :



عندما وثب (أدهم) بكل قوته ، وعبر فراغ الزجاج الأمامى المكسور للسيارة ..

ـ مستحيل !.. أتعنى أنك قطعت المسافة كلها جريًا ؟

أجابها ، ساخرًا :

ـ نعم يا عزيزتى .. وفى خط مستقيم تمامًا ، فى حين كان عليك أن تدورى مسافة طويلة ، التزامًا بخطوط وقواعد سير السيارات .

صرخت ، وهى تضربه بقدمها :

ـ كنت محقة إذن ، فى بغضى للالتزام .

أمسك قدمها ، ثم ضربها بالأرض فى عنف ، وهو يقول :

ـ كراهية الالتزام صفة للتافهين والمراهقين .

صرخت :

ـ لا تصفنى بهذا .. سأقتلك يا (أدهم) .. سأقتلك .

كانت تحاول بلوغ مسدسها ، فقال فى صرامة :

ـ يبدو أننى سأضطر إلى كسر القاعدة يا عزيزتى (راشيل) ؛ فأنا أكره ضرب النساء فى المعتاد ، ولكن ..

وهوى على فكها بلكمة كالقنبلة ، قبل أن يضيف :

ـ للضرورة أحكام .

سقطت على مقعدها فاقدة الوعى ، فدسّ يده فى جيبها بسرعة ، وانتزع منه المفتاح ، وقال آسفًا :

ـ معذرة يا (راشيل) .. صدقينى .. أنا أبغض هذا تمامًا .

ولم تفقد الإسرائيلية وعيها طويلًا ، بل استعادته مباشرة ، بعد دقيقة واحدة أو يزيد ، ولكنها عندما فعلت ، كان (أدهم) قد اختفى مع المفتاح .

اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

قرأ مدير الشرطة اليونانية فى عناية ، تلك المذكرة التى تقدم بها المفتش إليه ، قبل أن يواجهه قائلًا :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. من أشار عليك بكتابة مثل هذا الطلب ؟

أجابه المفتش ، فى حزم :

ـ أنا كتبته ، وأصرّ على كل حرف جاء به يا سيدى .

عقد مدير الشرطة حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أى عبث هذا ؟.. هل تطالبنا بتقديم احتجاج رسمى للسفارة الأمريكية ، حتى يمكننا حفظ النظام والأمن فى (أثينا) ؟

أجابه المفتش :

ـ هذا ما طلبته بالضبط يا سيدى .

تطلع إليه المدير لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول فى غضب :

ـ وما شأننا نحن بالسفارة الأمريكية ؟!.. نحن رجال شرطة يا رجل ، ولسنا سفراء أو وزراء ، ومثل هذه الأمور من اختصاص وزارة الخارجية ، وليس جهاز الشرطة .

أومأ المفتش برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ أعلم هذا يا سيدى ، ولكننى أطالب جهاز الشرطة بتقديم مذكرة لوزارة الخارجية ، لتتقدم بالاحتجاج للسفارة الأمريكية ، وإلا فلن أكون مسئولًا عن حفظ الأمن والنظام هنا .

هتف المدير ، فى حدة :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟.. وما شأن السفارة الأمريكية بنظامنا وأمننا ؟

أجابه فى حنق مباغت :

ـ ما شأنها ؟!.. بل قل ما الذى يفعله غيرها يا سيدى ؟!.. لقد أصبح كل شىء هنا مرتبطًا بالسفارة الأمريكية .. كل مرة يتم فيها إطلاق النار ، فى قلب المدينة ، تجد سيارة أمريكية ، تحمل لوحات دبلوماسية ، ورجالًا يعيدون إلى جيوبهم مسدسات يتصاعد منها الدخان ، على قيد متر واحد من جثث تسيل منها الدماء ، وعندما تلقى سؤالًا واحدًا ، يبرزون جوازات سفرهم الحمراء (*) ، ويعلنون حصاناتهم الدبلوماسية .. ما الذى تريد منى فعله إذن ؟.. هل أحصيت حوادث القتل وإطلاق النيران ، التى حدثت هنا ، فى اليومين الأخيرين ؟!.. ألم يدهشك إطلاق كل هذه الرصاصات ، وإراقة كل هذه الدماء ، فى يومين فحسب ؟.. هل راجعت هذا مع معدلات الجريمة المسجلة سابقًا ؟.. لو أنك فعلت ، فستجد أننا أحصينا من القتلى ، فى يومين فحسب ، ما يفوق حالات القتل المسجلة ، فى الشهرين الماضيين كلهما .

كان يتحدث فى استرسال عصبى ، حتى أن المدير لم يستطع مقاطعته مرة واحدة ، حتى انتهى من حديثه ، فغمغم :

ـ وما تفسير هذا فى رأيك ؟

لوّح المفتش بذراعيه ، قائلًا فى سخط :

ـ لا يوجد سوى تفسير واحد ، وهو أن (أثينا) قد أصبحت فجأة ، ولسبب ما ، مسرحًا لصراع أجهزة المخابرات ، مع بعضها .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

ـ المخابرات ؟!

(*) معظم جوازات السفر الدبلوماسية ذات غلاف أحمر ..

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يفكّر فى توتر ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد عاصرت شيئًا كهذا فى الماضى ، بين المخابرات البريطانية والمخابرات السوفيتية (*) .

ورفع عينيه إليه ، مردفًا فى قلق :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يحدث هذا ثانية ؟

هتف المفتش :

ـ إنه يحدث بالفعل .

صمت المدير طويلًا ، وراح ينقر بأصابعه على سطح مكتبه ، وهو يفكّر فى عمق ، والمفتش يراقبه فى اهتمام ، حتى سمعه يقول :

ـ نعم .. هذا هو التفسير الوحيد .

قال المفتش ، فى لهفة :

ـ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .

ثم مال نحوه ، يسأله :

ـ هل سنفعل شيئًا .

مطّ المدير شفتيه ، وظلّ يتطلّع إليه لحظات أخرى ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويغمغم :

ـ كلّا .

ارتدّ المفتش فى عنف ، كما لو أن كلمة المدير قد تحوّلت إلى صاعقة قوية ، أصابته فى الصميم ، وردّد القول فى ذهول :

(*) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ، لم يكن جهاز المخابرات الأمريكى (سى . آى . إيه) قد تكوّن بعد ، فى حين كان جهاز المخابرات البريطانى فى أوج مجده ، بعد الخبرات القوية ، التى اكتسبها خلال الحرب ، ولهذا كان الصراع يدور فى المعتاد ، بين جهاز المخابرات السوفيتى العتيق ، وجهاز المخابرات البريطانى .

ـ كلّا ؟!!

زفر المدير فى توتر ، وقال :

ـ لسنا نملك أن نفعل شيئًا فى الواقع ، فهذه الأمور شديدة التعقيد ، وتتعلّق بالسياسات بين الدول ، ولا يمكننا أن ...

قاطعه المفتش ، فى حدة :

ـ كنت أتوقّع هذا .

بدا الغضب على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ كيف تتحدّث إلىّ بهذا الأسلوب ؟

نهض المفتش واقفًا ، وألقى إليه ورقة مطوية ، قائلًا فى صرامة :

ـ لم يعد هذا يهم .

واتجه نحو الباب فى خطوات قوية واسعة ، وفتحه فى حدة ، والمدير يهتف به ، ملتقطًا تلك الورقة .

ـ ما هذا بالضبط ؟

توقّف المفتش لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

ـ استقالتى .

وصفق الباب خلفه ، فى عنف ..

★ ★ ★

تطلّع حارس السفارة الإسرائيلية إلى وجه (كوستا) فى برود ، وهو يسأله :

ـ لماذا تريد مقابلة السفير ؟

أجابه (كوستا) ، وهو يلملم ياقة معطفه حول عنقه :

ـ فقط أخبره أن لدى معلومات بالغة الأهمية .

سأله الرجل بنفس البرود :

- وما نوع هذه المعلومات ؟

تلفت (كوستا) حوله ، قبل أن يميل نحوه ، هامسًا :

- إننى أعرف نوع المفتاح .

عقد الحارس حاجبيه ، وهو يتطلع إليه فى دهشة ، قبل أن يسأله فى حذر :

- أى مفتاح ؟

أجابه (كوستا) ، فى حماس :

- مفتاح الخزانة ، التى تحوى (الميكروفيلم) .

سأله الحارس ، فى حذر أكثر :

- أى (ميكروفيلم) ؟

هز (كوستا) رأسه فى توتر ، وقال :

- من الواضح أنك لا تفهم شيئًا .. أخبر السفير بما قلته لك ، وسيفهم الأمر حتمًا .

اعتدل الحارس ، وحدجه بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يقول :

- لا يمكن لسيادة السفير أن يلتقى بك الآن .. عد فى الصباح ، وتقدم بطلب للملحق الإدارى ، وربما ..

قاطعه (كوستا) ، فى حدة :

- أى صباح يا رجل ؟!.. أى صباح ؟!.. هل تتوقع أنه كان من الممكن أن أحضر إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت ، لو أن الموقف يحتمل التأجيل إلى الصباح ؟

انعقد حاجبا الحارس ، وهو يقول فى صرامة :

- ارحل وعد فى الصباح .

لوح (كوستا) بذراعه ، هاتفًا :

- كلا .. هذا لا يصلح أبدًا .. أنت لا تفهم خطورة الموقف .. اذهب وافعل ما طلبته منك يا رجل .. افعل وإلا فسأحملك المسئولية كلها ، لو حدث ما لا تحمد عقباه .

تطلع إليه الحارس لحظات فى قلق حذر ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وتحدث إلى شخص ما بالعبرية ، قبل أن يقول له :

- الملحق العسكرى سيلتقى بك الآن .

ثم استدرك ، فى صرامة :

- ولكن حذار أن تكون عابثًا .

هتف (كوستا) :

- عابثًا ؟!.. أى قول هذا يا رجل .. أى قول ؟

ولكن جسده البدين كان يرتجف فى توتر بالغ ، وخاصة وهم يقودونه إلى مبنى السفارة ، ويفتشونه جيدًا ، ثم يضعونه داخل حجرة الملحق العسكرى ، الذى استقبله فى هدوء شديد ، وسأله :

- ماذا لديك بالضبط يا سيد (كوستا) ؟

أجابه (كوستا) ، فى توتر :

- هل تعرف ذلك المفتاح ، الذى يبحثون عنه ؟!.. المفتاح الذى كان فى شقة (بابيوس) .. إنهم يتصارعون عليه ، ولكن أحدًا منهم لن يدرك طبيعته .

كان يتوقع أن يسأله الملحق عن هذا المفتاح ، ولكنه فوجئ به يقول فى هدوء ، وهو يرمقه بنظرة طويلة :

- ولماذا تظن هذا ؟

أجابه ملوّحًا بكفيه :

ـ لأن هذا النوع من المفاتيح لم يعد مستخدمًا هذه الأيام ، ولكننى أعرفه بحكم تعاملى معه فى الماضى .. هل تعلم ؟!.. لقد كان (بابيوس) هذا شديد الذكاء ، عندما اختار تلك الخزائن بالذات ، فمن يمكن أن يخطر بباله أمرها ؟!

قال الملحق ، بابتسامة غامضة :

ـ هات ما لديك يا سيّد (كوستا) .

مال (كوستا) نحوه ، وقال فى لهفة وشراهة :

ـ قل لى أوّلًا : ما الذى أحصل عليه ، لو أخبرتكم بهذا ؟

انتفض جسده فى ارتياع ، عندما سمع صوتًا صارمًا ، يقول :

ـ ما رأيك فى رصاصة فى الرأس ؟

استدار فى هلع إلى مصدر الصوت ، وانهار جسده كله فى مقعده ..

لقد كانت صاحبة الصوت هى (راشيل) ..

(راشيل جولدمان) ..

* * *



٢٠ ـ الحـل ..

ضحك (مجدى) فى جذل مرح ، وهو يرقد على سرير الإسعاف ، فى عيادة الدكتور (بورغو) ، وقال لـ (أدهم) :

ـ رائع .. إذن فقد ثأرت لى من عزيزتنا (راشيل) يا سيادة العقيد .. كم أحب هذا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ كنت أتمنى رؤية وجهها ، عندما تكتشف ضياع المفتاح .

ضحك (مجدى) مرة أخرى ، وقال :

ـ ربما تطلق النار على رأسها ، من شدة الغضب .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى ، ثم ذابت ابتسامته على شفتيه بسرعة ، وهو يتحرّك فى الحجرة ، قائلًا :

ـ ولكن هذا المفتاح يمثّل لى لغزًا غامضًا يا (مجدى) ، فلقد فحصنا كل مكان يمكن أن يحوى خزانة ، يستطيع (بابيوس) أن يستأجرها ، ويودع بها (الميكروفيلم) ، ولكننا لم نعثر على شبيه لهذا المفتاح قط .

تنهّد (مجدى) ، وقال :

ـ هذا يدهشنى للغاية يا سيادة العقيد ، فالحلقة المتصلة بالمفتاح من نوع بسيط ورخيص ، وكنت أعتقد أن الكشف عن الخزانة لن يستغرق طويلًا .

أخرج (أدهم) المفتاح من جيبه ، وألقى عليه نظرة طويلة ، قبل أن يتحسس الحلقة ، مغمغمًا :

ـ نعم .. نوع بسيط ورخيص ، ولكنه ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ـ ربَّاه !.. هذا صحيح .

اعتدل (مجدى) ، وهو يقول فى لهفة :

ـ ماذا هناك يا سيِّدى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتطلَّع إلى الحلقة :

ـ كيف لم نفكِّر فى هذا ؟!.. الحلقة من نوع رخيص بالفعل ، ولا تحوى أية أسماء أو علامات مميَّزة .. فقط رقم من البلاستيك .. ألا يشير هذا إلى الكثير ؟!

قال (مجدى) ، فى حذر :

ـ نعم .. يشير إلى أن المفتاح لا يخص أحد البنوك أو الفنادق الكبرى .

قال (أدهم) ، بسرعة :

ـ ولا حتى إحدى شركات الخزائن الخاصة ، فكلها تتقاضى أجورًا باهظة ، وتستخدم مفاتيح خاصة ، تحمل شعارها الأنيق .

قال (مجدى) ، فى حيرة :

ـ إلى أى مكان ينتمى المفتاح إذن ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يفكِّر فى عمق :

ـ إلى مكان رخيص ، لا يمكن أن يخطر ببال مخلوق ، ولكنه يرتبط بشىء ما يهواه (بابيوس) ، أو يميل إلى التعامل معه بصفة مستمرة .

حاول (مجدى) أن يفكِّر بدوره ، وهو يغمغم :

ـ شىء مثل ماذا ؟

قال (أدهم) :

ـ دعنا نعيد دراسة (بابيوس) ثانية ، فكل شخص ، مهما بلغت حنكته أو إبداعيته ، يظل أسيرًا لنمط ما ، يفرض وجوده عليه دائمًا ، حتى لو حاول تفاديه (★) .. فما النمط الذى يسير عليه (بابيوس) ؟

تمتم (مجدى) :

ـ إننا لم نعرفه بالقدر الكافى ، ولكن معلوماتنا عنه تقول إنه أعزب ، و ...

قاطعه (أدهم) :

ـ ويمتلك سيارة أجرة .

اعتدل (مجدى) ، وقال فى حماس :

ـ فهمت .. إذن فالمفتاح يخصّ خزائن خاصة ، فى نقابة سائقى سيارات الأجرة مثلًا .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا توجد خزائن خاصة ، فى نقابة سائقى سيارات الأجرة .. لقد كان هذا أوَّل مكان فحصته .

سأله (مجدى) ، فى حيرة :

ـ بمَ يفيدنا كونه سائقًا إذن ؟

أشار (أدهم) بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ ما الأماكن التى يتردَّد عليها سائقو الأجرة عادة ؟!.. الفنادق والأماكن السياحية ، والمحطات ، والمطارات ، و ...

(★) حقيقة علمية ، تؤكِّدها كل الدراسات النفسية الحديثة .

وبتر عبارته ليهتف فجأة :

ـ المحطات .

ردد (مجدى) خلفه ، فى حيرة :

ـ المحطات ؟!

أجابه (أدهم) ، فى حماس :

ـ بالطبع .. هذا هو النمط الذى يستهويه .. يتلقى الرسائل فى صناديق بريد محطة المترو ، ثم يلتقى بالأمريكيين فى محطة القطار .. إنه يهوى المحطات ، لأن معلوماته عنها كثيرة ، بحكم تردده المستمر عليها .

قال (مجدى) ، وقد انتقل إليه الحماس :

ـ إذن فهذا مفتاح خزانة أمانات بإحدى المحطات .

لوّح (أدهم) بالمفتاح ، وقال :

ـ بالضبط ، ولكنها ليست محطة عادية ، فالحلقة المتصلة بالمفتاح بسيطة ورخيصة ، ويمكنك أن تضيف إلى هذا أنها عتيقة الطراز أيضًا ، وهذا يعنى أنها تعود إلى محطة قديمة .

اعتصر (مجدى) ذهنه ، وهو يقول :

ـ محطة قديمة .. محطة قديمة .. أين المحطات القديمة هنا ؟

طرق الدكتور (يورغو) الباب ، فى هذه اللحظة ، وقال بابتسامة مهذّبة :

ـ هل يمكننى الدخول ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ تفضّل يا دكتور (يورغو) .. كيف تستأذننا فى عيادتك ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ كنتما تتحدثان فى العمل ، وأنا أعرف القواعد .

أجابه (أدهم) ، وهو يلوّح بالمفتاح .

ـ كنا نتحدث عن هذا المفتاح .

تطلّع الدكتور (يورغو) إلى المفتاح ، وابتسم قائلًا :

ـ يا إلهى !.. كدت أنسى شكل هذه المفاتيح .. ماذا تفعلان به ؟ .. هل تحتفظان ببعض الأسرار فى ...

ثم تراجع فجأة ، وهو يبتسم فى حرج ، مغمغمًا :

ـ آه .. معذرة .. نسيت أنه ليس من المفروض أن أسأل .

عقد (أدهم) حاجبيه فى تساؤل ، وهو يقول :

ـ هل رأيت مثل هذا المفتاح من قبل يا دكتور (يورغو) ؟

هزّ كتفيه مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. رأيت مثله كثيرًا ، أيام زياراتى لـ (أثينا) فى صباى .

سأله (أدهم) :

ـ هل تعرف ما هو بالضبط ؟

أجابه ، فى بساطة :

ـ نعم .. إنه مفتاح خزانة من خزانات المحطة .

هتف (مجدى) ، فى لهفة :

ـ أية محطة ؟

انتبه الدكتور (يورغو) فجأة إلى أهمية الأمر بالنسبة لهما ، فأجاب بسرعة :

ـ محطة المترو القديمة ، فى أطراف المدينة .. إنها لم تعد

مستخدمة ، منذ إقامة المحطات الحديثة ، ولكن بعضهم مازال يستأجر خزاناتها الصغيرة .. إنها مجرد أدراج متلاصقة ، تكفي لوضع أشياء صغيرة ، ولست أدري ما إذا كانت مستخدمة حتى الآن ، أم أنهم أغلقوها .

تبادل (أدهم) و (مجدى) نظرة متألقة ، قبل أن يهتف الأوَّل :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم أفدتنا يا دكتور (يورغو) .

ارتبك الطبيب الشاب ، وهو يغمغم :

ـ يسعدنى أن فعلت .

اختطف (أدهم) معطفه ، وهو يقول :

ـ سأنطلق على الفور إلى المحطة .. هل يمكننى استعارة سيارتك يا دكتور (يورغو) ؟

ناوله الطبيب مفاتيح سيارته ، وهو يقول :

ـ على الرحب والسعة .. إنها (بى . إم . دابليو) بيضاء ، وأرقامها ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف :

ـ أحفظ أرقامها عن ظهر قلب .

سأله (مجدى)، فى اهتمام :

ـ هل تجرى اتصالاً برجال مكتبنا هنا ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ بل يمكنك أن تقول إنه إجراء وقائى .

قالها وابتسامته تحمل شيئًا من الثقة .. ومن الغموض ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (كوستا) فى رعب هائل ، وانتفض جسده البدين كله فى ذعر ، عندما وقع بصره على (راشيل) ، التى تصوِّب مسدسها إلى رأسه ، وانهار تمامًا ، وهو يلوِّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ الرحمة يا سيِّدتى .. الرحمة .

قالت فى هدوء ، وهى تلوِّح بمسدسها فى وجهه :

ـ لا تتحدَّث عن الرحمة .. حدثنى عن ذلك المفتاح .

قال مرتعدًا :

ـ سأفعل يا سيِّدتى .. سأفعل .

رمقته بنظرة صارمة ، قائلة :

ـ ودون مقابل بالطبع .

صاح ، فى هلع :

ـ مقابل ؟!.. ومن ذا الذى يطلب المقابل ؟.. لقد أتيت لأبلغكم هذا الأمر دون مقابل .. أنا أحب الإسرائيليين .. صدقينى .

ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد فى توسل :

ـ المهم ألا تقتلينى يا سيِّدتى .. أرجوك .

قالت ، فى صرامة :

ـ لن أقتلك .

هتف :

ـ حقًا ؟!

قالت ، فى ضجر :

ـ هذا وعد .

التفت إلى الملحق العسكرى ، يسأله فى توتر :

ـ هل تضمن لى وعدها هذا ؟

أومأ الملحق برأسه إيجابًا ، وهو يبتسم فى هدوء ، قائلًا :
ـ نعم .. أضمنه .
بدأت عضلاته تسترخى ، وهو يقول :
ـ سأخبركما إذن .. هذا المفتاح يخص خزائن محطة المترو القديمة .
عقدت (راشيل) حاجبيها ، وهى تسأله :
ـ كيف عرفت ؟
أجابها مرتعدًا :
ـ كنت أستخدم هذه الخزائن فيما مضى .. أيام تجارة الـ .. الـ .. أعنى أيام العمل الأولى ، ولا يمكننى أن أنساها قط .
سألته ، فى غلظة :
ـ ولماذا لم تقل هذا فى البداية ؟
أجابها بسرعة :
ـ لست أدرى يا سيِّدتى .. لست أدرى .. ربما انزاح الأمر من ذاكرتى ، مع كثرة العمل والمشاغل ، ولكننى أدركت منذ الوهلة الأولى أننى أعرف هذا المفتاح ، وإن لم أذكر ماهيته بالضبط ، إلا منذ ساعة أو يزيد .
تبادلت نظرة مع الملحق العسكرى ، الذى أشعل سيجارته ، وعقد حاجبيه ، وغاص فى مقعده قليلًا ، وكأنما يعلن شكه فى تلك المعلومات ، فقالت لـ (كوستا) فى شراسة مفاجئة :
ـ كم دفع لك المصريون ؟
انتفض جسد (كوستا) فى عنف ، وهو يصرخ فى ذعر :
ـ المصريون ؟!.. وما شأنى أنا بالمصريين ؟

دفعت مسدسها فى عنقه ، وهى تصيح به :
ـ ألم يستأجروك للقيام بهذا الدور ؟
انهار فى رعب لا حدود له ، وهو يصرخ :
ـ استأجرونى ؟!.. أقسم لك إن هذا لم يحدث قط يا سيِّدتى .. كل ما فى الأمر هو أننى تذكَّرت المفتاح ، ورأيت أن أفضل ما أفعله هو أن أخبركم بالأمر .. أقسم لك إنها الحقيقة .. أقسم لك يا سيِّدتى .
ثم انخرط فى بكاء حار ، جعل جسده البدين يكتظ كله فى قوة ، فرفعت (راشيل) عينيها إلى الملحق العسكرى ، الذى ظل صامتًا ، ينفث دخان سيجارته لحظات ، ثم أومأ برأسه فى بطء ، فاعتدلت قائلة :
ـ فليكن يا (كوستا) .. نحن نصدِّقك .
خفق قلبه فى قوة ، وهو يهتف :
ـ حقًّا ؟!.. أشكرك يا سيِّدتى .. أشكرك .
ابتسمت فى سخرية ، قائلة :
ـ لا داعى للشكر يا هذا ..
ثم التقطت وسادة من أحد المقاعد ، وألصقتها بمؤخرة رأسه ، فسألها فى ذعر :
ـ ما هذا يا سيِّدتى ؟
أجابته ، فى صرامة :
ـ لست أحب تلويث المكان .
ارتعد ، وهو يسألها :
ـ تلويثه بماذا ؟

أرعبته ابتسامتها الوحشية ، وهى تقول :
- بماذا تظن فى رأيك ؟
اتسعت عيناه فى ذعر شديد ، وهتف بالملحق :
- ولكنكما وعدتما !
نفث المحقق دخان سيجارته فى هدوء ، وهو يقول :
- هذا أول درس نتعلمه ، قبل الالتحاق بالعمل يا رجل .. لا ضير من نقض العهود ، لو أن هذا يحقق فائدة .
ثم أشار إلى (راشيل) ، مستطردًا :
- هيا .
صرخ (كوستا) ، وهو يحاول النهوض :
- لا .. ليس من حقكم أن ...
ولكن (راشيل) دفعت فوهة كاتم الصوت فى فمه المفتوح ، وضغطت الزناد فى هدوء ..
وانفجرت جمجمة (كوستا) ، وأغرقت الوسادة الصغيرة بالدم بكمية هائلة ، قبل أن يسترخى جثة هامدة فوق المقعد . فنفخت (راشيل) الدخان المتصاعد من مسدسها ، مغمغمة :
- غبى .
مط الملحق العسكرى شفتيه ، وهو يقول :
- كل الجشعين على الصورة نفسها .
ثم أشار بيده ، مستطردًا :
- اطلبى فريق التنظيف ، ليزيلوا الجثة من هنا .
أجابته ، وهى تدس مسدسها فى جيبها :
- أطلبهم أنت ، فلدى مهمة عاجلة .

سألها :
- هل تصدقين ما قاله ؟
هزت كتفيها ، قائلة :
- لن نخسر شيئًا بفحص الأمر .
وألقت نظرة على ساعة يدها ، التى أشارت إلى الحادية عشرة مساءً ، قبل أن تستطرد :
- ثم إن أمامى ساعة كاملة ، قبل الموعد الذى حدده الرؤساء .
وعندما انطلقت نحو محطة المترو القديمة ، لم تكن تدرى أنها ليست على موعد مع الطائرة فحسب ، بل كانت على موعد آخر .. موعد مع القدر .

★ ★ ★

٢١ ـ الميكروفيلم ..

أوقف (أدهم) سيارته أمام محطة المترو القديمة ، التى بدت أشبه بأطلال باهتة ، فى ذلك الجو البارد ، وتساءل عما إذا كان العنوان صحيحًا ، وأن خزائن تلك المحطة ما زالت تجد من يستأجرها ، ثم ابتسم وهو يغادر السيارة ، متمتمًا :

ـ أعترف أنك كنت ذكيًا بالفعل يا (بابيوس) ، فقد تعاملت مع الموقف بحنكة جيدة ، ولكن المؤسف أن هذا لا يكفى وحده للعبث مع المحترفين .

عبر البوابة القديمة المتهالكة إلى الداخل ، وبدا له الإهمال واضحًا فى كل ركن ، واستدارت إليه عيون عشرات المتشردين ، الذين اجتمعوا فى حلقات صغيرة ، وأشعلوا بعض النيران للتدفئة ..

ومع وسامته ومعطف المطر الأنيق ، كان من الطبيعى أن يتابعوه فى مزيج من الخوف والحذر ، ولكنه ابتسم مشجعًا ، وهو يسألهم :

ـ أين أحد الخزانات ؟

لم يجبه أحدهم بحرف واحد ، ولكن كهلًا أصلع أشار بيده إلى ركن بعيد ، حيث جلس ثلاثة من الرجال ، حول كومة من الحطب المشتعل ، فاتجه (أدهم) إليهم ، وسأل :

ـ أين الخزانات ؟

تطلعوا إليه فى صمت حذر ، فأضاف ، وهو يخرج المفتاح من جيبه ، ويلوح به فى وجوههم :

ـ بعضهم يحتفظ لى بشىء هنا .

ظلوا يتطلعون إليه لحظة فى صمت ، ثم غمغم أحدهم فى صوت خشن جاف :

ـ هنا ..

اتجه (أدهم) ببصره إلى حيث يشير الرجل ، وانتبه على الضوء الخافت إلى عدد من الأدراج يملأ الجدار ، وكل منهم يحمل شعارًا مماثلا للحلقة فى نهاية المفتاح ، ورقم مشابه أيضا .

وبسرعة ، أدار (أدهم) عينيه فى الأدراج ، حتى وقع بصره على الرقم الذى يريده ، فدس المفتاح فى ثقبه ، وأداره فى بطء ..

وانفتح الدرج ..

وداخله ، رأى (أدهم) لفة من القماش ، التقطها وفض رباطها ، فسقط (الميكروفيلم) بين أصابعه ، و ...

« هذا يكفى » ..

ارتفع الصوت فجأة فى المكان ، بلهجة أنثوية صارمة ، فرفع (أدهم) عينيه فى سرعة ، ورأى (راشيل) على بعد أمتار قليلة منه ، تصوب إليه مسدسها ، وهى تقول :

ـ انتهى دورك هنا يا سيد (أدهم) .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقبض يده على (الميكروفيلم) ، قائلًا :

ـ هل تظنين هذا حقًا ؟

مدت يدها ، قائلة :

ـ كفى يا سيد (أدهم) .. سآخذ (الميكروفيلم) .

سألها ، فى هدوء :

ـ أخبرينى أولًا .. كيف اتفق أن وصلنا إلى المكان نفسه ، فى وقت متقارب كهذا ؟!



ارتفع الصوت فجأة فى المكان ، بلهجة أنثوية صارمة ، فرفع (أدهم) عينيه فى سرعة ، ورأى (راشيل) على بعد أمتار قليلة منه ..

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ إنه القدر .

ضحك ساخرًا ، وهو يقول :

ـ رائع يا عزيزتى (راشيل) .. تتحدثين كما لو كنت نجمة من نجوم مسرح (شكسبير) (*) .. أخبرينى .. أى دور تفضلين أداءه ؟.. (ديدمونة) ، أم ...

قاطعته ، فى صرامة :

ـ (الميكروفيلم) يا (أدهم) ، وإلا ...

كان المتشردون يتسللون هاربين ، تاركين نيرانهم خلفهم ، خوفًا من ذلك الموقف ، عندما قال ساخرًا :

ـ وإلا ماذا يا عزيزتى (راشيل) ؟!.. وإلا أطلقت النار علىّ ، وأخذته من جثتى .. أليس كذلك ؟.. ولكن السؤال هو :

ـ هل ستعثرين عليه ؟

قالها ولوّح بذراعيه فى سرعة ، كما يفعل الحواة ، قائلًا :

ـ فى أى يد هو يا عزيزتى ؟

قالت فى غضب ، وهى تجذب إبرة مسدسها :

ـ لو تصوّرت أن هذا العبث سيمنعنى من قتلك ، فأنت واهم .. أعطنى (الميكروفيلم) .

(*) (وليم شيكسبير) : (١٥٦٤ ـ ١٦١٦ م) : أعظم شعراء وكتاب المسرح الإنجليزى ، جعل المسرح الإنجليزى فنًّا عالميًا ، يقال إنه من أسرة ميسورة الحال ، اشتغل بالتدريس ، ثم اهتم بالتمثيل والمسرح ، وترك بلده (ستراتفورد) ، وربط حياته بالمسرح فى (لندن) ، ومن أشهر أعماله (هاملت) ، و (الملك لير) ، و (تاجر البندقية) ، و (ترويض النمرة) .

فرد راحتيه الخاليتين أمامها ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ أى (ميكروفيلم) يا عزيزتى (راشيل) ؟

حدّقت فيه بدهشة ، وهتفت :

ـ أين هو ؟.. أين أخفيته ؟

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ خمّنى .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ فليكن يا (أدهم) .. سأقتلك أوّلًا ، وأبحث عنه فيما بعد .

قال بسرعة :

ـ وماذا لو فشلت فى العثور عليه ؟

قالت ، فى حدة :

ـ لن أفشل .

أجابها ، بنفس السرعة :

ـ ومن أدراك ؟!.. ربما لا تعثرين عليه أبدًا .. وربما يعثر عليه غيرك فيما بعد .. هل يمكنك المخاطرة بهذا ؟

بدا التوتر الشديد على ملامحها ، وهى تقول :

ـ أين أخفيت (الميكروفيلم) يا (أدهم) ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ ولماذا أخبرك ؟

كان مشهدهما غريبًا ، وسط المحطة القديمة ، بضوئها الخافت الباهت ، وبقع النيران المنتشرة فى كل مكان ، التى تركها المتشردون خلفهم ، عند فرارهم ، والتى تلقى ظلالًا متراقصة مخيفة

على الجدران ، وبدت (راشيل) متناسقة تمامًا مع هذا المشهد ، بملامحها الوحشية الشرسة ، وهى تقول فى غضب شديد :

ـ ستخبرنى حتى لا أقتلك .

رفع حاجبيه فى دهشة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ حتى لا تقتليننى ؟!.. هل تحاولين إقناعى بأن حصولك على ذلك (الميكروفيلم) ، قد يجعلك تبقين على حياتى يا عزيزتى (راشيل) ؟! عجبًا !.. هل تتصوّرين أن سذاجتى جعلتنى أظن أن العكس هو الصحيح ، وأن السبب الوحيد ، الذى يجعلك تبقين على حياتى الآن ، هو رغبتك فى التأكد من الحصول على (الميكروفيلم) أوّلًا ؟!

ألقت نظرة سريعة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى الحادية عشرة والنصف ، قبل أن تقول فى توتر :

ـ اسمع يا (أدهم) .. يمكننا أن نعقد صفقة .

سألها ، فى هدوء :

ـ أى نوع من الصفقات ؟

أجابته ، وتوترها يتصاعد :

ـ أعطنى (الميكروفيلم) ، وسأعطيك مسدسى .. ما رأيك ؟

ضحك فى سخرية ، وقال :

ـ يا للهول !.. أهذا ما تطلقون عليه اسم صفقة .

سألته ، فى حدة :

ـ ماذا تريد إذن ؟

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـ ما رأيك فى رئيس وزرائكم ؟

صاحت غاضبة :

ـ هل تسخر منى ؟

أجابها بسرعة :

ـ مطلقًا .. أنا جاد تمامًا .. أعطينى رئيس وزرائكم ، وسأعطيك (الميكروفيلم) على الفور .. هيا .. احسمى رأيك بسرعة يا عزيزتى .. أيهما أكثر أهمية بالنسبة لك ؟.. رئيس الوزراء أم (الميكروفيلم) ؟

كان من الواضح أنه نجح فى استفزازها حتى النخاع ، فقد صاحت فى غضب :

ـ فليكن يا (أدهم) .. سأخاطر بقتلك ، وأعتقد أننى سأعثر بعدها على ذلك (الميكروفيلم) اللعين .

فرد يده أمامها ، وهو يقول فى بساطة :-

ـ ولماذا تبحثين ؟

حدقت فى (الميكروفيلم) ، المستقر فى راحة يده ، وهتفت :

ـ آه .. إنه هو .

أجابها (أدهم) :

ـ نعم .. ها هو ذا .

وقذف (الميكروفيلم) وسط النيران المشتعلة ..

وصرخت ، (راشيل) :

ـ لا .. لا تفعل هذا .

وقفزت محاولة استعادة (الميكروفيلم) ، ولكن النيران التهمت

مادته السليولوزية السريعة الاشتعال فى لحظات ، فصاحت غاضبة ساخطة ، وجسدها كله يرتجف انفعالًا :

ـ لماذا فعلت هذا ؟.. لماذا ؟

قال فى صرامة :

ـ لقد أقسمت ألا تحصلى عليه قط .

صرخت :

ـ أيها الحقير .. أيها الحقير .

ثم رفعت مسدسها ، وصوبت فوهته إليه ، وهى تهتف :

ـ ما الذى يمنعنى الآن من قتلك ؟

عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يبتسم فى هدوء واثق ، فى نفس اللحظة التى سمعت فيها صوتًا أنثويًا من خلفها ، يقول فى حزم :

ـ أنا .

ومع الصوت ، التصقت فوهة مسدس بمؤخرة عنقها ، فانعقد حاجباها فى توتر شديد ، وصاحبة الصوت الأنثوى تستطرد فى صرامة :

ـ هل تفضلين إلقاء مسدسك بنفسك ، أم أتركه يسقط من يدك ، عندما تخترق رصاصتى رأسك ؟

عضت (راشيل) شفتيها فى غيظ شديد ، وهى تلقى مسدسها أرضًا ، قائلة :

ـ من أنت بالضبط ؟

أجابتها (هويدا) ، من خلفها :

ـ ليس هذا من شأنك .

سألتها متوترة :
ـ هل تنوين قتلى ؟
أجابها (أدهم) ، فى هدوء :
ـ أنت تعلمين أننا نختلف عنكم ، فى هذا المجال بالذات يا (راشيل) ، فنحن لا نقتل قط دون مبرِّر .
سألته (هويدا) :
ـ هل أتركها ترحل ؟
أجابها ، فى هدوء :
ـ بالتأكيد .
تراخت عضلات (راشيل) فى ارتياح ، وهى تقول :
ـ سنلتقى مرة أخرى يا (أدهم) .
أجابها بنفس الهدوء :
ـ أنا واثق من هذا .
قالت ، فى حدة :
ـ وفى المرة القادمة ، لن أسمح لك بالانتصار قط ، ولن ..
ثم بترت عبارتها بغتة ، هاتفة :
ـ الانتصار ؟!.. ولكن مهلًا .. أنت لم تنتصر هذه المرة يا (أدهم) .
ظلّ جامدًا صامتًا ، على الرغم من الضحكة الساخرة التى أطلقتها ، قبل أن تستطرد فى شماتة :
ـ لقد أسأت تقدير الموقف يا رجل .. ماذا يضيرنا لو أنك حرقت (الميكروفيلم) ؟.. فليذهب إلى الجحيم .. هذا ما كنا سنفعله

بأنفسنا ، عندما نستعيده ، وكل ما فعلته أنت هو أن وفّرت لنا الوقت والجهد .
انعقد حاجبا (أدهم) ، وهى تتابع ساخرة :
ـ أنتم الذين خسرتم بهذا يا رجل .. إنها وثائقنا ، ونحن نحتفظ بأصولها ، أما أنتم ..
قهقهت ضاحكة ، قبل أن تتم عبارتها ، فهتفت (هويدا) فى ارتياع :
ـ أهذا صحيح يا (أدهم) ؟.. هل خسرت هذه العملية ؟
أجابها ، فى خفوت :
ـ المرء لا يربح دائمًا يا عزيزتى .
بدت خيبة الأمل على وجه (هويدا) ، فى حين أطلقت (راشيل) ضحكة ساخرة أخرى ، وهى تتراجع قائلة :
ـ هذا صحيح .. المرء لايربح دائمًا ، حتى ولو كان (أدهم صبرى) نفسه .
وقهقهت ضاحكة مرة أخرى ، فهتفت (هويدا) :
ـ قل شيئًا يا (أدهم) .. لا تصمت هكذا .. أخبرها أنك ربحت .
قال فى بطء :
ـ لا يمكننى هذا يا عزيزتى .
ضحكت (راشيل) فى شماتة ساخرة مرة أخرى ، ولوَّحت بيدها قائلة :

ـ لا تنس هذا أبدًا يا (أدهم) .. تذكّر دائمًا أن (راشيل جولدمان) هى أوّل من يذيقك طعم الهزيمة ..
إلى اللقاء يا (أدهم) .. إلى اللقاء ..
وراحت صرخاتها الساخرة تتردّد فى المحطة القديمة طويلًا .. طويلًا جدًّا ..

★ ★ ★



٢٢ ـ الختام ..

(أثينا) : الخامس عشر من يناير ..

★ ★ ★

« لست أصدّق هذا أبدًا .. »
هتفت (هويدا) بالعبارة فى حنق ، وهى تقف مع (أدهم) ، فى مطار (أثينا) ولوّحت بكفها ، مستطردة فى ضيق :
ـ (أدهم صبرى) يخسر إحدى عملياته .. هذا هو المستحيل بعينه .
أجابها (أدهم) ، فى هدوء :
ـ جلّ من لا يخطئ يا عزيزتى ، ولكل جواد كبوة .
قالت ، فى غيظ :
ـ ولماذا تحدث هذه الكبوة ، عندما أعود للعمل معك .. هذا يعنى أننى لم أمنحك الحظ الحسن .
ضحك ، وهو يقول :
ـ لست أومن بهذا قط .
بدا الغضب عليها لحظات ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، وهى تقول :
ـ ولكن هل تعلم .. أنا أشعر بسعادة جمة ، لأن القدر جمعنا معًا مرة ثانية .. لا يمكنك أن تتصوّر كم كنت أتوق لهذا .
سألها :
ـ هل تشعرين بالندم ؛ لأنك تركت عالم المخابرات ، واشتغلت بالسينما ؟

صمتت لحظات ، ثم أجابت :
ـ أحيانًا .
وحاولت أن تضحك ، ولكن ضحكتها بدت باهتة ، خالية من أية آثار للمرح الحقيقى ، وهى تقول :
ـ العجيب أننى حتى فى عالم السينما ، ظللت أؤدى أدوار فتاة المغامرات ، أو فتاة المخابرات ، ولكننى لم أشعر قط بالمتعة نفسها ، التى كنت أشعر بها فى العمل الحقيقى .
عاد يسألها :
ـ هل تفكرين فى العودة إليه ؟
ترددت لحظة ، قبل أن تجيب :
ـ لست أدرى .. أنا الآن ممثلة ناجحة ، أحوز شهرة معقولة ، ودخل لا بأس به ، و ...
بترت عبارتها دفعة واحدة ، ثم بدا صوتها أقرب إلى البكاء ، وهى تستطرد :
ـ لست أدرى يا (أدهم) .. صدقنى لست أدرى .. أنا أحب العمل فى السينما ، وأشعر بحنين جارف لعمل المخابرات ، ولست أدرى أيهما أختار .
وتبللت عيناها بالدموع ، وهى تتطلع إليه ، مضيفة :
ـ هل تعلم ؟.. عندما اتصلت بى مساء أمس ، وأخبرتنى أنك تحتاج إلىّ ، كإجراء وقائى فى عملية محدودة ، شعرت بسعادة لا حدود لها .. صحيح أننى لم أعلم طبيعة القضية بالضبط ، ولا من هى (راشيل) هذه .. بل إننى لم أعلم حتى أهمية ذلك (الميكروفيلم) ، الذى كادت تقتلك بسببه ، ولكننى استمتعت كثيرًا .

وتنهدت متمتمة :
ـ الشىء الوحيد ، الذى أفسد متعتى ، هو أنك خسرت العملية .
ابتسم قائلًا :
ـ لا تجعلى هذا يقلقك .
ثم سألها ، فى اهتمام :
ـ أخبرينى يا (هويدا) .. ماذا لو أمكننا التوفيق بين رغبتيك ؟
سألته ، فى لهفة :
ـ ماذا تعنى ؟
أجاب ، فى هدوء :
ـ أعنى أن تواصلى عملك فى السينما ، وتعملين لحساب المخابرات المصرية فى الوقت نفسه .
برقت عيناها ، وهى تهتف :
ـ أهذا ممكن ؟
أجابها فى بساطة :
ـ ولم لا .. المئات يتعاونون معنا بالأسلوب نفسه ، وأعتقد أنك ستكونين أفضلهم ، نظرًا لخبراتك السابقة .
قالت فى حماس وسعادة :
ـ أنا رهن إشارة المخابرات المصرية دائمًا .
ارتفع نداء فى هذه اللحظة ، يدعو المسافرين إلى (القاهرة) إلى ركوب طائرتهم ، فصافحها (أدهم) ، وهو يقول :
ـ فليكن يا (هويدا) .. اعتبرى أنك منذ هذه اللحظة ، عدت إلى صفوف المخابرات المصرية .

صافحته فى حرارة ، قائلة :

ـ لن أنسى لك هذا قط .

ثم مالت على أذنه ، وهمست :

ـ ولكن بينى وبينك .. لست أصدّق أنك فشلت هذه المرة ..

تذكَّر عبارتها هذه ، والطائرة تقلع به ، متجهة إلى (القاهرة) ، فابتسم فى ارتياح ، وتحسَّس جيبه ، وهو يغمغم :

ـ من حسن الحظ أن عزيزتنا (راشيل) لم تنتبه إلى أننى استبدلته بآخر .

ووضع يده فى جيبه ، ليخرجها وهى تحوى ذلك (الميكروفيلم) .. (الميكروفيلم) الحقيقى .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]